بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

عبـــرى

للدكتور ابراهيم أنيس

עִבְרִי   עִבְרִים

ينقسم أصحاب الدراسة التقليدية بصدد تأصيل الاسم « عبرى » إلى فريقين : فريق يختصر طريق البحث ويذهب إلى أن هذا الاسم ترجع نسبته إلى أحد أحفاد نوح المسمى عابر بن شالح أرفكشاد سام[1] ؟؟

ويرون أن تلقيب « أبرام » بلقب « العبرى » فى النص[2] : فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرى

וַיָּבֹא הַפָּלִיט

וַיַּגֵּד לְאַבְרָם הָעִבְרִי

معناه فى رأيهم ، من هو من نسل «عابر» هذا !!

غير أنا نلحظ أن « أبرام » قد لقب بهذا اللقب مرة واحدة ، بعدها يصمت سفر التكوين عن ذكر ذلك اللقب نحو خمسة وعشرين إصحاحا ، إلى أن يلقب به يوسف حين وفد إلى مصر وكان بينه وبين امرأة

---

(١) سفر التكوين الإصحاح العاشر .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٤

العزيز ماكان إذ قالت(١) : انظروا جاء إلينا برجل «عبرى» ليداعبنا !!

أى أننا نجد الاسم «عبرى» هنا وقد استعمل —دون أدنى شك— لقباً لمن ينتمى إلى شعب معين . ثم يتوالى بعد ذلك استعمال هذا اللقب بهذه الدلالة . حتى ينتهى سفر التكوين ، ثم فى سفرى الخروج وصموئيل الأول . فمثلا جاء على لسان يوسف لرئيس السقاة بعد أن فسر له الرؤيا (لأنى قد سُرِقْتُ من أرض العبريين). ومثل الإشارة إلى قوم يوسف مع شعب مصر (لأن المصريين لايقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبريين) .

وهكذا نرى أن اللقب «عبرى» قد تكرر وروده فى قصة يوسف وفى البيئة المصرية . أما قبل ذلك فلم يرد فى التوراة سوى مرة واحدة مع «أبرام» وكان فيها غامض الدلالة . أو على الأقل دلالته غير مؤكدة .

ولذلك لانطمئن لرأى هذا الفريق من الدارسين . ونتساءل دهشين : ولماذا اختص «أبرام» وحده بهذا اللقب بين من كانوا من نسل «عابر» برغم أن الفترة الزمنية بين «عابر» و«أبرام» على حسب نصوص التوراة نحو ١٥٠٠ سنة ؟! هذا إلى أن اللقب «عبرى» لم يستعمل بعد «أبرام» إلا مع يوسف وحين كان فى مصر ، وبين «أبرام» ويوسف ما يقرب من أربعة قرون . أى أنه بخلال زمن يقرب من ٢٠٠٠ سنة لانجد بين أبناء «عابر» وأحفاده من يلقب بالاسم «عبرى» غير «أبرام» ومرة واحدة !!

وكذلك نتساءل : ولم كانت النسبة إلى «عابر» بالذات ، ولم تكن لمن هو أشهر منه مثل «سام» ؟! أى على نحو ما اشتهر فى العصور الحديثة من نسبة الأجناس السامية واللغات السامية ؟

وأما الفريق الثانى من أصحاب الدراسة التقليدية فيبدأون البحث بالاسم الذى لقب به أبرام فى النص (فأتى من نجا وأخبر «أبرام» العبرى) ، ويرون أن اللقب هنا مع «أبرام» مشتق من الفعل المشهور فى اللغات السامية «عَبَرَ» بمعنى جاوز ، انتقل من مكان إلى آخر . أو من شاطئ إلى شاطىء ، كما يرون أن «أبرام» سمى كذلك لأنه ترك بلاده الأصلية بين النهرين (أور) ، وعبر الفرات نازحا إلى بلاد كنعان .

هم إذن يعدون اللقب «عبرى» مع «أبرام» وصفا أو نعتا خلعه عليه أهل كنعان حين نزح إليهم . ومن هذا النعت اشتق بعد ذلك اسم الشعب كما شهدنا فى قصة يوسف بمصر .

ونحن نلاحظ على هذا الرأى أننا لانعرف فى لغة القوم وصفا على هذه الصيغة «عبرى עִבְרִי » إلا فى حالة النسب .

وأما الوصف العادى المألوف من الفعل «عبر» فهو على صيغة اسم الفاعل أى עֹבֵר بمعنى العابر ، النازح ، المتنقل ، المهاجر

(١) سفر التكوين الأصحاح ٣٩

... إلخ . ولابد إذن أن نفترض أن اللقب הָעִבְרִי المستعمل مع «أبرام» قد أصابه تحريف ، وأنه فى الأصل على صورة اسم الفاعل עֹבֵר

ويؤيد ذلك أمران : أولهما : أن الترجمة السبعينية تشير إلى لقب «أبرام» على أنه وصف عادى معناه العابر أو النازح ولذلك ترجم فيها بالكلمة اليونانية To Peraté .

فى حين أن الكلمة « عبرى » مع يوسف وفى كل النصوص الأخرى من التوراة عوملت فى الترجمة السبعينية على أنها « علم » لشعب معين ، ولذلك بقيت صورتها كما هى فى لغتها الأصلية مع تغيير طفيف اقتضته أصوات اللغة اليونانية ، فصارت Hebraeos ، Hebraeon مما يدل على أن الأسم «عبرى» مع « أبرام» غيره مع يوسف وما بعده من نصوص .

والأمر الثانى أنه مضت قرون أربعة بين «ابرام» ويوسف خلالها لم يلقب «أبرام» بهذا اللقب سوى مرة واحدة ، ولم يلقب به أحد من كل أبناء «أبرام» وأحفاده وهم كثيرون ، إلى أن كان الشأن مع يوسف وفى مصر بالذات ، فلقبته به مصرية هى امرأة العزيز ، وظهر من الاسم مع يوسف وبوضوح ، أنه اسم شعب معين كان معروفا معرفة تامة فى البيئة المصرية .

وربما كان التحريف فى لقب « أبرام » من הָעִבְרִי إلى הָעוֹבֵר متعمدا وقصد به أن ينسب «أبرام» إلى الشعب العبرى وحده ، إذ نشعر أن أصحاب هذا الرأى كانوا حريصين كل الحرص على تأييد رأيهم بكل الوسائل المفتعلة ليستأثروا بالميثاق الذى قطعه الرب مع «أبرام» فى النص (فى ذلك اليوم قطع الرب مع «أبرام» ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات [1]) ؟

ولكنهم تناسوا أن باقى النص كما ورد فى توراتهم يحدد نسل «أبرام» فى عشرة شعوب ويذكر أسماء تلك الشعوب . كما تناسوا عن عمد أن الرب حين غير اسم « أبرام » إلى إبراهيم قال (وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد «أبرام» بل يكون اسمك إبراهيم لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم) .

نحن إذن بعد ما تقدم لا نطمئن إلى الآراء التى ينادى بها أصحاب الدراسة التقليدية . فى تأصيل الاسم «عبرى» ، ونحاول هنا أن نلتمس فرضا جديدا فى تأصيل الاسم «عبرى» الذى استعمل مع يوسف فى مصر كاسم لشعب معين كان معروفا للمصريين تمام المعرفة .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ١٥

وهنا تبرق لنا فكرة الربط بين الاسم «عبرى» الذى استعمل مع يوسف وشاع بعد ذلك فى النصوص الأخرى ، وبين اسم آخر جاء فى ألواح تل العمارنة وفسرت رموزه على أنه «خبرى[1]» ، وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على أقوام من البدو الساميين الذين كانوا يعيشون على الحدود المتاخمة لمصر. وقد ورد الاسم «خبرى» فى ألواح تل العمارنة المنسوبة إلى القرن الرابع عشر ق.م. فى مناسبتين : أولاهما حين استغاث أمراء سوريا وفلسطين إلى فرعون مصر الذى كانوا يدفعون له الجزية لينقذهم من الشعب البدوى المسمى «خبرى» ، لأنه يشن الغارات على مدينتهم . والمناسبة الثانية هى وصية أمنحتب الثالث لإبنه يحذره فيها من أولئك البدو المجاورين الذين يسمون (خبرى) فقد احتلوا المناطق الصحراوية المتاخمة وأصبحوا قوة لا يستهان بها . وتقول هذه الوصية مانصه: (لقد سقطت الأراضى فى أيدى شعب «خبرى») .

من أجل ذلك نفترض أن الاسم «عبرى» الذى لقب به يوسف فى مصر ؛ والذى اشتهر على ألسنة المصريين كاسم لشعب بدوى مجاور هو نفس الاسم (خبرى) الذى جاء فى ألواح تل العمارنة ، والذى تفيد النقوش أن المصريين القدماء أطلقوه على شعب بدوى على حدود مصر .

ولاشك أن الاسم (خبرى) مستمد من اللغة المصرية القديمة ، وإن كنا لا ندرى حتى الآن دلالته الأصيلة فى تلك اللغة .

وإذا قارنا بين الاسمين (عبرى ، خبرى) وجدنا أن الحروف الصحيحة فيها تتشابه تشابها كبيرا ، ففى كل منهما ثلاثة حروف صحاح ، أحدها حرف حلق (العين فى الاسم الأول والخاء فى الثانى) ، ثم الباء والراء فى كل من الاسمين . ونحن نعلم أن الإبدال بين العين والخاء ممكن فى الدراسات السامية المقارنة ، بل لقد رويت له أمثلة فى لهجات اللغة العربية مثل : العُنظب ، الخنظب = الذكر من الجراد . الدّعْم ، الدخم = الدفع ؛ رجل أصلع ، أصلخ . المَعْن ، المخن من الرجال = الطويل .

أى أن الاسم (خبرى) الذى أطلقه المصريون القدماء على الشعب البدوى المتاخم هو ما صار فى لغة يوسف وقومه على صورة (عبرى) عن طريق الإبدال بين الخاء والعين ، وعليه فلا

(١) A.A. Trever :
History of Ancient Civilization Vol. 1. P. 66. 83

صلة بين اللقب (عبرى) الذى أطلق على الشعب الذى ينتمى إليه يوسف ومن بعده موسى ، وبين الفعل السامى (عبر) بمعنى جاوز ، انتقل . . الخ .

وكان المصريون القدماء يطلقون على بعض الشعوب الصغيرة المجاورة أسماء مستمدة من اللغة المصرية مثل تسميتهم للفينيقيين بكلمة (تيوخى) التى تعنى بالمصرية صانعى السفن . غير أنا لا ندرى لماذا سموا الشعب البدوى المتاخم بالاسم (خبرى) ، ولم نستطع حتى الآن الاهتداء إلى دلالته الأصيلة فى اللغة المصرية القديمة .

ولعل مما يستأنس به فى صحة هذا الغرض تحجر الاسم (عبرى) وعدم اشتقاق اسم اللغة منه إلا فى العصور المسيحية ، وعلى صورة غير مألوفة فى أسماء اللغات كما جاءت فى العهد القديم من أمثال :

אֲרָמִית

יְהוּדִית

الاسم عبرى فى التراث الإسلامى :

لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر للاسم (عبرى) ، بل ولا فى الحديث الشريف فيما نعرف . سوى ما جاء فى صحيح البخارى فى إحدى روايتين بمناسبة ورقة بن نوفل (فانطلقت خديجة حتى أتت به (النبى) ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ، وفى رواية بالعربية).

ونحن نرجح رواية «فيكتب من الإنجيل بالعربية» . إذ على فرض صحة الرواية الأخرى نتساءل ، مع دهشة واستغراب : ولمن كان ينقل من الإنجيل باللغة العبرانية؟! ولأى هدف كان يترجم نصوص الإنجيل من لغته الأصلية وهى السريانية إلى اللغة العبرانية ؟!

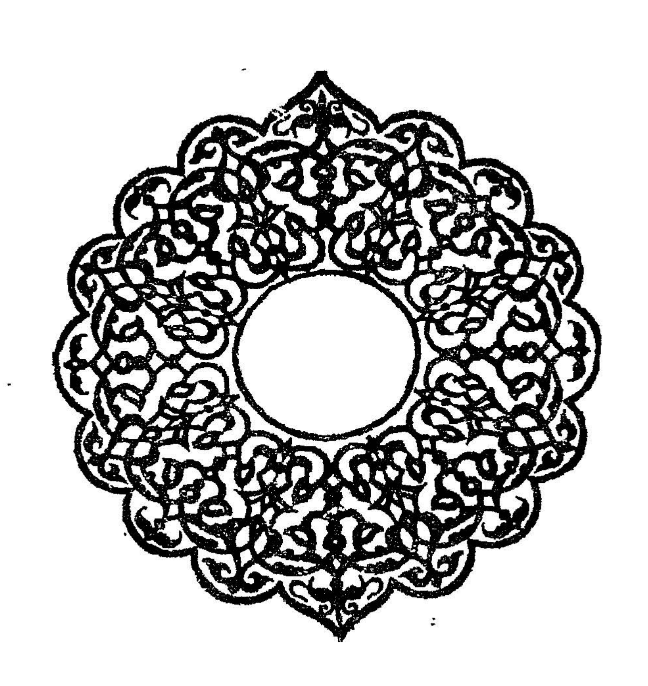
لذلك نرى أن الأقرب إلى المعقول المقبول هو أن ورقة بن نوفل وهو العربى القرشى كان يترجم نصوص الإنجيل إلى العربية لغة آبائه وأجداده ليهتدى بهذه النصوص قومه وعشيرته .

والاسم (عبرى) على كل حال لم يعرف فى التراث الإسلامى بصورة مؤكدة إلا فى حدود القرن العاشر الميلادى ، فقد اشتهر حينئذ كاسم للغة القوم أكثر منه اسما للشعب .

ويبدو أن ذلك قد بدأ يتسرب إلى التراث الإسلامى بعد تلك النهضة الأدبية التى حاولها اليهود فى الأندلس ، فقد ظهر لهم آنذاك ، وفى ظل سماحة الإسلام ، إنتاج أدبى غزير بلغتهم التى أطلقوا عليها اسم « اللسان العبرى » . ثم شاع هذا الاسم بين المؤلفين من المسلمين ، ولا سيما فى المعاجم العربية . فيقول صاحب معجم لسان العرب : « والعبرى بالكسر والعبرانى لغة اليهود» . ويقول الفيروزبادى : «العبرى والعبرانى لغة اليهود » . ويرى اللغويون العرب أن الألف والنون زيدت فى النسبة عبرانى على غير قياس .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة
ابراهيم أنيس



الثقافة العربية اليوم وغداً

— ٢ —

العلوم الإنسانية

للدكتور ابراهيم مدكور

أشرنا فى الكلمة السابقة إلى نشأة الثقافة العربية وتطورها ، وبينا أن نهضتنا الثقافية المعاصرة تصعد إلى القرن التاسع عشر ، ظهرت بوادرها فى مصر أولا ، ثم امتدت شيئا فشيئا إلى بلاد عربية أخرى . ويعتبر القرن العشرون البدء الحقيقى لهذه النهضة ؛ لأنه قرن التحرر والاستقلال ، قرن الازدهار والرخاء . وأريد بها أن تكون ثقافة عربية أولا تعبر عن العالم العربى فى آماله وآلامه ، ولم يكن غريبا أن تعنى باللغة القومية ، وأن تعتد بتراثها القديم . ولكنها لم تقف عند هذا ، بل تفتحت أعينها لعلوم العصر وفنونه ، وأخذت منها ما أخذت .

***

١ — بدأت النهضة الثقافية العربية الحالية بالعلوم الإنسانية ، شأنها شأن النهضة الأوربية الحديثة ، فاتجهت أولا نحو التراث العربى القديم تحيى معالمه ، وتستلهم منه .

والتراث العربى خصب فسيح ، وهو دون نزاع أغنى مخلفات الحضارات القديمة والمتوسطة ، لأنه صنيع عدة شعوب ووليد ثلاثة عشر قرنا . وجه إليه الدين أصلا ، فكان الاشتغال به عبادة ، وتعهده تقربا . تعددت ألوانه ، وتنوعت أبوابه ، فيه شرعيات ولغويات ، فيه تاريخ وقصص ، فيه فن وأدب ، فيه علم وفلسفة . ولإعطاء فكرة عن سعته وتنوع مواده ، يكفى أن نشير إلى مرجعين اثنين عنيا بحصره . وقد ظهر أولهما فى القرن العاشر الميلادى ، وهو «الفهرست» لابن النديم ، الذى شاء أن يحصى ما ألف أو ترجم إلى العربية لعهده ، وأسفر إحصاؤه عن عشرات العلوم والفنون ، ومئات المؤلفات ، ومئات المؤلفين . وظهر الثانى فى القرن السابع عشر ، وهو : «كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون» ، ويشتمل على نحو ٣٠٠ فن ، وعدة آلاف مؤلف ، ونحو ١٥٠٠٠ كتاب . ورأت الجامعة العربية قياما

بواجبها الثقافى . أن تجمع هذه المخطوطات ، وأن تيسر أمرها للدارسين والباحثين ؛ فأنشأت عام ١٩٤٧ معهدا للمخطوطات استطاع حتى الآن أن يوفد عشرات البعثات إلى العالم العربى والعالم الإسلامى ، بل إلى بعض العواصم الأوربية بحثا عن المخطوطات وحصل على صور لما يزيد عن ٣٠ ألف منها ويعد هذا المعهد مركزا كبيرا من مراكز الثقافة العربية اليوم .

وقد تنبه المستشرقون إلى هذه الثروة الفكرية الهامة ، وقاموا بإحياء قدر منها فى القرن الماضى . ثم اضطلع العرب أنفسهم بذلك ، وبدءوا فى القرن نفسه يحققون وينشرون . واشتد نشاطهم فى القرن الحالى ، فحاولوا أن يحملوا العبء عمن سبقهم من المستشرقين وعنوا بذلك عناية خاصة . وأصبح إحياء التراث بابا فسيحا من أبواب الثقافة العربية المعاصرة ، وتكاد تسهم فيه البلاد العربية جميعها ، وتخصص فيه بعض الناشرين ، وله نسبة ملحوظة بين ما يظهر من كتب عربية كل عام . وقد ينشر مؤلف واحد مرتين فى آن واحد ببلدين عربيين ، وحبذا لو نظم ذلك ونسق ، ورتبت فيه أولويات ، ووزع بين الناشرين فى العالم العربى ، على نحو ما يتم من تنسيق بين إنجلترا والولايات المتحدة فى نشر كبار المؤلفات الإنجليزية . والمهم على كل حال ، أن يقوم بالتحقيق والنشر من هو أهل له ، وأن يفرغ كل ناشر لما تخصص فيه .

٢ – وإلى جانب النشر والتحقيق تجىء الدراسات اللغوية والأدبية ، وهى بدورها من باكورات النهضات الثقافية ، يبدأ بها لأنها من وسائل النهوض والتقدم . وسبق لى أن أشرت إلى محاولات الاستعمار فى فرض لغاته ، آملا أن تحل محل العربية ، ولم تتردد بعض القوى الوطنية فى معارضة ذلك . هذا إلى أن مستحدثات العلم والحضارة جلبت مسميات وأسماء غير عربية ، فإما أن تقبل المسميات بأسمائها ، وإما أن توضع لها أسماء جديدة ، والعربية نفسها كسائر اللغات ظاهرة اجتماعية تخضع لسنة النشوء والارتقاء . وقد دفع ذلك كله ، أسوة بما حدث فى فرنسا فى القرن السابع عشر ، إلى التفكير فى إنشاء مجامع لغوية تحافظ على سلامة اللغة ، وتجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر . وسبقت مصر إلى ذلك ، فأنشأت عام ١٨٩٢ مجمعا أهليا ، ومضت تطور الفكرة زمنا إلى أن استقر الرأى عام ١٩٣٢ على إنشاء مجمع حكومى مثلت فيه البلاد العربية ونفر من كبار المستعربين ، وهو القائم إلى اليوم . وقد نجح هذا المجمع فى إثبات أن اللغة ملك لأهلها ، وأن فى وسعهم أن ينموها ويغذوها . واستطاع أن يبسط قواعدها ، وأن ييسر أقيستها ، وعنى

خاصة بلغة العلم وألفاظ الحضارة ، واستحدث مناهج جديدة فى التأليف المعجمى. وأخذ بالفكرة بعض البلاد العربية ، فأنشئ مجمع دمشق عام ١٩١٩ ، ومجمع بغداد عام ١٩٤٧ ، وتتهيأ بلاد عربية أخرى لإنشاء مجامع جديدة ، وكان لابد من قيام اتحاد يربط هذه المجامع وينسق عملها ، وقد أنشئ فعلا منذ ثلاث سنوات .

٣ – وأما الإنتاج الأدبى فما أكثره وما أغزره فيه أخذ ومحاكاة ، وفيه إبداع وابتكار. يحاكى أروع ما عرف فى الماضى ، ويبتكر صورا جديدة من الحاضر . وكان للتنافس بين القديم والجديد شأن فى ظهور أدب يتسم بسمات العصر ومميزاته. فتوارد على الشعر العربى مدارس وشعراء يحاكون الشعر العباسى فى أزهى عصوره ، أو ينحون منحى الرومانسية الغربية التى تعنى بوحدة الموضوع ، وتدعو إلى أن يعود الأديب إلى نفسه ، ويصور ما يدور بخاطره . ولم يقف الأمر عند موضوع الشعر وأخيلته ، بل امتد إلى وزنه وقافيته ، وظهر الشعر الحر الذى يبدو وكأنه محاكاة واضحة لمؤثرات أجنبية . وكم اشتدت الخصومة بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر الجديد . ولم يخل ذلك من تفاعل بينهما ، فتوسع أنصار القديم فى أوزانهم وقوافيهم ، وحاول أنصار الجديد أن يكسوا شعرهم بقدر من الوزن والموسيقى . وفى النثر ألوان جديدة وطريفة : من مقال ، وقصة ومسرحية ، وسيرة ذاتية. وما المقال إلا تطور للمقامة القديمة ، وقد ساعدت الصحافة والحزبية السياسية على هذا التطور ، ونمته الدراسات الجامعية . فكان للمقال شأن فى الدعوات الإصلاحية ، والحركات السياسية ، والنقد الأدبى ، والتحليل العلمى . وهنالك مقالات سمت إلى مستوى الأدب الرفيع ، وصارت نموذجا يحتذى بين القراء والكتاب. والقصة من أغزر أبواب الأدب العربى المعاصر . اعتمدت على الملاحظة الدقيقة والتحليلات العميقة . رسمت البيئة العربية رسما معبرا ، وكشفت عن زوايا خفية لدى الفرد والمجتمع . وما المسرحية إلا قصة تعتمد على الحوار ، وضعت شعرا ونثرا . وعبرت عن الماضى المدفين ، أو عن الواقع الصريح ، تنحو منحى النقد والسخرية . أو تحمل راية الإصلاح والتجديد . وفى الأدب العربى المعاصر قصص ومسرحيات لاتقل عن نظائرها فى الآداب العالمية ، وترجم قدر منها إلى عدة لغات. والسيرة معروفة فى الأدب العربى من قديم ، وقد نحت اليوم منحى جديدا ، وأجملها السيرة الذاتية التى تكشف عن أعماق النفس وتسجل اعترافات أخاذة ، وتوضح بعض معالم التاريخ . ونعتقد أن فى كل هذا ما يبين كيف تطور الأدب العربى المعاصر : بدأ بالتقليد ، ثم انتقل إلى تفاعل بين القديم والجديد ، وانتهى أخيرا إلى مرحلة اكتملت فيها شخصيته واستقامت معالمه ، واتضح استقلاله .

٤ — والفن والأدب مرتبطان ومتعاونان . وقد عرف العالم العربى الفن من قديم . وربما اجتمعت فى بلد واحد فنون متلاحقة ، فعرفت مصر الفن الفرعونى والرومانى ، وعرفت الفن القبطى والإسلامى. ولمصر الحديثة سبق فى الإنتاج الفنى ، فظهرت فيها الفنون التشكيلية فى عهد إسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩)، وأنتج بعض الفنانين الفرنسيين لوحات رائعة تمثل الحياة الشعبية فى مصر إبان القرن التاسع عشر. وتلاها فى القرن العشرين إنتاج لايقل عنها روعة ، وقد اضطلع به المصريون أنفسهم. وإلى جانب التصوير عنى بالنحت كذلك ، واستعادت مصر شيئا من فنها الفرعونى القديم . وللفنانين المصريين معارضهم التى أقاموها داخل البلاد وخارجها ،وأحرزوا قصب السبق فى بعض المعارض الدولية ، وفى العواصم الكبرى ، وبخاصة القاهرة والإسكندرية ، متاحف ومراسم متعددة ، وبدىء فى إنشاء المعاهد الفنية منذ عهد مبكر : ففتحت «مدرسة الفنون الجميلة» فى القاهرة أبوابها عام ١٩٠٨ ، وتلتها معاهد أخرى ، ولم تتخلف المرأة فى ممارسة الفنون الجميلة ، وفى عام ١٩٤٠ أنشىء أول معهد عال لمعلمات الفنون الجميلة .وفكر أيضا فى إنشاء جمعيات فنية ، وأولاها «جمعية محبى الفنون الجميلة » التى تأسست عام ١٩٢٢ . ولا تزال تؤدى رسالتها إلى اليوم . وفى البلاد العربية الأخرى خطوات فى سبيل الفن التشكيلى ، بعضها بادئ ووصل بعضها الآخر إلى درجة لابأس بها . وفى التاريخ، ومناظر الطبيعة الحية ، والأحداث السياسية الكبرى غذاء مستمر لفنانى العرب شرقا وغرباً.

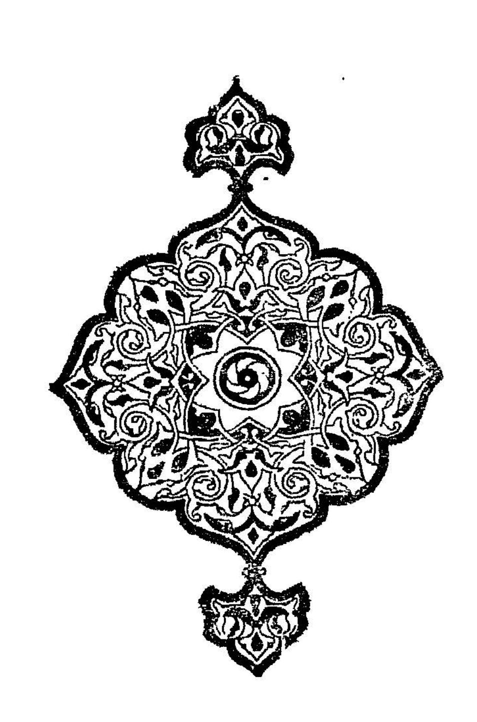
٥ — ومن الفنون العربية : الموسيقى والغناء ، ولهما تاريخ طويل يرجع إلى العصر الجاهلى ، يسير بسير الحضارة . وقد ازدهرت الموسيقى العربية فى العصر العباسى ازدهارا كبيرا ، فأخذت عن الفرس واليونان ما أخذت ، وأبدعت تحت تأثير الحضارة والمدنية ما أبدعت ، وكان لها رجالها البارزون من موسيقيين ومغنين . ولم يقنع العرب والمسلمون فى الموسيقى بالتطبيق والعمل، بل أضافوا إليه البحث والنظر ؛ فكتبوا فى عالم الموسيقى وألفوا ، كانت لهم فيه آراء ونظريات. ثم عدا الزمان على هذه النهضة الموسيقية: وتوقفت أو كادت مع توقف مظاهر الحضارة العربية فى عصور الظلمة والانحطاط: ويوم أن استيقظ العرب استيقظت معهم فنونهم ، فأخذوا يحيون موسيقاهم بألحانها وأنغامها ، بمقاماتها وضروبها ، بموشحاتها وقصائدها . وقد رغب محمد على فى أن يربى جنوده تربية موسيقية ،

فعنى بالموسيقى العسكرية ، معولا على المعزوفات التركية ، واستحدث فنا موسيقيا شبه تركى . بيد أن هذه المعزوفات التركية ، هى التى وجهت الأنظار من جديد نحو الموسيقى العربية ، وحظيت مصر بمجموعة من كبار الفنانين الذين حاولوا إحياء هذه الموسيقى العربية وتطويرها ، أمثال عبده الحامولى (١٩٠١) ، ومحمد عثمان (١٩٠٠) . وأسهم المسرح الغنائى بمصر فى النهضة الموسيقية المعاصرة ، وعلى رأسه سلامة حجازى (١٩١٧) . وجاءت السينما والإذاعة : المسموعة والمرئية ، ففتحت أمام الموسيقى ميادين جديدة : وعاونت على تربية الشعب تربية موسيقية ، وأفسحت السبيل للمؤلفين والملحنين والمغنين . ودفعت أم كلثوم (١٩٧٥) الغناء العربى دفعة قوية كان لها صداها فى الشرق والغرب . ومنذ أوائل هذا القرن أخذت البلاد العربية عامة تتعهد فنها الموسيقى ، ويحاول شمال أفريقيا جاهدا أن يحيى الموسيقى الأندلسية ، وفى المشرق العربى نغمات وأصوات عربية أصيلة . وعقدت للموسيقى مؤتمرات ، وأنشئت معاهد متخصصة ، وأرسلت بعثات إلى أوربا لاستكمال الدراسة الموسيقية . وبذلت جهود فى مزج الفن العربى بالفن الأوربى ، فعرفت السمفونية ، وفرق الاستعراض . ولايزال للموسيقى العربية طلابها وعشاقها .

٦ ـ والعمارة من الفنون التى تأثرت بالنهضة الحديثة ، وكان طبيعيا أن يتجه محمد على فى مصر نحو تركيا أو نحو أوربا ليأخذ عنها مظاهر الحضارة والعمران . فاستقدم المهندسين والفنيين الأوربيين لإنشاء القناطر ودور الصناعة وأحواض السفن ، وعنى خلفاؤه بتخطيط المدن وتشييد القصور على مقربة من مجرى ماء ، على نحو ما حدث فى البسفور وباريس . وانصب العمران فى القرن التاسع عشر على القاهرة والإسكندرية بوجه خاص ، وكان حظ القاهرة أعظم . فأنشئ فيها مسجد محمد على الشهير بالقلعة ، وقصر عابدين ، وخططت شوارع جديدة ، وبنيت دار الأوبرا التى عمرت نحو قرن والتهمها الحريق أخيرا ، وأسس « كوبرى » قصر النيل . وفى الإسكندرية خطط بعض الشوارع والميادين وأنشئت قصور أهمها رأس التين والمنتزة . ولم يلتزم فى ذلك كله طراز خاص ، فجمع بين الكلاسيكى والقوطى ، بين الفرعونى والإسلامى ، فى شىء من التلفيق والتوفيق . وفى القرن العشرين امتد العمران إلى عواصم أخرى شمالا وجنوبا ، واتسعت آفاقه . وأنشئت مدرسة المهندسخانة لتخريج مهندسين مصريين ، وأوفد عدد منهم إلى أوربا وأمريكا ، وحل المهندس المصرى محل المهندس الأجنبى . وازداد اختلاط الطرز بعضها ببعض ، لاسيما وقد

ضعفت فى أوربا نفسها روح الاستمساك بالطراز الكلاسيكى . وأصبحت الخطوط المستقيمة الرمز السائد ، وغزت ناطحات السحاب القاهرة والإسكندرية ، كما غزت فى أوربا عواصم أخرى كانت أميل إلى المحافظة . وسارت العمارة فى الأقطار العربية سيرها فى مصر . وإن تأخر تطورها بعض الوقت ، فحاكت فى أوائل هذا القرن الطراز السائد فى تركيا ثم أخذت تتأثر بالطرز الأوربية والأمريكية وبدأت تظهر فيه أخيرا ناطحات السحاب ، وعولت فى كثير من إنشاءاتها ، وبخاصة فى المشرق ، على المهندسين المصريين ، ولم يبق للفن الإسلامى مجال يذكر ، اللهم إلا فى بناء بعض المساجد والمعاهد والأضرحة ، أو فى ترميم بعض الآثار القديمة ، ويرجع ذلك فى الغالب إلى زيادة تكاليفه ، وصعوبة صيانته وتعهده. (يتبع) .

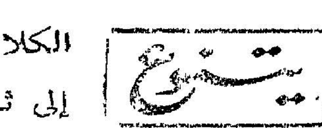
ابراهيم مدكور
رئيس المجمع



بسم الله الرحمن الرحيم

السجع وتناسب الفواصل وما يكون من ذلك في القرآن الكريم

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج



الكلام من حيث نظمه إلى ثلاثة أنواع : شعر ، وسجع ، وكلام مرسل .

وإن شئت قلت : هو — من حيث النظم — نوعان أصليان ، يندرج تحت أحدهما قسمان فرعيان : النوع الأول الشعر ، والنوع الثاني النثر ويندرج تحت النثر فرعان : هما السجع والكلام المرسل .

ويمتاز الشعر عن النثر بفرعيه بأوزانه الخاصة ، وبحوره وتفاعيله المعروفة .

أما السجع فإنه ينفصل عن قسيمه « النثر غير المسجوع » بالتقفية ، وهي أن تكون الفقرة من الكلام منتهية بمقطع تنتهي به فقرة بأخرى أو عدة فقرات .

والكلام المسجوع أي المقفى لا يدخل بهذه التقفية في نطاق الشعر ، لأنه تعوزه مقومات الشعر ، وهي تلك الأوزان — أو البحور المعروفة — التي جعلت لها عناوين خاصة .

فالكلام المسجوع مقفى بما يشبه قافية الشعر ، لكنه ينقصه وزنه . أما الكلام المرسل غير المسجوع فهو خال من الوزن والقافية جميعاً .

هذا وإن القرآن كلام عربي لا يخرج عن نطاق تلك الأنواع ، ولا يصح أن يقال إنه يمكن أن يجانبها جميعها .

وإذاً فأي شيء من تلك الأنواع يمكن أن يقال إنه أسلوب القرآن الكريم أو يكون قد وقع في أسلوبه ؟

وجواب ذلك هو أن القرآن ليس بشعر ، ولا ينبغي أن يوصف شيء منه بأنه من الشعر ، وهذه حقيقة لا شك فيها ولا شبهة .

لكن هل يمكن أن يحكم بأنه خال أيضاً من التقفية ، وأنه ليس فيه شيء من النثر المسجوع ؟ وإذا كان الأمر كذلك فماذا يقال فى آيات كثيرة جداً من سور كثيرة أيضاً من القصار وغير القصار قد ختمت بذو اصل متناسبة لا تختلف فى شيء عن تقفية السجع ؟

إنه إذا كان من الحقائق التى لا شك فيها ولا شبهة أن القرآن ليس شعراً وليس فيه ما قصد وصله بشيء من موازين الشعر فإن من الحقائق التى لا شك فيها ولا شبهة أيضاً أن كثيراً من السور القرآنية قد بنيت آياته كلها أو أغلبها على تناسب الفواصل . وإذاً فالقرآن فى أسلوبه العام — فيما عدا تلك السور والآيات ذات الفواصل المتناسبة — هو من الكلام المرسل .

هذا ، والفواصل فى القرآن قد تكون من نوع واحد من أنواع مختلفة :

١ــ فسورة الضحى : قوله تعالى : (والضُّحَى والَّيل إذا سَجَى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى وَلَلآخرةُ خَيْرٌ لك مِنَ الأولى) قد بُنيت فى أغلب آياتها على فاصلة الألف . وهى من قصار السور .

٢ــ وكذلك سورة «طه» — وهى من السور المتوسطة بين الطوال والقصار — قد جاءت آياتها أغلبها على فاصلة الألف : (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ؛ إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العُلى ؛ الرحمن على العرش استوى ؛ له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) .

ومن السورة نفسها قوله تعالى : (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى . قال فمن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) .

وقد تخرج مجموعة من الآيات عن الفاصلة الغالبة إلى فاصلة أخرى ، كما جاء فى هذه السورة أيضاً فى قوله تعالى :

(قال ربِّ اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ؛ واحلُل عقدة من لسانى ؛ يفقهوا قولى ؛ واجعل لى وزيراً من أهلى ؛ هارون أخى . اشدُد به أزرى ؛ وأشركه فى أمرى) .

وعقب هذه الآيات نجد مجموعة ثالثة من ثلاث آيات ختمت بفاصلة غير ماختمت به المجموعتان الأوليان ، وذلك قوله تعالى : (كى نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً) . ثم تعود السورة إلى الفاصلة الغالبة فاصلة الألف .

٣ــ وكذلك سورة النجم . أغلب آياتها على فاصلة الألف : (والنجم إذا هوى . ماضلَّ صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القُوى . ذو مِرَّة فاستوى

وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلّى . فكان قاب قوسين أو أدنى) .

وهكذا إلى قرب ختام السورة فتخرج الآيات إلى فاصلة فى مجموعة من آيتين؛ وذلك فى قوله تعالى : (أزِفَت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة) ؛ ثم إلى فاصلة ثالثة فى مجموعة ثالثة فى قوله تعالى : (أفمِن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ؛ وأنتم سامدون)

٤ ــ وكذلك الحال فى سورة مريم والفرقان ، والصافات ، والملك ، والقلم ، والحاقة ، والتكوير ، والانشقاق وكثير غيرها .

د ــ بل إن فى القرآن سوراً قد بنيت آياتها جميعها من أولها إلى آخرها على نوع واحد من الفواصل لم تخرج عنه إلى غيره ؛

(ا) وذلك مثل سور « الشمس » : (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاّها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وماطحاها) وهكذا إلى آخر السورة .

(ب) ومثل سورة « الليل » : (والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلّى . وماخلق الذكر والأنثى . إنّ سعيكم لشتّى) .

(ج) وكما فى سورة القمر التى هى أكبر من هاتين السورتين :

(اقتربت الساعة وانشقّ القمر . وإن يروا آية يُعرِضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكلّ أمر مستقر) . وهكذا قد بنيت السورة كلها على الراء .

* * *

إنه لاشك أن ذلك الذى قدمنا له تلك الأمثلة ليس من نوع الشعر المعهود ؛ ثم لاشك أيضاً أنه ليس من قسم النثر المرسل الذى لم يُبْنَ على تقفية وتناسب فواصل ؛ فلم يبق إلا القسم الآخر الذى هو النثر المسجوع .

فإذا لم تكن تلك الآيات والسور من طبيعة السجع فمن أى طبيعة تكون ؟

هنا يقول بعض الباحثين ــ مستنداً إلى ما هو مقرر من انحصار الكلام فى تلك الأنواع الثلاثة ــ يقول ولايرى فى ذلك شيئا من الحرج ــ إن ذلك الذى ذكر من الآيات والسور المعتمدة على تناسب الفواصل ، هو السجع بعينه فى معناه وحقيقته .

لكن فريقاً آخر من الباحثين لايجيز أن يقال إن القرآن فيه سجع . ولماذا ؟

هل يرون أن حقيقة السجع وماهيته تأبى أن تنطبق على الفواصل المتناسبة فى فى مثل ماقدمناه من السور والآيات ؟

وماهى هذه الحقيقة التى لاتنطبق على تلك الفواصل ؟

إن هؤلاء المانعين الذين لايقولون بالسجع فى القرآن لم يبينوا بياناً شافياً أصل ذلك المنع . ولم يعينوا النقطة التى ينفصل

عندها السجع عن تناسب الفواصل القرآنية حتى يتضح السبيل ويزول الإبهام ويستقيم الأمر فى إطلاق الألفاظ على معانيها الخاصة .

إننا إذا راجعنا الكلام المسجوع الذى كان ينشئه الخطباء والكتاب فى الجاهلية أو فى صدر الإسلام أو فيما بعد ذلك . وبحثنا فيه من حيث فقراته : مقاديرها وفواصلها ، وتقارب هذه الفواصل أو تباعدها واتحادها فى الكلام الواحد أو اختلافها فإننا نستطيع أن نستلخص الأمور الآتية :

١ — إنه لم يكن حتما أن تقوم الخطبة كلها أو الرسالة جميعها على فاصلة واحدة ، بل كان يخرج الخطيب أو الكاتب بعد عدة فقرات يبنيها على فاصلة معينة — إلى فاصلة أخرى — يبنى عليها مجموعة أخرى من الفقرات ؛ ثم قد يخرج أيضا من الفاصلة الثانية إلى ثالثة ورابعة ، وهكذا على حسب ما يسمح به المقام .

٢ — لا يلزم فى المجموعة الثانية أو ما بعدها أن تكون عدة فقراتها مساوية لفقرات المجموعة الأولى ، فإنها قد تزيد عليها ، وقد تنقص عنها .

٣ — إن فواصل كل مجموعة من الفقرات تكون — فى أغلب الأمر — متقاربة ، إذا كانوا يميلون إلى أن تكون الفقرات قصيرة ؛ ولكن ذلك ليس معناه أن تضبط كلمات كل فقرة أو حروفها بعدد معين تتساوى فيه تلك الفقرات ؛ بل يكفى ألا يكون بينها فى ذلك تفاوت بيّن .

٤ — إن بعض من كانوا يعنون من أولئك الخطباء والكتاب بأمر السجع ويلتزمونه فى بعض خطبهم وكتبهم كثيراً ما كانوا ينظرون إلى السجع فى المقام الأول ، أما المعنى فقد كان نظرهم إليه فى المنزلة الثانية .

وقد يضطرهم الشغف بالسجع والتزامه إلى تكلفات يصير بها معنى بعض الفقرات غامضاً مبهماً أو قليل الجدوى .

وهذا فى أغلب الأمر هو شأن الكلام الذى تكون العناية فيه بالمعنى وراء العناية باللفظ على حين أن الكلام الجيد هو الذى يكون فيه اللفظ تابعاً للمعنى .

٥ — إن السجع قد يطلق إطلاقاً خاصًّا بدلالة المقام ومعونة القرائن على ما يكون من الكهان الذين يرجمون فيه بالغيب ويتحدثون به عن المستقبل ، يدّعون به معرفة أسرار الأقدار ، ويتخذون فى ذلك وسائل من الخداع والتمويه بما يودعون أسجاعهم من الإبهام والغموض ، واستخدام الألفاظ التى تحتمل أكثر من معنى .

* * *

هذه الأمور الخمسة التى قدمناها منها الثلاثة الأولى لا يتبين منها فارق ذو شأن يمكن أن يفصل بين السجع وفواصل آيات القرآن الكريم ؛ فإن من الآيات القرآنية ذات الفواصل المتناسبة ما تكون فواصله — كما علمنا —

متقاربة بسبب قصر تلك الآيات ، وذلك كما قلنا في السجع .

ومنها ما تكون مجموعة منها على فاصلة، ثم تخرج مجموعة بعدها إلى فاصلة أخرى . وقد تخرج مجموعة ثالثة إلى فاصلة ثالثة كما هو الحال في الكلام المسجوع .

أما الأمران الأخيران فهما اللذان يصح الفصل بهما بين السجع وفواصل آيات القرآن؛ فإن هذه الفواصل مبرأة مما هو سبب ذم السجع على ما أشير إليه في هذين الأمرين.

لكن قد يقال : إن المحذورات التي من أجلها كان ذم السجع ليست ذاتية له ولا ناشئة من طبيعته ، وإنما هي أمور عارضة يمكن أن ينفصل عنها ويتجرد منها فلا يكون مذموماً .

فتكلف السجع — وهو الذي أشير إليه في الأمر الرابع من الأمور الخمسة — عيب مذموم ؛ والعناية فيه بأمر اللفظ أكثر من الاهتمام بالمعنى حتى تجيء بعض العبارات غامضة مبهمة أو قليلة الجدوى عيب آخر أشد من الأول وأقبح منه .

وكذلك ما أشير إليه في الأمر الخامس من التكهن بالسجع والرّجم فيه بالغيب وهو عيب من أشد العيوب وأولاه بالذم . لكن ذلك كله ليس بمستحيل أن يجرد منه الكلام ؛ فإنه — كما قلنا — من الصفات العارضة وليس من الذاتيات الملازمة ؛

فالسجع المتكلف وسجع الكهانة ليس شيء منهما مذموماً من حيث إنه سجع وتنسيق فواصل ، وإنما هو مذموم من حيث إنه تكلف أو إسراف في التكلف ، أو من حيث إنه تكهن بالتحدث عن المستقبل والرجم فيه بالغيب . فهو كذب ودجل وغش وخداع . وذلك شيء ليس من لوازم تنسيق الكلام ومراعاة التناسب بين فواصله، وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يمنع أن يقال إن القرآن فيه سجع ؟

قد يقال هذا ، وهو كلام له في ذاته وجهة نظر قوية .

ويمكن الجواب عنه بأن ما قدمناه من البيان قد يتضح به سبيل القول ويتجلى وجه الحكم فيما ينبغي أن يقال في شأن السجع من جهة وقوعه أو عدم وقوعه في القرآن الكريم .

وذلك أنه قد خلص من ذلك البيان فيما أشير إليه في الأمرين : « الرابع والخامس » أن ذم ذلك السجع والنعي على ما فيه من عيب ليس لأنه مطلق سجع ، وإنما هو لأنه سجع متكلف أو سجع كهانة .

فإذا كان الشأن الغالب فيما أثر من سجع بعض الخطباء والكتاب الشغوفين به والمفرطين فيه أنه مفتعل متكلف ، قد عُنوا فيه بأمر اللفظ أكثر مما عنوا بأمر المعنى حتى جاءت بعض العبارات فيه صوراً بغير قلب ، وقشوراً بغير لب

فإنه يكون حينئذ معيبا مذموما فإذا نظر إلى هذه الحالة أمكن أن يقال إنه ينبغي ألا يطلق اسم السجع على ما يكون في القرآن الكريم من الفواصل المتناسبة تجنبا للفظ الذي ينبيء عن العيب والذم .

وكذلك ينبغي أن يتجنب إطلاق لفظ السجع على تلك الفواصل القرآنية من أجل أن الكلمة كثيراً ما تطلق على سجع الكهانة الذي لايخلو من الخداع والتمويه والكذب .

هذا هو الذي نراه مانعاً من إطلاق لفظ السجع على فواصل القرآن الكريم . وليس المانع هو ماتدل عليه كلمة السجع من أنه قول متناسب الفواصل ، فإن تناسب الفواصل في القرآن حقيقة واقعة ، وردت وتكررت في مواطن كثيرة من سوره وآياته .

رأى الباقلانى فى المسألة

القاضي أبو بكر الباقلاني ينكر ورود السجع في القرآن الكريم ، وينعى على من يقول إن القرآن فيه سجع . يشتد في الإنكار حتى يصل به ذلك إلى درجة أنه لا يرى في تناسب الفواصل الذي استفاض أمره في السور والآيات القرآنية — أنه مقصود أن يكون تناسب فواصل ؛ فهو يقول إن المقصود بذلك إنما هو إظهار وجه من وجوه الإعجاز القرآني من حيث مجيء القصة الواحدة في أساليب مختلفة، يقدم في بعضها من مفردات الجملة ما يؤخر في بعض آخر ، مع المحافظة على المعنى وعلى قوة النظم وروعة الأسلوب ، وذلك دليل الاقتدار وآية البراعة والبلاغة .

هكذا يقول الباقلاني في «إعجاز القرآن» وهكذا ينقله السيوطي مبسوطا في كتاب «الإتقان» ؛ وبهذا يرد على أنصار القول بالسجع في القرآن الكريم ، إذ قالوا : إن الدليـــل على وقوع السجع في القرآن ما جاءت به الآيات في الحديث عن موسى وهارون فإنه قد مضى الاتفاق على أن أن موسى أفضل من أخيه هارون ، فإذا اقترنا في الذكر كان الأصل أن يقدم موسى لكن من أجل مراعاة السجع في بعض الآيات قدم عليه هارون ؛ وذلك في قوله تعالى : (فألقى السحرة سُجَّداً قالوا آمنا برب هارون وموسى » (٧٠ طه) فإن الفواصل في هذه الصورة مبنية على الألف.

ثم لما كانت الفواصل في آيات أخرى قد بنيت على الواو والنون أو الياء والنون قدم فيها اسم موسى على هارون . كما في قوله تعالى : (قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) (٤٧ — ٤٩ الشعراء) :

هذا ماقاله أنصار السجع في القرآن ، وهو كلام قوي ووجيه .

ونحن نضيف إليه ما يزيده قوة ووجاهة ، أنه ورد فى القرآن عشرات المرات ذكر الأرض مقرونة بالسماء مفردة ومجموعة ، وفى هذه المرات جميعها نجد أن السماء أو السموات مقدمة على الأرض إلا فى مواضع قليلة جداً قد قدم فيها ذكر الأرض ويتجلى فى موضعين وذلك من أجل تناسب الفواصل .

فمن ذلك فى قوله تعالى : (تنزيلا ممّن خلق الأرض والسموات العلى ؛ الرحمن على العرش استوى) (٤ ، ٥ سورة طه) . فإن فواصل السورة على الألف ؛ ومراعاة للتناسب بين هذه الفواصل قدمت الأرض على السموات التى وصفت بوصف «العلى» المختوم بالألف .

ولذلك لما انتهى هذا الاقتضاء وجاء الجمع مرة أخرى بين الأرض والسماء فى الآية التالية للآيات السابقة مباشرة عاد الاقتران إلى أصله فقدمت السموات على الأرض : (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) .

ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه : (ربنا إنك تعلم ما نُخفى وما نُعلِن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء) .
(٣٨ ، ٣٩ إبراهيم) .

فقد قدمت الأرض على السماء فى هذه الآية لأنه أريد تناسب الفاصلة فيها مع الفواصل الأخرى المبنية على الهمزة بعد مدّة الألف .

ويجيب الباقلانى على هذا بقوله : «وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون فى موضع وتأخيره عنه فى موضع آخر لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهى أن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتتبين فيه البلاغة ؛ ولهذا أعيد كثير من القصص فى مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكرراً » . ثم قال : « فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعاً دون السجع الذى توهموه » .

هذا هو ما أجاب به الباقلانى على ذلك الدليل القوى الذى استدل به أنصار السجع فى القرآن.

وغريب جداً من الباقلانى أن ينفى أن يكون مقصوداً ذلك السجع أو تناسب الفواصل فى الآيات التى قُدم فيها اسم موسى على هارون مرة وأخر عنه مرة أخرى وأن يجعل ذلك التقديم والتأخير لمحض

إظهار الإعجاز" بتغيير النظم والأسلوب في الحديث عن القصة الواحدة مع المحافظة على المعنى ...

ولماذا تكون إرادة ذلك المعنى الذي يرجع إلى إظهار البلاغة مانعة من أن يكون في تلك الآيات أيضاً سجع أو تناسب فواصل مقصود ؟

إنه لاشك في براعة القرآن وقوته في تنويع الحديث بأساليب مختلفة عن الغرض الواحد والمعنى الواحد.

ولكن لاشك أيضاً في أن الآية التي قدم فيها اسم هارون على موسى قد قصد فيها القرآن أن تكون على فاصلة الألف تحقيقاً للتناسب بينها وبين بقية الآيات ، وأنه في الآية الأخرى التي قدم فيها موسى على هارون قد قصد هذا التقديم مراعاة للتناسب مع الآيات التي بنيت على فاصلة الواو والنون. مع كون ذلك هو الأصل أيضاً.

هذا شيء لاينبغي إنكاره، . وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك ما يمنع القول بأن تلك الآيات فيها سجع أو فيها تناسب فواصل؛ مع إفادة ذلك المعنى الذي هو إظهار البلاغة ؛ وذلك على خلاف ما ذهب إليه الباقلاني من إفراد هذا المعنى وجعله هو المقصود وحده بالتقديم والتأخير في تلك الآيات .

لا ، بل نحن نستطيع أن نقول : إن ذلك التقديم والتأخير قد قصد به السجع وتناسب الفواصل وحده . أما إظهار البلاغة والبراعة بتنويع الحديث عن المعنى الواحد فهو فيما وراء ذلك؛ فإن هذا التنويع كان يمكن أن يكون بالتقديم والتأخير في اسمى هارون وموسى على غير الوجه الذي وردت به الآيات ؛ وذلك بأن يقدم هارون على موسى في آية «الشعراء» حيث فواصل الآيات مختومة بالواو والنون ، ويقدم موسى على هارون في آية «طه» حيث الفواصل مختومة بالألف.

فالتنويع الذي يقول «الباقلاني» إنه مظهر البلاغة كان يتحقق بهذا الوجه من التقديم والتأخير ، ولكن كان يفوت به حسن المقاطع وجمال الأسلوب . فالتقديم والتأخير الذي وردت عليه الآيات القرآنية هو الذي يحقق ذلك الحسن ، ويمكن للأسلوب جماله وروعته .

وإذاً يكون السجع وحده أو تناسب الفواصل وحده – على اختلاف التعبير – هو المقصود بذلك التقديم والتأخير في آيات هارون وموسى ، وكذا في آيات الأرض والسماء .

ولذلك نجده موقفاً غريباً ذلك الذي يقفه القاضي الباقلاني في مسألة السجع أو تناسب الفواصل في القرآن الكريم .

. فبماذا يفسر موقفه هذا الذى ينكر به إنكاراً شديداً أن يكون فى القرآن سجع أو تناسب فواصل؟

. نظن - وليس كل الظن من الإثم - أن سبب ذلك هو الارتباط المذهبى ، وشدة التعلق والاستمساك بما يحكى فى المسألة أنه مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى :

نعم فقد نقل عن الشيخ - ورواه الباقلانى كتابه « إعجاز القرآن » أنه يقول بنفى السجع فى القرآن الكريم . وأنه صرح بذلك فى عدة مواضع من كتبه. ومن هنا أريد لهذه المسألة أن تحتل مكاناً بين المسائل التى اشتد فيها الخلاف بين الأشاعرة وغيرهم من مسائل العقائد وفلسفة الإلهيات :

والمطالع لكلمات هؤلاء الأشاعرة التى ينفون بها وقوع السجع فى القرآن الكريم إذا غفل قليلاً عن أن هذا السجع هو موضوع الحديث فإنه لايرى إلا أنه فى جو مسألة أخرى غير مسألة السجع : هى مسألة «خلق القرآن »وما جرى فيها من الخلاف القديم . الذى كان شؤماً على فريق من الناس وفتنة لآخرين.

وليس فى هذا الذى نقوله شىء من المبالغة ، فهذا بعض مايقولونه فى تلك الكلمات : «هل يجوز استعمال السجع فى القرآن ؟ خلاف ، والجمهور على المنع ، لأن أصله من سجع الطير فتشرف القرآن عن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه من مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك . ولأن القرآن من صفاته تعالى فلايجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها » . هذه كلماتهم بنصها . ليست فى حاجة إلى شرح أو تعليق . غير أننا نقول : إنها لم تبعد بالانتصار أو الغلبة حتى فى أصل موطنها ، وهو موضوع «خلق القرآن » .

ثم إننا لاندرى لماذا تكون مسألة السجع فى القرآن محل خلاف بين العلماء ؟

شىء من إحكام النظر إلى الأمور ذاتها وتفهمها على حقيقتها . مع الإنصاف فى القول والاعتدال فيه . كفيل بأن يكشف كل شبهة ، ويزيح كل لبس ، ولا يسمح فى مثل هذه المسألة أن يقع فيها أدنى خلاف .

إن السجع إذا كان مقصوداً لذاته ، وكان تكلفاً عسراً ، يأتى فيه النظر إلى المعنى وراء الاهتمام باللفظ ، فإنه يكون سجعاً مذموماً مكروهاً ، ومحال أن يقع مثله فى كلام الله العليم الحكيم ، وحينئذ لايسع أحداً أن يجيز القول به فى الكتاب العزيز .

أما إذا كان سهلاً ليناً مطاوعاً . يقصد إليه مع تمام المعنى وإتقانه وإحكام روابطه واستكمال مقتضيات البلاغة فيه فإنه يكون سجعاً رائعاً وحسناً جميلا ، لاينبغى لأحد أن يجادل فى حسنه وروعته ، وهذا هو سجع القرآن .

فسجع القرآن وتناسب فواصله مبرأ من التكلف والعسر . ومبرأ من أن يكون مقصوداً لذاته بحيث يكون الاهتمام به أعظم من الاهتمام بالمعنى ؛ ولذلك لا يسار إليه فى القرآن من طريق إرادة معنى بعيد الاحتمال . أو معنى يكون غيره أقرب منه وأولى بالمقام؛ ومحال أن تستخدم فى سبيله ألفاظ جوفاء أو ألفاظ ملتوية لا تستقيم فى دلالتها على المعنى المراد .

وإذا كان الأمر كذلك فمن الذى ينكر أن يكون مثل هذا السجع مما يقع فى الكتاب العزيز ؟

هذا — والقرآن الكريم قد يحدث عن المغيبات ويخبر بالمكنونات التى لا سبيل أن يصل إلى علمها أحد من الناس ، ويكون هذا فى آيات وفقرات مسجوعة وغير مسجوعة ، ثم إنه فى حديثه وجميع إخباراته لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق . وهذا أمر يجب اعتقاده والإذعان له والتسليم به ، ولا يكون مؤمناً من يشك فيه أو فى شئ منه.

أما سجع الكهانة فهو السجع المذموم لما يقوم عليه من الغش والكذب والخداع . وهو رجم بالغيب الذى اختص الله به ولا يطلع عليه أحداً إلا من ارتضى من رسله .

وهذا هو السجع الذى ذمه الرسول صلى الله عليه وسلم وعاب على من تشبه بأهله. وقال لمن سجع له : «أسجعاً كسجع الكهان»؟! أو «أسجاعة كسجاعة الجاهلية» ؟ ! . أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك على من عارض حكم الإسلام فى وجوب الدية عن قاتلة امرأة اعتدت على أخرى كانت حاملا فألقت جنيناً ميتاً ، إذ قال ذلك الساجع : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل . أليس دمه قد يطل ؟

فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يذم السجع بإطلاق ، وإنما ذم منه ما يكون على طريقة الكهان وأهل الجاهلية . فإنه صلى الله عليه وسلم قد أتى فى بعض أقواله بالسجع القوى المستملح إذ قال : « أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

أفبعد هذا يصح أن يكون فى مسألة وقوع السجع فى القرآن خلاف بين أشاعرة وغير أشاعرة ؟ !

إنه إذا كان الذين ينسب إليهم إنكار السجع فى القرآن قصارى ما عندهم أنهم يتحرجون من إطلاق لفظ السجع على ما يكون فى القرآن من تناسب فواصل ، من أجل أن الكلمة تستعمل أحياناً كثيرة أو قليلة فى السجع المستكره المتكلف ، أو سجع الكهنة الكذابين المخادعين ، فقد هان الخطب ولان الصعب ، وأصبحت مسألة السجع فى القرآن لا يعدو الخلاف فيها أن يكون خلافاً لفظياً أى قائما على اختيار لفظ بدل لفظ آخر . وكفى الله المؤمنين القتال .

تناسب الفواصل فى القرآن الكريم وبيان أنواعه

تناسب الفواصل فى القرآن الكريم يأتى على وجوه كثيرة . أهمها مايلى :

١ — يكون بإحدى هيئتين للجملة الواحدة ، أى بالتقديم والتأخير فى بعض كلماتها من غير أن يزاد عليها شىء ، أو ينقص منها شىء ؛ فيتحقق التناسب المطلوب بإحدى الصورتين وترجح بذلك على الصور الأخرى ، وذلك كما فى قوله تعالى :

(قال فمن ربكما ياموسى) (٤٩ طه)

فإنه يمكن — لأداء أصل المعنى — أن يقال : « قال ياموسى فمن ربكما » ، كما قيل فى آية أخرى : (قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس) (١٩ القصص) .

لكنه اختير النظم الذى جاءت عليه الآية — مع تساوى النظمين فى أداء أصل المعنى — لأنه هو الذى يكون به تناسب الفواصل المطلوب فى ذلك المقام ، ومن ذلك قوله تعالى : (ونفس وماسوها . فألهمها فجورها وتقواها) (٧ ، ٨ الشمس) فإن قوله سبحانه : (فألهمها فجورها وتقواها) يمكن أن تؤدى معناه بأن يقال : «فألهمها تقواها وفجورها» . ؛ لكن قد رجح النظم الذى جاءت عليه الآية لأنه هو الذى يتحقق به المقصود من التناسب. وفى ذلك يقول الجلال : « وأخر التقوى رعاية لرؤوس الآى » ، ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : (واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) (٥١ مريم) وقوله عزّ وجلّ (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) (٥٤ مريم) وذلك أن الرسالة أخص من النبوة ، والمعهود فى الكلام المرسل الذى يجمع فيه بين عام وخاص أن يقدم الأول على الثانى . لكنه قد قدم فى هاتين الآيتين الخاص على العام مراعاة لتناسب الفواصل مع اتحاد المعنى ؛ فإن السورة بنيت على فاصلة الياء المشددة التى بعدها ألف : سويّا مليّا حفيّا عليّا نجيّا ، وهكذا .

٢ — ويكون بالاختصار فى الجملة بحذف جزء معلوم حق العلم من المقام ، كما فى قوله تعالى :

(قال : ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى) (٥٠ طه) ، فإنه إذا كان الأصل عدم الحذف وأن يقال : « قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هداه » فإن المعنى لايختلف بما جاءت عليه الآية ، ثم يرجح نظمها بأنه هو الذى يتحقق به التناسب المطلوب .

ومثل ذلك قوله تعالى : (والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى) وقوله سبحانه : (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) ، فإن الأصل قبل الحذف هكذا : « ماودعك ربك وما قلاك ،

« ألم يجدك يتيما فآواك ، ووجدك ضالا فهداك ، ووجدك عائلا فأغناك » :

لكنه حذف المفعول تحقيقاً لتناسب الفواصل المطلوب مع تساوى الطريقتين : « الذكر والحذف » فى الدلالة على المعنى الأصلى المقصود .

٣ — ويكون التناسب بإيثار إحدى صيغتين للفظ مع تساوى الصيغتين فى الدلالة على المعنى المراد ، كما فى قوله تعالى (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير) (٨ القمر) .

فإنه كان يمكن أن يقال «هذا يوم عسير» بدل « عسر » ، وهو بمعناه من غير فرق ؛ وقد جاء كذلك فى آيات أخرى مثل قوله تعالى : (فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) . (٩ ، ١٠ المدثر) إذ كان يتحقق التناسب هناك بين الفواصل بالصيغة الثانية : « عسير » وقوله سبحانه : (وكان يوما على الكافرين عسيرا) . (٢٦ الفرقان) ، لأن ذلك يتطابه التناسب المقصود فى هذه السورة أيضاً .

ومن ذلك قوله تعالى : (وتبتّل إليه تبتيلا) (٨ المزمل) ، فان « تبتيلا » وضعت موضع تبتلا وقد أوثرت عليها ؛ لأن بها يتحقق تناسب الفواصل .

وفى هذا يقول الإمام الزمخشرى فى الكشاف : « وتبتل إليه » وانقطع إليه . ثم قال : فإن قلت : « كيف قيل « تبتيلا » مكان « تبتلا » ؟ قلت : لأن معنى « تبتّل » بتّل نفسك، فجىء به على معناه مراعاة للفواصل » .

هذا وقد قال بعض العلماء : إن من ذلك قوله تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدُجِر) (٩ القمر) . قالوا إنه قد غيّر فيه الصوغ لتحقيق التناسب بين الفواصل ، فإن المعنى — على ماقال أولئك العلماء — أن قوم نوح كذبوه وقالوا إنه مجنون وازدجروه أى أهانوه وشتموه وتوعدوه . ولكن قيل فى الآية : « وازدُجِر» بالبناء للمفعول لأنه هو الذى يكون به التناسب مع دلالة المقام على الفاعل المطوى .

هكذا قالوا ، ولكن هذا ليس هو المعنى الذى ينبغى أن تحمل عليه الآية : فإن الراجح أن الازدجار ليس من فعل قوم نوح الذين كذبوه وكفروا به ، وإنما هو مما تفعله الجن بالمجنون . فإن قوم نوح رموه بالجنون الشديد، وقالوا فى ذلك : إنه مجنون وازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بعقله وطارت بلبه .

ولاشك أن هذا المعنى أرجح فى ذاته مما قاله أولئك العلماء : فإن تخبط المجنون واضطراب نفسه ، واختلال عقله هو مما عُهد أن يسند إلى الشيطان ويضاف إلى فعله ، كما قال تعالى : (الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ) (٢٧٥ البقرة)

ووفوق أنه المعنى الراجح من حيث ذاته هو الذى تستقيم عليه بوضوح صيغة المعنى للمفعول « ازدجر » ثم يتحقق بها معه تناسب الفواصل من غير حاجة إلى أن يقال : إن الصيغة قد حوّلت من المعلوم إلى المجهول لتحقيق ذلك التناسب ؛ فإن الصيغة قد وقعت موقعها واشتهرت فى الدلالة على معناه مبنية للمجهول ، وإنه لمعهود أن يقال : « رجل ممسوس ، ورجل مصروع ومخبول » على معنى أنه مسّته الشياطين وصرعته وخبلته . فإذا قيل : « مجنون وازدجر » كان معناه ازدجرته الشياطين . ولا يحتاج فى ذلك إلى التصريح بالفاعل ، لأنه متعين معلوم .

وبهذا يعلم أن القرآن لاينظر إلى تحسين اللفظ قبلما ينظر إلى إتقان المعنى .

ولا يصح أن يفهم أنه قد يسير إلى تحقيق تناسب الفواصل من طريق معنى بعيد أو معنى غيره أقرب منه .

كذلك لايصح أن يفهم أن القرآن قد يعدل — فى سبيل تحقيق التناسب بين الفواصل — عن اللفظ الصريح المعهود فى الدلالة على معناه إلى لفظ غير صريح أو غير معهود كذلك ، فإن ذلك يكون تغليباً لرعاية الألفاظ على رعاية المعانى على حين أن رعاية المعانى هى التى يجب — كما قلنا — أن يكون لها فى أسلوب القرآن الكريم المقام الأول .

قد يقال : إن هذا التقرير يعترضه ما جاءت عليه بعض الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) (١٣ القمر) فإن المراد به — من غير شك — الإخبار بأن الله تعالى قد امتن على نوح عليه السلام فحمله على « سفينة » نجّاه بها من الغرق ، وأنقذه من ذلك الطوفان .

ولاشك أيضاً أن لفظ « سفينة » وهو اللفظ الصريح والمعهود القريب فى الدلالة على المعنى المراد ، وهو اللفظ الموضوع لهذا المعنى فى اللغة . وقد استعمله القرآن فى هذا المعنى فى قصة نوح ذاتها فى قوله : (فأنجيناه وأصحاب السفينـــة) (١٥ العنكبوت) ؛ وكذلك لفظ « الفُلك » لفظ صريح وموضوع فى اللغة لهـــذا المعنى ومعهود استعماله فيه . وقد جاء فى القرآن فى عدة مواضع فى قصة نوح أيضاً مستعملا فى ذلك المعنى قال تعالى

(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون) . (٣٧هود)

« ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه .) (٣٨ هود) .

(فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) . (٢٧ المؤمنون) .

(فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) (٢٨ المؤمنون) .

ثم إن كلا اللفظين : «سفينة وفلك» كلمة واحدة، هي بالضرورة أخصر وأوضح دلالة من الوصف بعبارة مركبة من ألفاظ ثلاثة : « ذات ألواح ودسر » .

فالعدول عن اللفظ الواحد المعهود والمعين للمعنى بوضع اللغة إلى الوصف ذى الألفاظ الثلاثة قد يظن أن فيه تغليبا . للاعتبارات اللفظية على الاعتبارات المعنوية ، وأنه قصد بذلك مجرد تحقيق التناسب بين الفواصل .

« والجواب» أنه لا يصح أن يظن فى القرآن الكريم أنه قد يُغلّب الناحية اللفظية على الناحية المعنوية وأنه اختار التعبير عن المعنى المراد بوصف ذى ألفاظ ثلاثة بدلا من اللفظ الواحد الصريح ، وأنه فعل ذلك لتحقيق التناسب اللفظى بين الفواصل — لا يصح أن يظن ذلك ؛ فإن اختياره التعبير بالوصف، ذى الألفاظ الثلاثة قد أُريد به الإشارة إلى ناحية معنوية جديرة أن يلتفت إليها وأن تقدر قدرها فى الحديث من امتنان الله تعالى على نوح عليه السلام ، وتفضله عليه بهدايته إلى صناعة الفلك ؛ فصنعه تحت عين الله وعنايته . وكان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لنجاته ونجاة من آمن به من قومه . من ذلك الطوفان العظيم ، الذى عمّ وطمّ ، وقضى على جميع القوم .

فقوله سبحانه : (وحملناه على ذات ألواح ودُسُر) . ليس اختياره ليحقق به تناسب الفواصل ، وإنما هو لذلك الأمر المعنوى ذى الشأن الكبير : وذلك هو بيان أن نجاة رسول الله نوح عليه السلام ومن معه من طغيان الطوفان كانت بقوة الله وقدرته وعظيم عنايته ؛ إذ حمله على « ذات ألواح ودسر » ، ألواح خشبية » مربوطة «بدسر» أى بخيوط من ليف أو نحوه أو موصول بعضها ببعض بمسامير ، وسواء أكان هذا أم ذاك فتلك الألواح الخشبية المربوطة بخيوط أو المسمرة بمسامير كانت لذلك فى غاية الضعف وما كانت فى ذاتها لتقوى على قطع الأمواج الهائجة ، والتغلب على أهوالها وشدائدها العاتية القاسية ، لكن عناية الله هى التى خلقت من ذلك الضعف قوة ، وجعلت تلك الأداة الهينة الضعيفة تنفذ فى تلك الأمواج وتتغلب على تلك الأهوال ، وتصل بنوح عليه السلام والمؤمنين إلى شاطىء الأمان .

وهذا المعنى لا يظهره التعبير بلفظ « فلك » أو « سفينة » وإنما يجليه تمام التجلية ما جاءت به الآية : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) .

وقد أشار الفخر الرازى إلى ذلك فقال قوله سبحانه : (وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا) ما نصه : «أى حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه إشارة

إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدسر، وكان انفكاكها فى غاية السهولة، ولم يقع ، فهو بفضل الله » اهـ .

ومن هذا يتبين أن التعبير فى هذه الآية عن السفينة والفلك بالوصف ذى الألفاظ الثلاثة قد اقتضاه النظر إلى هذا المعنى، وليس لمجرد مراعاة التناسب بين الفواصل . ثم يأتى التناسب بين الفواصل مراداً حتما، ومقصوداً قطعا ، ولكن فى المرتبة الثانية بعد مراعاة مايقتضيه المعنى كما بينا .

آية ثانية

آية ثانية قد يعترض بها على ماقررناه من أن القرآن لا ينظر إلى اللفظ قبل أن ينظر إلى المعنى ، وأنه لايستعمل لفظاً بعيد الدلالة على المعنى المقصود ويرجحه على اللفظ قريب الدلالة على ذلك المعنى من أجل الوصول إلى تحقيق التناسب بين الفواصل .

هذه الآية هى قوله تعالى : (فمن شاء ذكره) (١٢عبس)

وذلك أن الزمخشرى فى الكشاف قد جعل الضمير المنصوب فى هذه الآية راجعاً إلى « تذكرة » فى قوله سبحانه فى الآية السابقة : (كلا إنها تذكرة) ثم أراد أن يسوغ عود الضمير المذكر إلى ذلك المرجع المؤنث فقال : «وذكّر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ» ومعنى هذا أن القرآن قد عدل عن الضمير المؤنث الذى مرجعه مؤنث إلى الضمير المذكر بذلك الضرب من التأويل؛ ليتحقق تناسب الفواصل فى هذه الآيات :

(فمن شاء ذكره، فى صحف مكرّمة، مرفوعة مطهّرة، بأيدى سفَرة ، كرام بررة ، قُتل الإنسان ماأكفره ، من أىّ شىء خلقه) . وهكذا إلى عدة آيات أخرى متناسبة الفواصل مع هذه الآيات .

وعلى هذا يكون القرآن قد رجّح النظر إلى اللفظ على النظر إلى المعنى ، فإنه لوكان قد راعى المعنى ولم يرجح مراعاة اللفظ عليه لقال : « كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكرها فى صحف مكرمة » ، وإذاً يفوت تناسب الفواصل المطلوب .

« والجواب» : أن هذا الاعتراض لايتم إلا بالبناء على رأى « الزمخشرى » الذى يجعل الضمير فى الآية : (فمن شاء ذكره) راجعاً إلى تذكرة فى الآية السابقة وهو رأى ليس بمتعين أن يؤخذ به ، بل هناك ماهو أجود منه ، وهو ماأشار إليه الجلال المحلّى إذ يقول فى تفسير الآية (فمن شاء ذكره) : « إن المعنى حفظ ذلك فاتعظ به» ، فهو يجعل الضمير عائداً على مذكر هو «ذلك» المذكور .

وأصرح من هذا أن يقال : إن الضمير عائد على القرآن ؛ وهو إن لم يجر له ذكر

فى هـذا المقام فهو معهود معلوم على كل حال .

ويؤيد هذا ماجاءت به الآيات التالية فى قوله تعالى : (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة) فإن المعهود المعروف أن هذه أوصاف للقرآن الكريم .

النتيجة أنه لايكون فى الآية وضع ضمير المذكر موضع ضمير المؤنث ليقال : إن ذلك قد اختير لأنه يحقق تناسب الفواصل.

آية ثالثة

وآية ثالثة ، قوله تعالى : (قالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين) . (١٣٦ الشعراء) .

تحكى هذه الآية مقالة قوم عاد التى واجهوا بها رسولهم هوداً عليه السلام ، لما أمرهم بتقوى الله ودعاهم إلى الإيمان بالله وحده ونبذ الشركاء ، ووعظهم وحذرهم من سوء عاقبة العناد والكفر ، وقال لهم : (فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ؛ إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . فقالوا له : (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لاتظن أن يكون لما تقول تأثير على نفوسنا ، ولاتطمع أن نترك مانحن عليه إلى ذلك الذى تدعونا إليه .

« وهنا يقال » : إن الأصل فى المقابلة أن تكون هكذا : « قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تعظ » فإن عبارة « أم لم تعظ » هى العبارة القريبة المختصرة الدالة بوضوح على نفس المعنى الذى أريد بالمقابل الوارد فى الآية الكريمة وهو : (أم لم تكن من الواعظين) ، مع مافيه من الطول ومخالفة الأصل فى التعبير . فعدول الآية عن المقابل الأصلى القريب المختصر إلى ما جاءت به لايظهر له وجه إلا أن يكون هو مراعاة التناسب بين الفواصل .

« والجواب » : أن المقابل الذى وردت به الآية قد تحقق به تناسب الفواصل من غير شك ، ولكن هذا التناسب لم يقصد إليه من طريق مخالفة الظاهر والعدول عن اللفظ الأصلى القريب المختصر إلى خلافه ، مع اتحاد معنى اللفظين كما يظن خطأ ؛ فإن المعنى ليس واحدا فيهما .

ذلك أن قوم هود عليه السلام أرادوا أن يقطعوا كل أمل له فى قبولهم دعوته فقالوا : إنه يستوى عندهم أن يعظهم وأن يكون من غير الواعظين ، أى وأن يكون غير أهل للوعظ أصلا . وهذا أبلغ فى الإقناط والإيئاس من ذلك المقابل المختصر ، وأن يقال : وعظت أم لم تعظ .

وقد نبّه الزمخشرى فى الكشاف إلى هذا المعنى إذ يقول :

« فإن قلت لو : قيل : أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد .

قالت : ليس المعنى بواحد . وبينهما فرق ، لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشرته ، فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك : أم لم تعظ » . (تفسير الكشاف جـ ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩) :

* * *

٤ — وما قلناه فى تلك الآية من سورة الشعراء يقال فى نظائر لها من مثل قوله تعالى : (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) (٢٧ النمل)

فإنه إذا كان مقتضى الظاهر فى المقابلة أن يقال : « سننظر أصدقت أم لم تصدق » أو « أصدقت أم كذبت » فقد عدل عنه إلى ماوردت به الآية ، وهو يدل على معنى أقوى من ذلك وأبلغ ، فإن المراد بيان أن الهدهد لايجروء على الكذب على سليمان عليه السلام ، فيما يخبره به عن مملكة سبأ ، إلا إذا كان الكذب ديدناً له متأصلا فيه ، وهذا المعنى هو الذى يفيده الصوغ الذى جاءت به الآية الكريمة : (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) ثم هو الذى يتحقق به فى المرتبة الثانية تناسب الفواصل ؟

وفى هذا يقول الزمخشرى : « وأراد بقوله : (أصدقت أم كنت من الكاذبين) أصدقت أم كذبت إلا إن « كنت من الكاذبين » فهو أبلغ . لأنه إذا كان معروفاً بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذباً لاشالة . وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به ، فلم يوثق به » . اهـ . (تفسير الكشاف جـ ٢ ص ١٤٣) .

٥ — ومن النظائر التى خولف فيها مقتضى الظاهر لمراعاة أمر معنوى أقوى منه ، ولم تكن المخالفة فيه لمجرد السجع ومراعاة الفواصل كمايتوهم . قوله تعالى : (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) .(٤ الشعراء) ذلك أنه لو قيل : إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلوا لها خاضعين . لما كان هناك محل لسؤال ولا جواب ؛ لكن الآية قد وسطت الأعناق فى الحديث وأسندت إليها الخضوع لأن الخضوع له آثار تظهر فى الأعناق كالتطامن والانحناء . كما تظهر فيها أيضاً آثار القوة والنشاط . ومن ذلك ما قيل : «وسالت بأعناق المطى الأباطح» . وهنا يقال : إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يقل : فظلت أعناقهم لها خاضعة ، مع أن هذا هو الأصل والظاهر ؟ أليس العدول عنه إلى صيغة « خاضعين » يكون من أجل السجع ومراعاة الفواصل ؟ وحينئذ يحق لمدع أن يقول : إن القرآن قد يعمد إلى السجع ولو من طريق بعيد أو طريق غيره أقرب منه .

« والجواب » : أن إيثار صيغة خاضعين — وهى جمع السلامة للعقلاء — ليس لتحقيق

السجع ، وإعاحكمته أن الأعناق لما وصفت بالخضوع الذى هو خاص بالعقلاء صح أن يجرى عليها من أجل ذلك أحكام العقلاء فجمعت جموعهم ؛ وذلك كما فى قوله تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) .

أما مراعاة السجع وتناسب الفواصل فقد أتت فى المرتبه الثانية ، وليست هى التى من أجلها كان العدول عن « خاضعة » إلى « خاضعين » ؟

نقد وتحليل

قد نقل الجلال السيوطى فى كتابه « الإتقان » عن الشيخ شمس الدين ابن الصائع الحنفى أنه جمع فى كتابه : «إحكام الرأى فى أحكام الآى » نحو أربعين وجهاً لتناسب الفواصل فى القرآن الكريم وقد أوردها السيوطى فى كتابه مع أمثلتها . ورأينا فى هذه الوجوه أن كثيراً منها لا يرجع السبب الأصلى فى مجيئه على النحو الذى جاء عليه — إلى إرادة تحقيق التناسب بين الفواصل ، وإنما سبب ذلك هو النظر إلى المعنى وتحقيق ما يقتضيه من مراعاة الاعتبارات البلاغية المختلفة ثم يجىء تناسب الفواصل فى المرتبة الثانية .

١ — ومن أمثلة ذلك ماقاله فى الوجه الأول ، وهو تقديم المعمول على العامل ، نحو قوله تعالى : (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) . وقوله سبحانه : (وإياك نستعين) فإنه جعل تقديم المعمول فى ذلك على العامل من أجل تحقيق التناسب بين الفواصل .

ولكننا نرى أن تقديم المعمول فى الآية الأولى لا ينظر إليه من أول الأمر على أنه من أجل تناسب الفواصل ؛ وإنما ذلك لأمر معنوى هو الاهتمام بشأن المقدم وبيان أن محط الإنكار هو توجيه العبادة إلى الملائكة ؛ أما تناسب الفواصل فانه يأتى فى المرتبة الثانية .

وأما قوله سبحانه : (وإياك نستعين) فإن المقرر المعروف فيه أن تقديم المعمول فيه على العامل إنما هو لإفادة قصر الاستعانة على الله سبحانه وتعالى ؛ فهو لتحقيق أمر معنوى قبل أن يكون لتناسب الفواصل الذى هو تحسين لفظى .

٢ — ومن الأمثلة قوله فى « الخامس » من تلك الوجوه ، وهو تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة ، فى قوله تعالى » : (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا) فإن ذلك مبنى على أن « منشوراً » صفة ثانية للكتاب وأن الأصل فى الصفة المفردة أن تتقدم على الصفة الجملة ، لكنها فى الآية قد أخرت عنها من أجل تناسب الفواصل .

ولكننا نقول : إن أحسن الوجهين فى الإعراب وأجودهما من حيث المعنى هو أن « منشوراً » حال من الضمير المنصوب فى « يلقاه » ؛ وذلك أنه لو كان

صفة ثانية للكتاب كما قيل ، وهى صفة مفردة شأنها أن تقدم على الصفة الجملة لأمكن أن يقال فى غير التلاوة : « ونخرج له يوم القيامة كتاباً منشوراً يلقاه » ولاشك أن مجىء وصف : « يلقاه » هكذا فى آخر الكلام يورث النظم هبوطاً ويضعف معناه ، وذلك مالا يليق أن ينهم فى القرآن الكريم . لكن النظم الذى جاءت به الآية الكريمة يفيد أن الإنسان حينما يعطى فى الآخرة كتاب أعماله يعطاه ، منشوراً أو يجده منشوراً غير مطوى ، فتواجهه منه أعماله المسطرة فيه فيعرفها من غير عناء ولاتعب .

فالملحوظ فى هذا أولا هو إحكام المعنى وإتقانه ومجيئه على ماتقتضيه الاعتبارات البلاغية ، ثم يأتى الاعتبار اللفظى الذى يرجع إلى تناسب الفواصل .

٣ — ومن ذلك قوله فى الوجه «العشرين» وهو الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، فى قوله تعالى : (فلايخرجنكما من الجنة فتشقى) . ومعنى هذا أنه يريد أن يقول : إن الأصل هو «فتشقيا » ولكن قيل : «فتشقى» لتناسب الفواصل .

ولكن أجود الرأى فى هذا هو ماقاله أعلام المفسرين : أن الإفراد فى قوله سبحانه : « فتشقى» إنما هو للدلالة على أن آدم هو الأصل فيما يجرى عليه من الشقاء بسبب خروجه من الجنة ، ثم يثبت ذلك لغيره بطريق التبعية . وإن من الشقاء أيضاً مايرجع إلى تحمل المتاعب فى تحصيل ضرورات المعيشة ، والرجال هم الأصل فى ذلك لأن هذه هى أهم وظائفهم فى الحياة :

فهذا هو سر إفراد الضمير فى الآية ، ثم يجىء الاعتبار اللفظى الذى يرجع إلى تحسين الصورة أو تنخيمها بمراعاة تناسب الفواصل .

٤ — ومنها قوله فى الوجه « التاسع والثلاثين» وهو العدول عن صيغة المُضِىّ إلى صيغة الاستقبال فى نحو قوله تعالى : (فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) قال : والأصل «قتلتم» .

ومن العجيب أن يحصر المؤلف نظره فى الزاوية الضيقة ، ولا يتجه ببصيرته إلى الأفق الواسع الذى تتجلى فيه روائع الأسلوب القرآنى و فخامته وأسرار بلاغته .

إن التعبير بالمضارع فى ختام هذه الآية له سرُّه وحكمته التى ترجع إلى الإخبار بالأمر على ماكانت عليه حقيقته الواقعية ، أو تقرير ماأريد به على حسب ماتقتضيه أصول البلاغة القرآنية .

أما الأول فالملحوظ فيه أن اليهود قد وقع منهم فى الماضى قتل أنبيائهم ثم إن طبيعة الشر الغالبة عليهم قد ورثها من بعدهم أبناؤهم ، فكان المعاصرون منهم لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يكيدون له ويدبرون للفتك به ، وأصدق شاهد

على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : — وهو فى مرض موته — : « مازالت أُكلة[1] خيبر تعادُّنى فهذا أوان قطعت أبهرى » وفى رواية : « تعاودنى » .

فاليهود قتلوا الأنبياء والرسل فى الماضى ، واليهود كانوا يعملون على قتل محمد صلى الله عليه وسلم فيما بعد ذلك ، والعبارة التى تستقيم للدلالة على الأمرين : « الماضى ومايراد فى المستقبل » هى صيغة الاستقبال .

وأما الأمر الثانى — وهو مايرجع إلى المعنى البلاغى الذى هو فى أعلى مستويات البلاغة — فهو أن التعبير بالمضارع قد أريد به استحضار الصورة الفظيعة التى كانت من اليهود حال ارتكابهم جرائم قتلهم أنبياءهم وتصوير هذه الحالة البشعة فى النفوس لتدرك مدى تلك الجرائم اليهودية الشنيعة .

وهذا الاستحضار لاينال بالتعبير بالماضى ، وإنما سبيله المضارع .

ومن ذلك قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) ؛ فقد أريد بهذا استحضار الحالة البديعة الجميلة : حالة اخضرار الأرض بالنبات على فور نزول المطر من السماء ، وتصوير هذه الحالة فى النفوس أحسن تصوير .

أما بعد ، فإننا قصدنا بإيراد هذه الأمور الأربعة مجرد التمثيل ، ولم نرد الحصر والاستقصاء ، فإن كثيراً غير هذه الأربعة لايسلم فيه مايريده مؤلف كتاب « إحكام الرأى فى أحكام الآى » . والله أعلم

عبد الرحمن تاج

عضو المجمع الراحل

---

(١) الأكلة بضم الهمزة ، وهى اللقمة ، وفتح الهمزة فى الحديث خطأ ، لان الأكلة بالفتح المرة من الأكل والرسول صلى الله عليه وسلم لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أكلة كاملة وإنما أخذ منها لقمة واحدة . وتعادنى بتشديد الدال المضمومة بمعنى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة .

وأخيرًا .. وليس آخرًا

للأستاذ علي النجدي

تُقال هذه العبارة كثيرا في لغة العصر ، يريد بها قائلها أنه بالغ من كلامه أربا . وأنه موشك أن يسكت عنده ، ويجتزىء به ، وإن كان لايزال للكلام بقية ، وفي المجال سعة له. ولانعرف لهذه العبارة أولا في قديم ، ولانجد لها ذكرا في أثر. وأكبر الظن أنها وليدة هذا العصر ، فيه استحدثت وعلى عينه ترعرعت . وليس يسع الباحث حين يريد أن ينظر فيها ليعرف : أهي صحيحة أم بها شيء من دخل ، إلا أن يسأل بادي الرأي : ما المراد بكلمتي الأخير والآخر هنا ؟ وماذا عسى أن يكون بينهما من فرق ؟ أولا يفضي الجمع بينهما في العبارة إلى شيء من خلف أو تناكر ؟

وتقتضينا الإجابة عن هذه الأسئلة أن ننظر في معنى كل من : الأول ، والأخير والآخر . أما الأول فلأنه كثيرا ما يذكر مقابلا للأخير تارة ، وللآخر أخرى . فالبحث في معناه يساعد على تعيين معنى كل من قرينيه . وأما الأخير والآخر فلأنهما مادة العبارة وقوام بنيتها .

ولا يعنينا هنا أن نتحدث عن الأصل الذي اشتق منه الأول ، ولا أن نورد خلاف العلماء فيه ، لأنه لايغير من معنى الكلمة ، ولايؤثر في أوجه استعمالها ، فاتكن من الوأل ، وهو الالتجاء كما يقول بعضهم ، أو من الأول وهو السبق أو الرجوع كما يقول بعض آخر ، أو من الوول ، وهو مادة مهملة كما يقول بعض ثالث ، لأنهم — مع هذا الخلاف — يرجعون بها آخر الأمر إلى الابتداء والسبق .

وإنما الذي يعنينا هو معناها وأوجه استعمالها في الكلام . فأما معناها فنقيض الآخر كما تقول المعاجم ، وأما أوجه استعمالها فثلاثة : أحدها أن تكون وصفا بمعنى أسبق ، فتؤدي معنى اسم التفضيل ، وتعامل معاملته ، وتتصرف في الأساليب تصرفه ، فذكرت بلفظ الإفراد والتذكير لإضافتها إلى نكرة كما في قوله تعالى : (ولا تكونوا أول

كافرين به)[1]. وذكرت مطابقة للموصوف لاقترانها بأل فى قوله قوله تعالى : (إن هى إلا موتتنا الأولى)[2] ، وقوله عز اسمه : (ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون)[3]

والوجه الآخر أن تكون وصفا أيضا : ولكن مع الدلالة على معنى الزمان ، فيكون حكمها هنا كحكمها فيما سبق ، إلا أنها إذا أضيفت جاز حذف المضاف إليه ، فتبنى حينئذ على الضم كقبل وبعد كما فى بيت معن بن أوس :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل
على أينا تعدو المنية أول ؟

فالمعنى : ماأدرى على أينا تعدو المنية فى أسبق الزمنين : أزمن موت الشاعر أم زمن موت صاحبه ؟

والوجه الثالث أن تخلو من معنى الوصف ، وتخلص لمعنى الاسم . فتعامل كسائر الأسماء « نحو قولهم : مارأيت له أولا ولا آخرا ، أى قديما ولا حديثا ويعنينا هنا الوجهان : الأول والثالث ، لصلتهما بالقضية .

أما الأخير والآخر فهذه : خلاصة ما جاء عنهما فى الأساس ، والمصباح واللسان والتاج :

الأخير مثال كريم ، والآخر على فاعل : خلاف الأول . والناس يرذلون عن آخر ، فآخر . قال الليث : الآخر والآخرة : نقيض المتقدم والمتقدمة ولقيته أخيراً ، وجاء أخرا ، بضمتين ، وأخيرا ، أى آخر كل شيء ، والأخير ، وزان فرح بمعنى المطرود المبعد يقال : أبعد الله تعالى الأخر . أى من غاب وبعد حكما قال ابن شميل :

الآخر: المؤخر المطروح. وقال شمر : أراهم أرادوا الأخير ، فأندروا الياء . يتبين من هذه النصوص أن كلا من الأخير والآخر يستعمل تارة بمعنى المتناهى الذى لاشيء بعده ، وتارة بمعنى المؤخر المطروح يدل لذلك مقابلتهما بالأول ، وقولهم : إنهما خلافه . إذن فحيثما يجتمع أحدهما بالأول فإنه يدل على نقيض معناه . وقد سبق أن الأول يجيء أحيانا بمعنى الأسبق على سبيل التفضيل ، وأحيانا بمعنى السابق بلا تفضيل فى معناه .

وقد جاء بمعنى الأسبق ، أى الذى ليس قبله شيء : وجاء الآخر معه بمعنى المتناهى أى الذى ليس بعده شيء فى قوله تعالى : (هو الأول والآخر) ، وفى قول النابغة الشيبانى :

هو الباطن الرب اللطيف مكانه
وأول شيء ربنا ثم الآخر

---

(١) سورة البقرة : ٤١
(٢) سورة الدخان : ٣٥
(٣) سورة الإسراء : ٥٩

وجاء بمعنى السابق ، أى المتقدم، وجاء معه الآخر بمعنى المتأخر أى خلاف المتقدم فى قول الإمام على رضى الله عنه: « الحمد لله الذى لم يسبق له حال فيكون أولا قبل أن يكون آخرا » وفى قولهم كما جاء فى اللسان — ما رأيت له أولا ولا آخرا ، أى قديما ولا حديثا .

وجاء الأخير بمعنى المتناهى الذى لا شىء بعده أيضاً فى قول المعاجم : وجاء أخيرا ، أى آخر كل شىء وجاء بمعنى المتأخر مقابلا للأول بمعنى السابق فى قول البحترى :

قهر الدهر أولا وأخيرا
حجا منه أول وأخير

وقول أبى العلاء المعرى :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

ولا يجوز فى عبارة : وأخيرا وليس آخرا ، أن يكون اللفظان معا بمعنى المتناهى ولا بمعنى المتأخر لأن أولهما مثبت ، والآخر منفى ؛ فإن اتحدا معنى كان أول العبارة مناقضا لآخرها. ويقضى المقام الذى تستعمل العبارة فيه أن يكون أخيرا فيها بمعنى متأخر ، وأن يكون الآخر بمعنى المتناهى.

وإذا يكون المعنى فى نحو قولنا: وأخيرا وليس آخرا ، أرى كذا — هو : وأرى رأيا أخيرا ، أى متأخرا فى الذكر ، وليس هو بآخر كلامى ولا ختامه ، ويكون أخيرا مفعولا مطلقا صفة لمصدر أرى ، وناصبه الفعل أرى ، أو ما يخالفه التعبير .

وإذا تكون هذه العبارة سليمة ، تؤدى معناها المراد أداء صحيحا ، لاشائبة فيه ولا دخل .

على النجدى ناصف

عضو المجمع

الحركة الانقلابية الأخيرة
في نظام الشعر العربي

للأستاذ أنيس المقدسي

توطئة

مرّ الشعر العربي عبر أدوار تاريخية شتى ، وفي بيئات جغرافية واجتماعية مختلفة . إلا أنه على العموم ظل محافظا على نمط واحد من التعبير اللغوي هو نظام القصيدة ذات الأبيات الفردية المقفاة الجارية على رويّ واحد. وقد كان من خصائص هذا النظام أن تستهل القصيدة بمقدمة (غزلية في الغالب) يقف فيها الشاعر على ربوع أحبّته باكيا خلوها منهم ، شاكيا ما يقاسيه من الوجد بهم وألم البعاد عنهم ، وقد يقترن ذلك بوصف ماشاهده أو عاناه في طريقه إليهم ، ثم يخلص إلى غرض في نفسه من مدح أو هجاء أو رثاء أو فخر أو حماسة ، وما إلى ذلك من أغراض الشعر القديمة المعروفة. وسواء أكانت هذه المقدمة غزلية أو غير غزلية فإنها كانت بوجه عام تعتبر من لوازم القصيدة . ويندر عند القدماء أن تجد قصيدة بتراء لا مقدمة لها تمهّد لغرضها الرئيسي بالوصف الغزلي أو الوقوف على الطلول. وقد حاول بعضهم كأبي نواس في صدر الخلافة العباسية أن يحوّل الشعر في زمانه عن هذه الطريقة المتبعة ؛ داعيا الشعر إلى الكف عن الوقوف على الطلول والتعلق بوصف البادية وأحوال سكانها ، فكان له كثير من مثل قوله :

دع الأطلال تسفيها الجنوب
وتبكي عهد جدّتها الخطوب

وخل لراكب الوجناء أرضاً
تحث بها النجيبة والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا
ولاعيا فعيشهمْ جديب

ولكن أبا نواس لم يُفلح فى محاولته، ولا نحسبه كما قد يذهب إليه بعضهم أنه كان يرمى إلى إحداث حركة تجديدية فى نظام الشعر، وإنما هى نفثة منه كان يكثر ترديدها فى خمرياته. مقابلا فيها بين شظف البيئة البدوية وشقاء سكانها، وطيب البيئة الحضرية كما عرفها فى بغداد بين مجالسها وملاهيها. فلا غرابة أن نسمعه يندد بشعراء الطلول والظعائن فيقول :

لاجَفّ دمع الذى يبكى على حَجَرٍ
ولاصفا قلب من يصبو إلى وَتِدِ
كم بين ناعت خمر فى دساكرها
وبين باكٍ على نُؤْى ومُنتضِدِ

لا لم يقصد بهذه النفثات النُّواسية، إحداث حركة لتطوير النظام الشعرى. على أن ذلك لا يعنى أن هذا النظام جمد على ماكان عليه منذ أيام الجاهلية فلم يطرأ عليه تغير يذكر، ذلك بأن ناموس التطور العام لايقف عمله عند حد زمنى وإن تباطأ أو خفى إلى حين. فإننا لانكاد نصل إلى العصر العباسى مثلا حتى نرى لتطور الشعر آثارا ظاهرة – منها مايرجع إلى الشكل أو البناء الخارجى، ومنها مايرجع إلى المضمون أو البناء المعنوى.

فمن حيث الشكل الخارجى ما يُلاحظ من محاولة بعضهم إضافة أبحر جديدة إلى الأبحر الستة عشر المعروفة، كتلك التى سمّوها المتئد، والمنسرد، والمضطرد والممتدّ، والمتوفر، والمستطيل وسواها. ولكنها لم تلبث أن أُهملت ودخلت فى خبر كان. ومن التطور الشكلى ما ظهر من النظم التوشيحى فى الأندلس أولا ثم فى سائر الأمصار العربية وقد عايش التوشيح القصيدة التقليدية وصحبها

(١) الوجناء من صفات الناقة وكذلك النجيبة.

طوال الأجيال ؛ على أن القصيدة ظلت حتى الآن أشيع منه عند أكثر الشعراء .

أما تطوّر المضمون الشعرى فيتناول معانى الشعر وأغراضه ، وعرضها فى صور فنية ممتعة للنفس . والتصوير الفنى هو عنصر طبيعى فى الشعر أيا كان وفى أى عصر ظهر. وما كنا لنشير إليه كظاهرة من ظواهر التجديد فى أدبنا خلال العصر العباسى لولا أنه اتخذ فى ذلك العصر شكل مذهب فنىّ قائم بنفسه ، حتى عرف بعلم البديع فى نوعيه اللفظى والمعنوى . ولا ينكر ما كان له من أثر على أيدى ذوى المواهب الشعرية العالية فى تحسين الديباجة الشعرية . وإنما جنى عليه سواهم من الذين جعلوه غاية مطلوبة لنفسها فأفسدوه حتى تدنىّ بتصنعّهم وتكلفهم إياه ؛ فتحوّل إلى زخارف فارغة وألاعيب كلامية لا طائل تحتها :

لا جرم كان العصر العباسى عصرا ذهبياً للشعر العربى ، فقد امتد نحو خمسة قرون نبغ خلالها أعلام الشعر الذين نفاخر بتراثهم ، ولا نزال نهتز طربًا لروعة أقوالهم نرددها ونهتم بدراستها ، برغم أن الكثير منها كان ينظم لأغراض لا صلة لها بحياتنا ، وفى أجواء حضارية مختلفة عن أجوائنا . إلا أنه عصر فيه بلغت لغتنا العربية أوج مجدها بما قدمته للفكر البشرى من نجوم سطعت فى تاريخه . وإذا كانت الشعوب العربية خلاله وما بعده قد هبطت من مكانتها السياسية وفقدت سيادتها القومية فإن لغتها فيه ظلت لغة العلم والحضارة ؛ بل تجاوزته إلى عهود تالية .

ومعلوم أن ما طرأ على العرب من خطوب وتقلبات سياسية ؛ بعد ازدهار حضارتهم خلال العصر المذكور ، قد كان له تأثير بالغ فى حياتهم الأدبية ، فالمدّ الشعرى الذى تعاظم على أيدى نوابغ شعرائهم حتى أواخره أخذ يتراجع بعده .

ومازال فى تراجع مستمر حتى دخل الشعر العربى فى دور طويل من الانحطاط ؛ ففقد حيويته وخبا نوره ، ولم يُتح له الخروج من ظلماته إلا بعد أن بزغت على العالم العربى منذ منتصف القرن

الماضى أشعّة حضارة جديدة . وهكذا أخذ يتدرج فى سبيل التجدد والتطور حتى بلغ ما بلغه فى وقتنا الحاضر .وقد تم ذلك تدريجا ، وعبر مراحل يتعذر فصل الواحدة عن الأخرى منها بحدود زمنية واضحة ، إذ هى من حيث الزمن متداخلة الجوانب بل متعاصرة أحيانا . على أن لكل منها خصائص تميزها . وبحسب هذه الخصائص نثبتها هنا كما يلى :

الأولى : مرحلة اليقظة الأدبية وأبطالها نخبة من الروّاد فى القرن التاسع عشر ممن نشطوا إلى تحرير لغة الأدب من شوائب الانحطاط ، وتهيئتها لتكون أوفى بالتعبير عن واقع الحياة الجديدة ، وأصلح لحمل رسلتها الأدبية والفكرية .

الثانية : مرحلة العودة إلى الأصالة الشعرية فى عصورها القديمة الزاهية ، وقد نمت على أيدى أعلام من الجيل الأول فى قرننا الحالى أمثال أحمد شوقى وطبقته فى مصر وبعض الأقطار الأخرى ، ممن وطدوا هذه الأصالة ومسحوا عليها بمسحة من جدة الحضارة الحديثة.

الثالثة : مرحلة التوجّه نحو الأدب الغربى وماكان يسوده من نزعات شعرية كالرومانسية والواقعية ثم الرمزية ، مما أحدث فى الشعر العربى تطوراً بيناً وأنشأ طبقة من الشعراء الذين رفعوا الفن الشعرى الحديث إلى درجة عالية من التجديد اللفظى والمعنوى .

الرابعة : مرحلة التنكّر للشعر التقليدى ومُثله ، والدعوة إلى انقلاب جذرى فى نظامه المتوارث ، وهى المرحلة التى جعلناها موضوع بحثنا الخاص فى هذا المقال . وسنتناول فيه الشعر الحُر الجديد من نواح ثلاث وهى : شكله الخارجى — تصويره الفنى — أبعاده المعنوية . وللتميز بينه وبين الشعر المحافظ على الأصول القديمة فى بحثنا سنكتفى بإطلاق اسم الشعر الحر الجديد عليه ، كما سنطلق على النوع الآخر اسم « الشعر الأصيل » أو الأصولى .ويلاحظ من استعراض هذه المراحل والنظر فيها أن الشعر العربى قد أخذ يسير منذ يقظته الحديثة فى سبيل التجدّد ، ومازال ، حتى استطاع أن يتحرر من قيود كلاسيكيته القديمة — قيود الأناقة

الصناعية –من محسنات بديعية يتكلفها وأغراض تقليدية يتمسك بها . وإذا هو – ولم يكد ينطوى القرن الماضى – قد دخل فى طور جديد من حياته هو طور الرومانسية (الرومانتيكية) التى تسرّبت إليه مع ما تسرب من آثار الحضارة الغربية حاملةً إليه الحرية الشخصية فى النظم ، والاندفاع فى سبيل الابتداع فجرى بملء عواطفه ينشد أناشيد الحب والجمال وما يصحبها من آلام وآمال ، تارة منطويا على نفسه هائماً بين مفاتن الطبيعة ، وطورا ناظرا فى حياة الإنسان وما يتطلع إليه من مُثُل عليا تنير لها طريق السعادة على الأرض .

وظلت الرومانسية بما تمتاز به من حرية ضيّقة فى أساليب النظم وسهولة التعبير ،وابتداعيّة فى الأغراض والمواضيع ، المذهب الشعرى العام فى عصرنا الحاضر حتى حدثت فى هذه الحقبة الأخيرة انتفاضة أخرى كانت حربا على الرومانسية تتّهمها بالميوعة اللفظية السطحية المعنوية والتهافت العاطفى . تلك هى الحركة الرمزية التى تعدّ من أركان الشعر الحر الجديد ، وهو المحور الذى يدور عليه كلامنا فى الفصول التالية .

بوادر الانقلاب :

وقبل الخوض فى خصائص هذا الشعر الحر الجديد الذى يبرز الآن كمنافس شديد للشعر الرومانسى فى قرننا العشرين ، نرى من المفيد أن نرجع قليلا إلى الوراء لنرى ما ظهر من بوادره قبل منتصف هذا القرن . نذكر من ذلك على سبيل المثال بعض محاولات قام بها نخبة من الحريصين على التجديد فى الشعر عن طريق تحريره من أحكام العروض وإرساله نفثات عاطفية ، طليقة من كل قيد تقتضيه الأوزان التقليدية وقواعد النظم . ومن روّاد هذا النظم الحرّ أمين الريحانى ، فله فى الجزء الثانى من ريحانيته أكثر من عشرين قطعة تجرى هذا المجرى كقوله من نشيد الثورة حيث تشتد حرارة العاطفة ويكثر ترديد القوافى :

هى الثورة ووجهها العبوس الرهيب
ألوية كالشقيق تموج تُنير البعيد
تشير القريب
وطبول تردد صدى نشيد عجيب

وأبواقٌ تنادى كل سميع مجيب
وشررٌ عيون القوم يرمى باللهيب
ونار تسأل : هل من مزيد ؟
وسيف يجيب وهول يشيب
ويـــــل يومئذ للظالمــــين

ويل لهم من كل مريد مهين
طُلّاب للحـــــق مديـــــن
ويـــــل للمستعزين والمستأمنين
هى ساعة للظالميـــن

وعلى هذا النسق العاطفى قوله فى مرثاة يصف فيها موت ملك العراق فيصل الأول ، وهذا القسم الأول منها :

حلّق النسر فى الفضاء بعيدا
رجع النسر فى الفضاء شهيدا
شهيداً يكفنه السحـــــابْ
شهيدا تشيعه النجـــــومْ
شهيدا نعته شمس الضحـــى
شهيدا حملته أكفُّ السمـــا
فكان عليّاً وكان حميـــــدا

وأكثر ماجاء له من هذا القبيل نفثات خطابيّة عاطفية يكثر فيها ترديد القوافى والألفاظ ، بطريقة دراميكية مثيرة ، وقد تبعه فى هذا الطريق كثيرون ومنهم من كان أكثر منه اقترابا إلى النظم الشعرى كقول حبيب اسطفان فى قطعة خماسية الأدوار يصف فيها ماورد فى الأُسطورة الفينيقية من مصرع الإله أدونيس على بعض جبال لبنان ونوح حبيبته (الزُّهرة) عليه ؛ وهى طويلة نثبت منها هنا هذه الأدوار الثلاثة فى وصفه ماأصاب (الزهرة) من لوعة وشقاء عندما شاهدت حبيبها (أودنيس) مضرجًابدمائه بعد أن صرعه وحش ضار هصور هناك .

أواه على أودنيس كيف يّجر على الصخور بصبغها دمه الجارى من أعضائه الناعمات . هاهو فى الوادى يفترسه الحيوان الهصور أواه ، أودنيس قد مات وأسرعت اليها الإلاهات فدهاها الصياح إلاهات الأشجار والأنهار والربى والوديان لاطمات الخدود رافعات العويل والنواح .
باكيات بأشجى الألحان [illegible]
والتففن حولها ينحن معها على الحبيب
يا أدونيس كيف مدت إلى الإله يد الحِمام ؟!
ياأدونيس ، كيف ذبل غصنك الرطيب
ويبس زهره البسّام ؟!

فترى فى أدوار هذه القصيدة نظما ذا ترتيب شعرى وانسجام إيقاعى فى الأسطر والقوافى ، ولكن مع عدم تقيد بتفاعيل مضبوطة ، كما فى الشعر الأصيل .

ومن طلاب التجديد من انبعثت خواطره وعواطفه الشعرية فى شكل نثرى ، كما ترى فى كثير من أقوال جبران فجاءت موزونة الأفكار فى قوالب نثرية ذات رنة موسيقة تلذ الأسماع وتطرب النفوس ، وسنرى كيف أمست هذه النماذج فى الشعر الحر الجديد بعد أن اشتدت الدعوة إلى التجديد . فهذه البوادر على كثرة ما ظهر منها خلال النصف الأول من قرننا الحالى لم تشع فى الأوساط الأدبية ، ولم تستطع منافسة الشعر العروضى الأصيل ، فغمرها الزمن ولم يبق منها فى النفوس إلا رغبات فى بعض النفوس ظلت كامنة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حين عادت إلى البروز على يد جيل جديد فى شكل ثورة عارمة تحت اسم الشعر الحر . فلنتقدم الآن إلى درس هذا الشعر الجديد من نواحيه الثلاث .

(١) شكله الخارجى .

(٢) تصويره الفنى .

(٣) بعده المعنوى .

الشعر الحر فى شكله الخارجى :

ليس غرضنا الآن أن نقوم بتحقيق لضبط تاريخه ومعرفة كيف نشأ ، ومن كان رائده الأول . فلنترك ذلك للحريصين على هذه الناحية من دراسته .

يكفينا هنا أن نقرر أن الأحداث المستجدة فى الحياة لا تكون فى الغالب إلا نتيجة عمل تطورى مستمر وإن كان لا يبدو دائما للعيان . وقد ذكرنا سابقا أن عددا غير قليل من أدباء عصرنا فى النصف الأول من القرن العشرين قد حاولوا أن يجددوا الشعر العربى بتحريره من قيوده العروضية التقليدية . لكن منظوماتهم لم يُتَح لها أن تبلغ شأنا يذكر عند الجمهور الأدبى فى مختلف الأقطار ، فظلت الطريقة العروضية بأوزانها الستة عشر المعروفة هى الطريقة السائدة فى نظم الشعر . وظلت حركة التجديد المذكورة ضئيلة قليلة الأنصار حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الحين عادت إلى البروز والاتساع على أيدى فئة من النشء الأدبى المتأثر بما تركته هذه الحرب من انقلابات فى حياة الشعوب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وما ولدته فى نفوسهم من روح التمرد والثورة من آو ضاع أو مُثُل تقليدية . وأخذت الدعوة إلى الحرية والتجدد تشتد

فى الأوساط الأدبية . فلا غرابة أن يقبل الجيل الجديد عليها ،وينتشر النظم الجديد انتشار النار فى الهشيم ، بين الطبقات الناشئة فى كل إقليم ، تدعمه دعاة من ذوى النزعات اليسارية أومن المتأثرين ببعض كبار الشعراء فى الغرب الناقمين على تردى المبادئ الروحية والإنسانية فى الحضارة العصرية المادية . ويظهر هذا الشعر فى شكلين: الأول يلتزم إيقاع الشعرى ويسمى عند الكثيرين شعر التفعيلة ، والثانى يجانب أى التزام عروضى وهو المعروف بالنثر الشعرى أو الشعر المنثور – كما سنرى .

الشكل الأول – شعر التفعيلة :

وقد أطلق عليه هذا الاسم لاعتماد الشاعر فى نظمه على تفعيلة واحدة يختارها من أحد الأبحر للعروضية الستة عشر ، ويفتن فى استعمالها بانياً عليها منظومته. خذ مثلا (بحر الكامل) وهو مكون أصلا من ست تفعيلات للبيت الواحد ، ثلاث منها فى الصدر وثلاث فى العجز . وقد يأتى مجزأً فيكون مؤلفاً من أربع تفعيلات ، نصفها فى الصدر ونصفها فى العجز . وهذه تفعيلاته وهو تام :

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن

كقول المتنبى فى مطلع قصيدته المعروفة :

الرأى قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهى المحل الثانى

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة

بلغت من العلياء كل مكان

ويلاحظ أن كل أبياتها تتتابع على هذا النسق وزناً وقافية ، كما يلاحظ جواز تعديل صيغة متفاعلن عند الحاجة لتصبح مستفعلن . وهو أمر شائع فى هذا البحر سواء أكان فى الشعر الأصيل أو فى الشعر الحر الجديد . على أن الشعر الحر لا يتقيد تقيد الشعر الأصيل بانسجام كلى فى ترتيب مقاطعه وأسطره ، تتابع فيه على غير نظام وانسجام ؛ من حيث الطول وعدد التفعيلات والقوافى ، فالسطر الواحد قد لا يكون أحيانا أطول من التفعيلة المختارة ، وقد تتكرر فيه هذه التفعيلة فيطول ،وهكذا تتفاوت أجزاؤها بين قصير وطويل

أومقفّى أو غير مقفّى ، وإنما تترابط بإيقاع يلذّ للسمع لتحررها من رتابة الأبيات في الشعر العروضي . وإليك بعض نماذج من الشعر الحر نعرضها كما وردت في مظانها مصحوبة بتفعيلاتها لإيضاح الفرق بين بنأها وبناء الشعر الأصيل .

ولنبدأها بقطعة من البحر الكامل أيضا لشاكر السياب موضوعها (غريب على الخليج) ننقلها كما هي من ديوانه (أنشودة المطر) وفيها يخاطب — وهو بعيد عن وطنه — فتاة من أهله يسميها « زهراء » مذكرًا إياها بما عرفاه من عيشة في منزلهما القديم . قال :

« زهراء أنتِ أتذكرين ؟
مستفعلن — متفاعلن .

تنّورنا الوهّاج تزحمه أكفُّ المصطلين
مستفعلن — مستفعلن — متفاعلن — مستفعلن .

وحديث عمتي الخفيض عن الملوك الغابرين
متفاعلن — متفاعلن — متفاعلن — مستفعلن

ووراء باب كالقضاء .
متفاعلن — مستفعلن .

قد أوصدته على النساء .
مستفعلن — متفاعلن .

أيدٍ تطاع بما تشاء لأنها أيدي رجال
مستفعلن — متفاعلن — متفاعلن — مستفعلن .

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال
مستفعلن — متفاعلن — متفاعلن — متفاعلن

أفتذكرين أتذكرين ؟
متفاعلن — متفاعلن .

وعلى هذا النمط والبحر أيضا قطعة لعلي أحمد سعيد تحت اسمه المستعار (أدونيس) موضوعها (حديث جائع) في ديوانه (قصائد أولى) .

ويلاحظ في بعض تفعيلاتها (ترفيل) يعنون به في العروض زيادة مقطع في آخر التفعيلة الأصلية فتأتي مثلا في الكامل على صيغة متفاعلاتن أو مستفعلاتن بدلا من متفاعلن أومستفعلن ويستوي في ذلك الشعر الأصيل والشعر الحر . والواقع أن التفعيلة المختارة من أي بحر تستعمل مع جوازاته في كلا النوعين على السواء .

مالى أسير ولا أسيرُ

مستفعلن — متفاعلاتن .

ويشار لى هذا فقيرُ .

متفاعلن — مستفعلاتن .

جَمَد الزمان على يدى !

متفاعلن — متفاعلن .

جمدت يدى .

متفاعلن .

وتهدّلت عينى وقرّحها السؤال

متفاعلن — مستفعلن — متفاعلان

وإذا تشرّبنى عذابى

متفاعلن—متفاعلاتن

وانهدّ فى صدرى شبابى

مستفعلن — مستفعلاتن

جمّعتُ حالى وانطويت

مستفعلن — مستفعلاتن

وعلى تهدُّمى ارتميتُ

متفاعلن . متفاعلاتن

فإذا قابلت بين هاتين القطعتين وهما تعتمدان على تفعيلة واحدة من بحر (الكامل) تستطيع أن ترى كيف تختلفان فى ترتيب أسطرهما وفى عدد المرات التى تتكرر فيها تلك التفعيلة فى السطر أو المقطع الواحد منهما . فكل من الناظمين له حريته فى الإخراج كما يحلو لذوقه الخاص . بيد أنه على تباين طريقتهما فى ذلك يتفقان كل الاتفاق فى التزام التفعيلة التى اعتمداها من البحر المذكور وعلى إيقاعها الذى يجعل من المنظومة وحدة موسيقية قد تبرر زعم أصحاب هذا النوع من نظم الكلام أنه داخل فى نطاق الشعر الموزون ،بل فى صحيحه وإن كان لايتقيد بأحكام العروض المعروفة فى الشعر الأصيل .

والذى يبدو من منظومات الشعر الحر أن التفعيلة المعتمدة فى بنائه ترجع فى الغالب إلى عدد محدود من الأبحر : كالكامل والرمل والهزج والخفيف والوافر وغيرها وقد يعتمد الشاعر فى قصيدته تفعيلتين إحداهما من بحر والأخرى من بحر آخر . وسنرى ذلك بعد . وإليك هذه القطعة معقودة على تفعيلة من بحر (الرمل) لعبد الوهاب البيّاتى من منظومة موضوعها (القنديل الأخضر) كما وردت فى ديوانه (أباريق مهشمة) . وهذا البحر يتألف من ست تفعلات

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

كقول ابن الفارض فى يائيته المشهورة

سائق الأظعان يطوى البيدطىّ

. منعماً عرِّجْ على كثبان طيّ

وكثيرة ما تتحول (فاعلاتُ) إلى

فَعِلات فى هذا البحر كقوله :

وضع الآسى بصدرى كفّه

قال : مالى حيلة فى ذا الهوى

وهو شائع فى كلا الشعر الأصيل والشعر

الحر على السواء . قال البياتى :

تحت جنح الليل والصمت وأعماق الكئيبة

فاعلاتن . فاعلاتن . فعلاتن .فاعلاتن

وعبير الروض والليمون والماضى وحزنى

فعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

لم تعد توقظ أحلام الصبا المخذول فيّا

فاعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

كان ضوء كان فى قبر بعيداً كان عنّى

فاعلاتن فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

القضاءُ القَدر المظلم يستنزفه شيئا فشيئا

فاعلاتن . فعلاتن . فعلاتن .فعلاتن فاعلاتن

غير أنى كنت أقوى

فاعلاتن . فاعلاتن

كنت من نفسى أقوى

فاعلاتن . فعلاتن

كنت أهوى

فاعلاتن .

لو تلاقينا على ذاك الضياء

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

كفراشيْن على الأوراد غابا فى عناق

فعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

واحترقنا أنا والماضى وعيناها على ذاك الضياء

فاعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وهكذا يجرى إلى آخر هذه المنظومة الطويلة مع التفنّن فى تكرير تفعيلاتها واختلاف عددها فى السطر الواحد .

وقد تأْتى التفعيلة الواحدة مجزأة : قسم منها فى سطر وقسم : آخر موصول به فى سطر تالٍ . وكما تجرى القصيدة من الشعر العروضى الأصيل فى سلسلة من أبيات مستقلة تتابع على وتيرة واحدة وزنًا وقافية ، أو من أدوار متلاحقة متماثلة التركيب . كذلك تجرى القطعة فى الشعر الحر الجديد فى شكل سلسلة من أسطر ومقاطع أو من أدوار متلاحقة . ولكنها كما سبق القول لاتتقيد بما تتقيد به القصيدة الأصيلة (أو كما يسمونها أحيانا العمودية) من أحكام عروضية لازمة . سواء من حيث عدد التفعيلات أو لزوم القوافى وتماثلها ؛ مثال ذلك هذه القطعة لأدونيس فى ديوانه (قصائد أولى) وموضوعها (المشرّدون) .

ثم قطعة للبياتي : الأولى من بحر الكامل والثانية من الرمل .

المتمردون – لأدونيس ، وهي مؤلفة من عدد من الأدوار .

في أول العام الجديد
مستفعلن – مستفعلاتن

قالت لنا مستفعلن

آهاتنا قالت لنا
مستفعلن . مستفعلن .

شدوا الرحال إلى بعيد
مستفعلن . متفاعلاتن .

أو فاسكنوا خيم الجليد
مستفعلن . متفاعلاتن

فديار كم ليست لنا
متفاعلن . مستفعلن

نحن الذين على الدخيل تمردوا
مستفعلن . متفاعلن . متفاعلن

فتهدموا وتشردوا
متفاعلن . متفاعلن

أكل الفراغ نداءنا
متفاعلن . متفاعلن

ومشى الأماد وراءنا
متفاعلن . متفاعلن

أيامنا جمدت على أشلائنا
مستفعلن . متفاعلن . مستفعلن

وتقلصت كدمائنا
متفاعلن . متفاعلن

صارت تعيش على الثوان
مستفعلن . متفاعلاتن

صارت تدور بلا زمان
مستفعلن . متفاعلاتن

متشتتون مضيعون على الدروب
متفاعلن . متفاعلن – متفاعلاتن

صفر المواعد والقلوب
مستفعلن . متفاعلاتن

والجوع كل ندائنا
مستفعلن . متفاعلن

والريح بعض غطائنا
مستفعلن . متفاعلن

حتى الصباح يفر من آفاقنا
مستفعلن . متفاعلن . مستفعلن

ويغيض في أحداقنا
متفاعلن . مستفعلن

وإذا ترنح في تململنا الكفاح
متفاعلن مستفعلاتن . متفاعلاتن

وتساءلت منا الجراح

متفاعلن . مستفعلاتن

ضحكتْ حروف نداثنا ـ ضحك الصباح

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلاتن

أقلوبنا رفقاً بنا متفاعلن . مستفعلن

ماهمَّ . ظلِّى فى المسير

مستفعلن . مستفعلاتن

فى الجوع فى اليأْس المرير

مستفعلن . مستفعلاتن

وتعذبى متفاعلن

وتقحّمى عنف السعير

متفاعلن . مستفعلاتن

وهنا على هذا التراب تترَّبى

متفاعلن . مستفعلن . متفاعلن

فغداً يقال متفاعلن

من أرضنا طلع النضال

مستفعلن . متفاعلن

ونما على أشلائنا ووفائنا

متفاعلن . مستفعلن . متفاعلن

وعلى تلفُّتها البعيدِ

متفاعلن . متفاعلاتن

لغدٍ جديدٍ

متفاعلاتن

الموت فى المنفى (للبيّاتى) من ديوانه النار والكلمات ص ٦٠ وهى تجرى على بحر الرمل .

بدم القلبِ بطاقاتْ الرماد

فعلاتن . فعلاتن فاعلات

كُتِبَتْ

فعلا

أين كنوز السندباد

فعلاتن . فاعلات

منك يا زاد المعاد

فاعلاتن فاعلات

آه لو أحرقتُ أشعارى

وأحرقت الليالى بالمداد

فاعلاتن . فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

لكتبتُ فيها مرة أخرى

بطاقات الرماد

فعلات وفاعلاتن

فاعلاتن فاعلات

بدم القلب وأطعمت القوافى للجراد »

فعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

صَبَغت ليلى الجراح

فعلاتن فاعلات

وطنى ناءٍ وكفّى يبست فوق السلاح

فعلاتن . فاعلاتن . فعلاتن . فاعلات

أين من يسكت فى الأفق النباح

فاعلاتن . فعلاتن . فاعلات

أين من يبصق فى وجه المخانيث

ومن يزرع فى الأُفق أقاح

فاعلاتن . فعلاتن . . فاعلاتن فعلاتن

فعلاتن . فعلات

أين من يشعل فى صدرى قناديل الصباح

فاعلاتن . فعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن فاعلات

وطنى ناءٍ . فياليت بطاقاتى جناح

فعلاتن . فاعلاتن . فعلاتن . فاعلات

لتطير الليلة الليلة فى أفق الجراح

فعلاتن . فاعلاتن . فاعلات . فاعلات

القناديل بصدرى ،

فاعلاتن . فعلاتن

افتحوا الأبواب للنور افتحوها

فاعلات . فاعلات . فاعلات

أصدقائى الفقراء . أصدقائى الشعراء

فاعلات . فعلات . فاعلات فعلات

احملينى يارياح . عبر آلام الليالى

فاعلاتن . فاعلات . فاعلاتن . فاعلاتن

احملينى يارياح

فاعلاتن — فاعلات .

وقد يتفنّن الشاعر الحر فيستعمل مع التفعيلة الواحدة فى قصيدة تفعيلة ثانية أو أكثر من بحر آخر كما ترى فى منظومة للشاعر بدر شاكر السياب موضوعها (رؤيا فى عالم ١٩٥٦) يجرى فى قسم منها على بحر الرمل ثم يتحول إلى آخر . وإليك القطعة التالية منها . ننقلها عن ديوانه ص ١١٦ .

حطّت الرؤيا على عينى صقراً من لهيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

إنها تنقضّ تجتثّ السّواد

فاعلات . فاعلاتن . فاعلات .

تقطع الأغصان تمتصّ القذى من كلّ جفنٍ فالمغيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلات .

عاد منها توأماً للصبح — أنهار المداد

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

ليس تطفى غلة الرؤيا . صحارى من نحيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

من جحور تلفظ الأشلاء . هل جاء المعاد ؟

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أهو بعثٌ ، أهو موتٌ ، أهى نار أم رماد

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات !؟

ويوالى الجرى على هذا البحر ثم يتحول عنه إلى بحر آخر إذ يقول :

فى غيبة الرؤيا

مستفعلن فعلن

يوم بلا ميعاد

مستفعلن فعلان

جنكيز هل يحيا ؟ جنكيز فى بغداد

مستفعلن فعلن . مستفعلن . فعلات

عين بلا أجفان تمتد من زوحى

مستفعلن فعلان مستفعلن فعلن

شدق بلا أسنان ينداح فى الريح

مستفعلن فعلان مستفعلن فعلن

يعوى : أنا الإنسان

مستفعلن فعلان

الشعر الحر فى شكله النثرى :

مما عرضناه سابقا يتضح أن الشعر الحر المبنى على التفعيلة الواحدة لم يقطع صلته قطعا باتا بنظام الأوزان العروضية . فهو شعر إيقاعى كالشعر الأصيل إلا أنه مختلف النمط . أما فى شكله النثرى فهو يجرى حرا من كل قيد يربطه بوزن خاص أو بشكل إيقاعى معين ؛ فلا غرابة أن الكثيرين من أهل النقد الأدبى يترددون ، أو يأبون ، أن يطلقوا اسم الشعر عليه . لكن أربابه بما يبدو يصرون على هذه التسمية . فتراهم يخرجونه فى ديباجة أشبه بديباجة الشعر . وينشرونه فى دواوين خاصة كدواوين الشعراء . والحقيقة أنه نثر مشبع بروح الشعر . وقد شاع وأصبح له جمهور غفير من الأنصار وبخاصة بين ناشئة الأدب من جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ، جيل الثورة على الأوضاع القديمة المتأثر بالنزعات اليسارية إلى الرافض ماورثه من الماضى ؛ المتعطش إلى الاستقلال الذاتى فى تصرفاته الفردية والاجتماعية . وهذه النزعة إلى الثورة قد أثّرت فى حياته الفكرية والفنّية . فإذا بشعره يخرج اليوم محررا من تقاليده اللفظية والمعنوية التى لازمته مدى الأجيال السابقة . يقوده فى هذا السبيل رهط من دعاة التجديد الفنى والشعرى ؛ من رمزيين وسورياليين وسواهم ممن أخذوا بهذه المذاهب الجديدة فى الغرب ، ورأوا فيها الطريق السوى لتجديد حقيقى فى الأدب العربى شعرا ونثرا .

وإليك بعض نماذج من الشعر النثرى الذى أخذ يتدفق من أقلام أربابه .

قطعة ليوسف الخال وهو من كبار الدعاة إلى الشعر الجديد ، نشرت فى ملحق جريدة النهار بتاريخ ١٠ من شباط ١٩٧٤ :

خذوا كل شيء

خذوا العصافير عند الصباح

وصمت المآتيح خمرة كاس

وبقية نار وحيدة

ولا تتركوا لي قصور العناكب

أحلامها معلّقة بخيوط السماء

خذوها ، خذوا كل شيء

نقيق الضفادع . رفيف الخفافيش

عند المساء

وآثار أقدامهن — الرتيلات

عند مسندي .

ودعوني . دعوني

بعيداً عن الأسواق

لأن الجداول عند الرجوع

تحت هذه السهول

وصوت السكينة تحنانها

هناك على الشطوط .

وحين أموت خذوا جسدي

ولا تدفنوه

لئلا يقوم مع الفجر

ويكشف سر الإله

ولزميله في الدعوة إلى الشعر الجديد أنسي الحاج قطعة موضوعها (السقوط) هي ذات شقّين كمايلي — عن ملحق النهار ١٢ من كانون الثاني ١٩٧٤ .

١ — (أنا من سقط) :

من حافةِ عينيك

حملوني إلى السهول

سقطتُ من حافة عينيك

أخذوني إلى النوم

وسقطت من حافّة عينيك

رفعوني كتكسيح الطير

أمسكوني وأغمضوا عينيّ

وأبعدوني

فرحت أبدأ من حافّة عينيك

أسقط إلى اللقاء

٢ — (من ؟) :

إذا انتحرتُ

والدائنون سيظنُّون بسببهم

المُثُلُ العليا ستقول بسببها

وكل صديق خاصمته سيظن

ندماً . تسألني عنه بدهشتها الطاهرة

آهِ من جعله يفعل ذلك ؟

ومن ديوانه (خبأْنا الصواريخ فى الهياكل) لشريف ملحس رقم ٣٧ نختار هذه المنظومة فى ذكرى الوالدَين وهذا بعضها ــ (ذكرى الأُم)

ذكرى الأم :

أُمّى ...

فانسرى عنى شىء بعض الشىء »

لففتُ أُمى بذراعى

ضغطتُ على نحرى

لفظت اسمها : أُمى . أُمى

ضجر منى الفراغ

والتوى على جسدى

يأْكل قلبى . كل قلبى

هرولت من قسوة الفراغ »

(ذكر الوالد) :

أَبى :

فانسرى عنّى شىء . بعض الشىء

رحت أُمرّغ رأْسى على رأْس أَبى

أَبحث عن ذراعيه

زلَّت قدمى من حافة التلال

تدحرجت من فوق الجبل إلى تحت

إلى صدى النداء

عدت أَتسلق الجبل

هرولت من قسوة الوادى

وقطعة أُخرى لها من ديوانها (محاجر فى الكهف) من قصيدة ص ٣١٦ (وأكثر هذا الديوان نفثات وطنية حادة) منها هذه القطعة .

غُربتى تزداد كل يوم شبرًا فشبرا

عيناى تنزلقان من وجهى فِتْراً فِفِتْرا

وعمارات تتلوى مغروسة كأَشواك الغضا

دروب بلادى قواقع فارغة

تتمطّى والآفاق فيها تنتحر

الذئاب روّادها

ولعبة الأَسود الكاسرة

تفضفض عظامها

تكوّم الجماجم القناطير

تتكسر النفوس سجّدا

للفراغات الصغيرة

والقصيدة طويلة ، ولكنها على هذا النسق من مرارة نفس تقاسى أَلم الغربة عن وطنها فلسطين المحتلّة

ومن هذا الطراز الوطنى القطعة التالية من ديوان (زهرة اسمها الحب) لجهاد قلعجى يخاطب فيها تاريخ العرب الفاتحين ، مقابلا بحسرة

حارّة بين ماضيهم وحاضرهم نادبًا

مجدهم المفقود (ص ٥٤)

أيها التاريخ!

كم أسافر في أرجائك فارسا

وأنهل من خمورك شاعرا

وأعزف معك البطولة شهيدا

ثم لا أجد حولي

سوى صراع بلا فروسية

وقافٍ بلا شاعرية

واستشهادٍ بلا بطولة

ياعمرو.. ياخالد.. ياطارق.. ياصلاح الدين

أهذه بلادكم! وهؤلاء قومكم!

ومن نماذج هذا الشعر الجديد هذه القطعة من ديوان لميّ صايغ وهي من النوع الرمزي، الذي يلف الغموض مافيه من عواطف الشاعرة الحارة، ننقلها عن جريدة النهار (١٥ من تموز ١٩٧٤). وفيها تقول:

لست حَجرا

تمطرني الحوانيت الملحومة الأبواب

بالأوكسجين.

دمًا لاذعا كالمأساة

أتلمّس طريقي بين الحرائق

وتعبر الأحزان جبيني

في الحارات المشتاقة

حيث تُصادَر زنابق الجبل البيضاء

حيث تُصَادر زهور الحناء

حيث يُصادر الفلّ وعروق البرتقال

يبقى قبرك مجرّدا إلا من زهرة

ولعل ماأوردناه من أمثلة الشعر الجديد في وجهتيه الإيقاعية (أي القائمة على التفعيلة الواحدة)، والنثرية المطلقة (المرسلة دون إيقاع خاص) كافٍ لإيضاح طريقة إخراجه، وهي طريقة دراميتيكية رمزية تغلب فيها غرائب الصور المجازية، والألفاظ المبهمة الدلالات والإشارات البعيدة المدى.

والواقع أن منها الشعر الجيد الممتاز الذي ترى وراء غموضه الظاهري إبداعا في التصوير وتساميا في الفكر. كما أن منها مالاترى وراء غموضه غير تكلّف في محاولة التصوير وفراغًا من جمال المعاني. والآن بعد النظر في شكله الخارجي فلنتقدم إلى النظر فيه نظرة داخلية مع مقابلته في ذلك بالشعر العروضي الأصيل.

الشعر الحر والتصوير الفني :

لامراء أن التصوير فى الشعر هو من أهم عناصر الجمال فيه : يستوى فى ذلك القديم والحديث المنظوم بلغة فصيحة أو بلغة عامية . فالشعر بطبيعته مصور يجسّم ما يستلهمه من الحياة والطبيعة بشكل أشد تأثيرا فى النفوس وأكثر إمتناعا لها . خذ مثلا قول امرئ القيس فى معلقته المعروفة .إذ يصف ليلة أطبقت عليه بالهموم وقاسى فيها ماقاساه من عناء السهاد فقال :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدّت بيذبل

ففى تصويره هذا الليل بحرًا تتابعت أمواجه بأنواع الهموم عليه ، وقد طال حتى كأن نجومه شدّت بأمراس إلى صخور جبل (يذبل) يشعرنا بما لانشعر به لو قال . ليل طويل أسهدتنى فيه الهموم المتراكمة علىّ .

ومن هذا القبيل وصف المتنبى لسوء حالة يوم كان مقيماً فى مصر على مضض عند أميرها كافور ، وقد أصابته حمّى زادته شقاءً على شقاءٍ . فقال من قصيدة يصف الحمّى وكانت تراجعه ليلة بعد ليلة :

وزائرتى كأنّ بها حياءً
فليس تزور إلا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت فى عظامى
يقول لى الطبيب : أكلت شيئا
وداؤك فى شرابك والطعام
وما فى طبّه أنى جواد
أضرّ بجسمه طول الجمام
تعود أن يغبّر فى السرايا
ويدخل من قتام فى قتام
فأمسك لا يطال له فيرعى
ولاهو فى العليق ولااللجام

فتأمل هذا التصوير الرائع لسوء حاله . وهل كانت النفوس تهتز له لو أن الشاعر اكتفى بأن يقول : أصابتنى حمّى فى مصر وأنا مكره على الإقامة فيها كالأسير لدى أميرها كافور .

هذان مثالان من ألوف الأمثلة فى أدبنا العربى على ما لحسن التصوير فى الشعر من روعة وتأثير ، ولاسيما إذا كان الشاعر

ذا موهبة فنية عالية. ولقد امتاز بهذه الموهبة كثير من شعراء العربية قدماء ومحدثين. فأخرجوا للناس من بدائع تصويرهم روائع خالدة. ومعظم اعتمادهم فيها على جودة فى التعبير البيانى من تشبيه واستعارة وتمثيل وكناية ومجاز مرسل وما إليها.

ونرى الشعر الحر الجديد يعتمد أكثره على الرموز والإشارات إلى أبعاد من المعانى والحقائق الإنسانية والاجتماعية . . . . وإليك للإيضاح بعض أمثلته.

يقول بدر شاكر السيّاب فى قصيدته (قافلة الضياع) واصفا حال الفلسطينيين الذين أكرهوا ظلما وعدوانا على هجر أوطانهم واللجوء إلى أوطان أخرى. نثبت منها القسم الافتتاحى فقط :

أرأيت قافلة الضياع[1]، أما رأيت النازحين!

الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين

آثار كل الخاطئين[2]

النازفين بلا دماء

السائرين إلى وراء»

كى يدفنوا هابيل وهو على الصليب ركام طين[3]

قابيل! أين أخوك؟ أين أخوك؟ جمّعت السماء

آمادها لتصيح — كوّرت النجوم إلى نداء

قابيل أين أخوك؟

يرقد فى خيام اللاجئين[3]

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق من التصوير الرمزى وبعد الإشارات. وهى كما ترى مشبعة بروح النغمة الثائرة لما أصيب به بنو العروبة فى فلسطين على يد غزاتهم المعتدين. إذ استولوا على بلادهم بمساعدة بعض الدول القوية، فاحتلوها وطردوا سكانها.

---

(١) يرمز بقافلة الضياع إلى هؤلاء المشردين الذين أضاعوا حقوقهم وأوطانهم.

(٢) أى الحاملين على ظهورهم آثام الذين ارتكبوا خطيئة إبعادهم وسببوا لهم كل هذه المحن.

(٣) و(٤) قابيل وهابيل هما ابنا آدم ويرمز بهما إلى الأخوة فى الإنسانية أو الوطنية. وكأن السما ونجومها تسأل الأخ الأكبر قاتل أخيه : أين أخوك؟ فإذا بها تسمع الجواب فى خيام اللاجئين.

وقد لايقتصر هذا النوع من التصوير الشعرى على ذكر الأوطان السليبة ، وصبّ جام النقمة على سالبيها ومن ساعدهم على السلب . بل تتناول أحيانا الاعتزاز بماضيها وتاريخها المجيد والمباهاة ببطولات أبطالها السالفين . كهذه القطعة لأدونيس من مجموعة نشائده المنشورة تحت عنوان (قالت الأرض) حيث يعدّد مآثر سكانها الأقدمين كالفينيقيين مثلا ، فيهتف هتاف القويّ المعتز بقومه — (ص ٩) :

من هنا . من بلادنا نحن أقلعنا

شراعاً وموجةً ولآلى

ومشينا حرفاً على صفحة القلب

وحرفا على شفاه الليالى

إن نشأ تترك الحصا زهرا حلوا

ونحفر على النجوم خطانا

نحن شئنا الدنيا جمالاً وحقًا

وخلقنا للعالم الإنسانا

إنه زهو شائع فى الشعر الجديد الطموح الثائر على الأوضاع ، على أنه لايخلو من الحسرة على وطن كان عندهم فيما مضى منشأ البطولات والأبطال ، فيبكون ولكن لابعين البائس اليائس بل بعين الراجى المتطلع إلى عهد أعز وأكرم . عين تحلم بولادة ثانية لهذا الوطن الذى أذلّ بنيه توالى الكوارث والخنوع للطغاة ، وذهب بجيوشهم طول التردّى فى وهدة الهوان حتى غدوا فيه راقدين كالأموات . وفى هذا الجو المشبع بروح الحياة الجديدة تتجلى لنا فى كثير من أقوالهم أسطورة البعل الفينيقى (تمّوز) كيف مات قتيلا فى جبال لبنان ثم كيف قام لابسا ثوب الحياة ، بل كيف يموت كلّ سنة فى الشتاء ثم يقوم فى الربيع مجدّدا خصب الأرض ، ومن بدائع الرموز إلى ذلك ما تجلّى لخليل حاوى من رؤيا قيامه ثانية لوطنه الشرقى ، على يد الأجيال الآتية ، بعد أن مرّ فى طور عقم لا خصب فيه ولا إنتاج . وبخفقة رائعة من قلب الشاعر سجّل لنا قلمه هذه الكلمة ، مخاطبا الجيل القديم ، موتى الروح والطموح فقال : (ديوان ١٢٣)

لن تموت الأرض إن تمم

لها بعل إلهى قديم

طالما حنّت إليه عبر ليل العقم

أنثى وإلهة

أى تربة الأرض العطشى إلى

الخصب

فضَّها البعل وروّاها

فغصّت بالرجال الآلهة »

فامتلأت الأرض من أبطال كالآلهة

(وبنفحة من الأمل يتساءل بلسان

الوطنيّ الواله) :

أترى يولد من حبّى لأطفالى وحبّى

للحياة

فارس يمتشق البرق على الغول

(يشير إلى أسطورة مار جرجس

وقتله التنين)

« على التنّين ! ماذا هل تعود

المعجزات ! »

أى (هل يعود الزمان فيخرج من

الشرقُ صانعو المعجزات الذين خرجوا

منه فى قديم الزمان)

« بَدَوِيّ ضرب القيصر بالفرس[1]

وطفل ناصريّ وحفاة[2]

روّضوا الوحش بروما ، سحبوا

الأنياب من فكِّ الطغاه

ربٍّ ماذا .. ربٍّ ماذا !

هل تعود المعجزات !

والذى يوازن بين الطريقة الشعرية الأصولية والطريقة الجديدة الحرة لايكاد يجد فرقا بينهما ، من حيث اعتمادهما على التصوير الفنى . فالشعراء فى كلتا الطريقتين كثيراً ما يستعينون به فى وصف وقائع الحياة وحقائقها لتبرز فى شكل أشد تأثيرا فى النفس وأكثر إمتاعا لها . على أنهم يختلفون فى أساليبهم التصويرية ومقاييسهم الجمالية فالأصوليون قديما وحديثا يرون بلاغة الشعر أو حقيقة جماله قائمة على حسن البيان العالى ، ويعيبون الوعورة فى الألفاظ وتكلف غير المألوف ، أو البعيد فى الصور المجازية . ولوجاءت من الشعراء المعروفين بفصاحتهم وعلوّ مكانتهم . أوعلى هذا الأساس أخذوا قديما على أبى نواس

---

(١) إشارة إلى النبى العربى وفتوح أتباعه .

(٢) إشارة إلى المسيح و إلى رسله الذين برغم ضعفهم فتحوا العالم الرومانى حاملين رسالته .

تصويره المال بشخص يمشى على رجليه إذ قال يمدح أحدهم بالجود :

جاد حتى حصد الفاقة واجتثّ السؤالا

ياأباإسحق لوأنصفتَ منك المال قالا :

مالرِجْلِ المال أمست

تشتكى منك الكلالا

فانظر إلى هذه المجازات الغريبة فى البيتين الأول والثالث : حصْد الفاقة واجتثاث السؤال ، وكلال رِجْل المال عن كثرة إرساله إلى العافين والمحتاجين . ومثل ذلك فى التصوير الغريب ماأخذوه على أبى تمام من قوله واصفًا قائدًا بالشجاعة والإقدام إذ هاجم فى يوم شتوىٍّ شديد الزمهرير والعواصف ، فلم تصدّه أهواله عن الهجوم بل خاضها حتى بلغ مبتغاه من النصر . وقد صور الشاعر ذلك الشتاء بجملٍ هائج صعب المراس على من يودّ ركوبه ، لكن الممدوح ضربه ضربة غادرته ذليلا طوع القياد . فقال فيه من قصيدة معروفه :

فضربتَ الشتاء فى أخدعَيْه

ضربة غادرتْه قَوداً ركوبا

ومما قد يُؤْخذ على أبى تمام من غرائب المجاز وصفه لبعض أهل المكارم بأنهم لا يبالون بما يصيبهم من أذى فى صحة أجسادهم ، إذا سلمت أحسابهم من ذلك . فقال :

لا يأْسفون إذاهُمُ سَمِنَتْ لهم

أحسابهم أن تهزل الأعمارُ

فاستعمل السمانة للأحساب والهزال للأعمار وهما لا يستعملان عادةً إلا فى وصف الأجسام ؛ فمقاييس البلاغة الوصفية التصويرية فى نظر الأصوليين من الشعراء تكون فى أن الصورة المجازية غير بعيدة عن المألوف فى العقل . وليس تكلف الغريب عن الفهم بجائز مستساغ إلا إذا كان فى استعماله ما يزيد الكلام قوة ، والصورة المعنوية رونقاً وجمالاً . وإلاّ فهو مستهجن عند البلغاء .

ولما ظهرت الحركة الرومانسية فى أدبنا الحديث تدعو إلى حرية التعبير الشخصى ، والإقلاع عن التقاليد الكلاسكية وقيودها اللفظية والمعنوية ، لم تجانب مقاييس البلاغة فى استعمال التصوير المجازى بل وطّدتها وتوسّعت فى طريقتها القائمة على السهولة والوضوح ، فاستساغها الذوق العام . وهكذا أصبحت الرومانسية هى الطريقة الوحيدة المثلى لنظم الشعر . على أن كثيرين من أتباعها

لم يُحسنوا الجرى عليها؛ فأسرفوا فى استعمالهم السهل الواضح من التعابير حتّى كاد النظم يفقد زخمة الشعرى. فاتّهمت الرومانسية بالميوعة والابتذال والتدنّى، لولا أن نشأت فى هذا القرن طبقة من أرباب المواهب الشعرية العالمية الذين تداركوها. فإذا هى على أيديهم ذات قوة لفظية ورونق معنوى. والواقع أنها بفعلهم أصبحت رومانسية جديدة تمتاز بمتانة فى الديباجة على عذوبتها. وبعد فى المرامى على إشراقها. وعمق فى المعانى على سهولة الوصول إليها.

البعد المعنوى فى الشعر :

الواقع أنه من المتعذر أن نفصل فى الشعر بين حسن التصوير وبُعد المعنى فهما العنصران الأساسيان للإبداع الفنى فيه. والشاعر الشاعر هو الذى وهب المقدرة على الجمع بينهما فى نظمه. فكان لكلامه روعته الخلابة. وإذا كان شاعر قديم كأبى تمام مثلاً يصف فى شخصه الرجل الطموح الذى لا يرى من سبيل غير المغامرة واقتحام الشدائد لنيل الرغائب، فيخاطب من كانت تحاول صدّه عن سفر شاقٍّ ينويه فى هذا السبيل فيقول لها :

ذرينى على أخلاقى الصُّمّ للتّى
هى الوَفر أو سِربٌ ترنّ نوادبه

فإن الحسام الهندوانىَّ إنما
خشونته مالم تفلّل مضاربه

فلا عجب أن يهزّ نفوسنا اليوم كما هزّها مدى الأجيال السابقة؛ بتصويره الغريب لحسام يختلف عن سائر السيوف فى أن مضاء حده يقوم على تثلم هذا الحدّ من كثرة استعماله فى الضرب والنزال لا على سلامته وهو مغمد دون استعمال. إن طالب الرغائب من الرجال هو الذى ينالها بخوض الشدائد إليها، واحتمال الأذى فى سبيلها، لا يتوخى السلامة وهو لابث فى منزله، قاعد عن مجابهة الأهوال.

ومن هذا الطراز العالى تصوير أبى العلاء المعرى مرارة نفسه لرؤيته فى

الناس غرور المقصرين وتبجحهم فى التطاول على المتفوقين فيقول :

إذا عيَّر الطائىَّ بالبخل مادر
وعيَّر قسّاً بالفهاهة باقل[1]
وقال السُّهَى للشمس :أنت ضئيلة
وقال الدجى :يابدر لونك حائل[2]
وطاولت الارضُ السماءَ سفاهةً
وفاخرت الشهبُ الحصا والجنادل
فياموت زُرْ ، إن الحياة ذميمة
ويانفس جِدّى إن دهركِ هازل

فالشاعر إذ يتأمل أهل زمانه . وما يتملّك الكثيرين بينهم من غرور يدفعهم إلى التطاول على ذوى المآثر والفضل ،يحس فى نفسه بمرارةٍ تزهّده فى الحياة ، فيعبّر عنها بهذه الأبيات تعبيرا صادقا لايسعنا معه إلا أن نشاطره إياها ، ونحن مع ذلك نشعر فى تعبيره الفنى بحلاوة تلك المرارة .

وللبعد المعنوى فى الشعر وجهان : وجه ذاتى خاص، ووجه موضوعى عام . ويُراد بالأول ماينعكس عن نفس الشاعر أومايمر بخاطره من ومضات ذهنية ترينا مالا نراه عادة من معانى الحياة وحقائقها . أو من روائع الصور الجمالية فيها

خذ المتنبى مثلا وهو من هو بين الشعراء فى تاريخيا الأدبى ، وتأمل ما وعرف به من نظرات بعيدة فى الحياة ، تجد أنه لم يصطنعها اصطناعا لذاتها ؛ بل جاءته عرضا فى سياق بعض قصائده المخصصةَ للمدح أو الرثاء أو غيرها من الأغراض الخاصة ، كقوله فى قصيدة يمدح الأمير سيف الدولة مهنئاً إياه بالعيد وظفره على ملك الروم :

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
ووضعُ الندى فى موضع السيف بالعلى
مضرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

أو قوله فى سياق قصيدة يصف فيها شجاعة بدر بن عمار يوم هجم عليه أسد هصور فصرع الأسد :

أنِفُ الكريم من الدنيّة تارك
فى عيشة العدد الكثير قليلا

---

(١) الطائى وهو حاتم طيىء المشهور بكرمه فى التاريخ . مادر هو رجل عرف بالبخل . قس خطيب جاهلى اشتهر بفصاحة الكلام وحسن البيان وباقل رجل عرف بالحمق والعى فى الكلام .

(٢) السهى نجم ذو نور ضئيل .

والعار مضّاض وليس بخائف

من حتفه من خاف ممّا قيلا

قال ذلك مشيرًا إلى ذلك الأسد، إذ أعطاه صورة البطل الأبيّ الذى يخشى عار الهزيمة أكثر من خشية الموت فزاد تمجيد ممدوحه وتعظيمه لصموده العجيب، وفتكه بهذا الأسد الرهيب.

مثل هذه المعانى البعيدة التى تومض للشاعر فى سياق وغرض مّا لاتتأتّى إلا لذوى النظر الثاقب وفى مناسبات خاصة.. وليست هى من قبيل السلاسل الحِكْمية، والأمثال التى تتتابع تتابع الحلقات فى السلاسل، أوحبّات الخرز أو الدُّرّ فى العقود، فهذه تُصنع صنعا وترتّب ترتيباً فى سموط خاصة؛ ليستفيد منها مطالعها حكمة أو معرفة وخبرة كأرجوزة أبى العتاهية المعروفة بذات الأمثال، أو لاميّة ابن الوردى الموجهة إلى الجيل الناشىء فى زمانه ومطلعها:

«اعتزل ذكر الأغانى والغزل»

أو ماشاكلهما من شعر حِكْمى وتثقيفى ممتاز. أما تلك الومضات الذهنية التى أشرنا إليها آنفا، والتى تتجسم للشاعر بالفِكَر البعيدة خلال نظمه، فهى شىءٌ آخر.

وليس من المحتّم أن تكون هذه الومضات تجسيما لنظرات فلسفية، أو لحقائق، خلقية أو لقيم مثالية. فقد تأتى أحيانا إبداعاً تصويرياً لبعض المشاهد أو الحالات الحياتية العادية؛ كقول أحمد شوقى مثلاً فى أبيات من قصيدته «زحلة» أو «جارة الوادى»، كما يلقبها حيث يرسم لنا مشهداً خيالياً لمتحابين طال الفراق بينهما، ثم حظيا بلقاء سعيد: فيضع الشاعر على لسان المحب الولهان وهو يحدث الحبيبة، واصفا لها شدة ولهه، فيقول:

وتعطّلت لغة الكلام فخاطبت

عينىَّ فى لغة الهوى عيناكِ

ومحَوتُ كُلَّ لُبانةٍ من خاطرى

ونسيتُ كلَّ تعاتبٍ وتَشَاكى

لا الأمسُ من عمرِ الزمان ولاغدٌ

جُمِع الزمان فكان يوم رضاكِ

هذا الجمع للزمان فى يوم واحد وهو يوم رضاها يُعد إبداعا فى التصوير أو بُعداً فى الخيال. وإن يكن الغزل هنا غير واقعى، فالقصيدة نظمت فى وصف مدينةفى لبنان لا فى حسناء من الغوانى

الحسان . على أن للشاعر طريقته الخاصة ، وإنما نحن نعنى بالبعد فى تصويره الفنى .

ومن هذا الطراز الفنى العالى مايلى للأخطل الصغير شاعر لبنان من قصيدة ألقاها فى الحفلة التأبينية التى أقيمت فى بغداد لفيصل الأول ملك العراق وكان فيصل خلال الحرب الأولى القائد الأكبر للثورة العربية . قال يصف فيها حزن وطنه الشامل وولاءه للعروبة :

قد حملنا الشآم من طرفيه
فوق بحر من الأسى متلاطمْ

وسفحنا فى دجلة قلب لبنان
وأجفانُه الهوامى الهوائم

عربيٌ النِّجار شدَّ عراه
باللوائين: عبد شمس وهاشم

فإذا أنعمت النظر فى هذه الصورة التى يرسمها الشاعر لحال وطنه وما كان يسوده من حزن عميم ، وكيف حمل الشاعر والوفد المرافق له هذا الوطن « من طرفيه » ؛ أى على اختلاف طوائفه وأقاليمه ، وكيف سفحوا فى دجلة لب لبنان مع دموع سكانه ، ثم التفتّ إلى تعريضه بمن يشك أو يجهل ولاء لبنان للعروبة التى يحمل لواءها الفقيد العظيم سليل أمجاد قريش من « عبد شمس وهاشم » — إذا تأملت كل ذلك رأيت خلال هذه العبارات صورة عمّا فيها من أسى ، مشرقةً بنور بيِّن من المعانى الجليلة . مثل هذه الأبعاد المعنوية الفردية يطالعك فى مالا يحصى فى الشعر العربى قديمه وحديثه . وقد تألقت فى رومانسية قرننا الحاضر على أيدى نخبة من نوابغ الشعر ، بين الحربين العالمتين ولا تزال تتألق على أيديهم حتى الآن .

ومن الإنصاف أن نقرر هنا أن الشعر الحر الجديد لم يقصِّر فى هذا المضمار ، على أن بينه وبين الشعر الأصيل اختلافا فى طريقة العرض للأبعاد المعنوية ، ورسم الصور الملائمة لها .. فلنقف هنيهة لنلقى نظرة على بعض أوجه هذا الاختلاف بينهما .

البعد المعنوى بين الشعر الأصيل والشعر الحر الجديد :

مرّ بنا سابقاً أن للبعد المعنوى فى الشعر وجهين : أحدهما ذاتى خاص ،

والثانى موضوعى عام . وأن الأول يتكوّن من ومضات ذهنية تعرض للشاعر خلال قطعة شعرية ينظمها الغرض من الأغراض . هكذا كان فى عهود الكلاسيكية القديمة . وعلى هذا المنوال جرى فى الكلاسيكية الحديثة . ثم ماخلفها من نزعات شعرية أخرى وبخاصة النزعة الرومانسية التى أصبحت – ولاتزال – طريقة النظم الغالبة فى عصرنا الحاضر .

والذى يلاحظ أن هذه الومضات الذهنية راجعة فى الأكثر إلى إبداعات مجازية فى تصوير مايتجلى للشاعر من معانى الحياة أو حقائقها . وهى عند التحقيق داخلة فى ما يسمّيه البيانيون « البديع المعنوى » من تشبيه وتمثيل واستعارة ومجاز مرسل وسواها .

وإذا قابلنا الشعر الرومانسىّ الأصيل بالشعر الحر الجديد من حيث تصويرهما المجازىّ للمعانى وجدنا أن الأخير ، أى الحر ، يُعْنَى باستعمال (التجسيم للمعانى) عناية خاصة بل هو يسرف فيه إسرافاً ظاهرا ؛ ويقصد (بالتجسيم) إعطاء المعنويات والجمادات خصائص العقلاء أو الأحياء ، وقد كان القدماء يستهجنون بل يعيبون الإسراف فيه كما قدمنا فى غير هذا المكان . على أن أرباب الشعر الحرّ عموما يُقبلون عليه إقبالًا شديدا . ويأتُون منه بما يستغربه الكثيرون من أهل الذوق الأدبى الأصيل ، وإن يكن منه كما فى سواه الحسن المستجاد . وهاك بعض نماذج منه

من ديوان الحاوى . ص ٢٧ « أتجترُّ العمر مشلولاً مدمًّى » .

ص ١١١ « تولد الفكرة فى السوق بغيًّا » .

ص ١٩٥ « والثوانى مَرِضت . ماتت على قلبى » .

ص ٢٢٣ « نعجنُ الوهمَ ونطْلى الجمجمة »

ص ٢٣٩ « ترَف اللؤم نُحلىِّ طعمه بالنِّفاق » .

ومن ديوان الماغوط ص ٦٣ « البواخر التى أُحبُّها تبصق دماً وحضارات » .

ومن ديوان البيّاتى ص ٣٠ « ضوء النهار يمتصّ أعوامى ويبصقها » (أباريق مهشمة) .

ومن ديوان البياتى ص ٢٨ « والسرُّ على شفاهها انتحر » .

من ديوان الفيتورى فى قصيدته : « أحزان المدينة السوداء » يصف حالة بلاده إفريقيا وشقاء أهلها ، يقول :

.. « وتجرى كآباتها فى عروق الحياة ..

وتصبغ لون الحياة

وتصبغ وجه الإله

وتضحك أحزانها فى الشفاه »

من ديوان حجازى ٢٢٥ « رسالة إلى مدينة مجهولة » :

« حملتُ كأس عُمرى الصغير فارغاً

لمن يصبّ فيه قطرتى سرور »

ومن شعر أدونيس فى قصيدة (المشردون) :

« يأكل الفراغ نداءنا

أيامُنا جُمعت على أشلائنا »

أما الوجه الثانى من البعد المعنوى فيتجاوز مايمرّ فى خاطر الشاعر عرضاً من ومضات ذهنية نيّرة تظهر له فى سياق بعض قصائده . فإن هذا الوجه فى الواقع هو المحور الذى يدور عليه نظمه . والغرض الذى يرمى إليه وهو ينبعث فى نفسه عن تأثيره بأوضاع إنسانية عامة ، منهاما هو واقعى مُشاهد ، كحالة وطنه مثلا ومايقاسيه من سوء الأحكام وعناء الحياة ، ومنها ماهو مثالى كتقديسه لقيم الحياة العليا والتغنى بها والدعوة لها . كالحق والعدالة والحرية والمساواة والسلام وإيثار المصلحة العامة على الخاصة ، وما إلى ذلك من قيم مثالية هى فى اختيار البشرية الأسس الثابتة لتقدم الإنسان وصلاح حاله على الأرض .

ولقد يمرّ الشاعر فى حالات وجدانية تدفعه إلى التأمل الفلسفى فى الوجود والحياة والمصير ، فيقف حائراً ، وفى وقفته هذه لا يرى لديه ما يخفف ثقل حياته أو يهديه فى حيرته غير الارتفاع على أجنحة الخيال إلى عالم من الرؤى يطيب له فيها المقام . والذى يلاحظ أن الشعر العربى قديما لم يحفل على العموم بمفارقة ما يتعلق بحياة بيئته المعيشية العادية . فهو قلما يعكس لنا غير تلك الوَمَضات الحِكَمية التى ذكرنا آنفا أنها تتألق فى بعض ما كان ينظم فى أغراض شتى ؛ حتى المعرى وهو كبير حكماء الشعر العربى الإنسانى لا نرى فى لزومياته غير حملات مكررة ، يشنها على ذوى الفساد من حكام وشيوخ

دين . وإلّا فأين تلك الأبعاد المعنوية التى تبتكر المواضيع المتخصصة للنظر فى الحياة وقضاياها والإنسان ومشاكله ، أو فى العوامل الفعّالة إما لرفع الحضارة البشرية ودفعها إلى الأمام لأجل الخير العام ، وإما للوقوف فى سبيلها وتعميم الخراب فيها بيد الشر الهدّام ؟

تلك أبعاد نرى الشعر الحديث اليوم أكثر احتفالا بها ، ولاسيما بعدما عظم فيه شأن الحركة الرومانسية واتسع مداها ، وكذلك ماتبعها من شعر حر يجرى فى نظمه على غير طريقتها . وإليك للمقابلة بعض نماذج من كليهما .

خذ من الشعر الرومانسى مثلاً وقفة لخليل مطران أمام الأهرام بمصر ، وقفها لمجرد وصف تلك الصروح الجبّارة والتغنّى بأمجاد بُناتها من طغاة الفراعنة بل للتأمل فيما هو أبعد من ذلك ، فهى تتراءى له عِبرة من عِبَر التاريخ ، بل عظة اجماعية يلقيها الزمان على الطغاة المستبدين من الحكام الذين يسخرون الأفراد لمآربهم الذاتية : لايهمهم ما يقاسيه الناس من عناء وشقاء ولاما ، يذوقونه من عذاب وحرمان أوموت ، ليشيدوا لهم صروحَ أمجادٍ يتوهمون فيها خلوداً لحياتهم وبقاء لعظمتهم وجبروتهم ، فتأمل كل ذلك فقال من قصيدة مخاطبا الذين شادوا الأهرام بتسخير المستضعفين ، لتكون مدافن لهم يخلدون فيها ، وهاهم الآن جثث بالية مدفونة مع طغيانهم واستبدادهم :

يا أيها الموتى ألَمْ يسمعكمُ
صوت المنادى صادقا مردِّدا
قوموا انظروا الشعوب فيما حولكم
تدوس هاماتِ الملوك همَّدا
قوموا انظروا أجسادكم معروضة
فى مشهد لمن يروم المشهدا
وكان يغنيكمْ جميل الذكر لو
خفضتم اللحدَ وشدتم للهدى

ولهذا الشاعر أكثر من وقفة كهذى يصف فيها استبداد المستبدين وكيف ساءت عاقبتهم ، ونشير هنا بنوع خاص إلى قصيدته الكبرى (نيرون) والتى يصف فيها حياة هذا الطاغية الرومانى ويختمها بقوله :

كلُّ قومٍ خالقو نيرونهم
قيصرٌ قيل له أم قيل كسرى

ومن هذا القبيل وقفة لشاعر رومانسي آخر، وقفها على نهر لندن عقب الحرب العالمية الأُولى وماكان من زهو الحلفاء وفى مقدمتهم بريطانيا إذ خرجوا منها منتصرين على الألمان وشركائهم . وعلى هذا النهر حرّكت الشاعر ذكرى تلك الحرب الهائلة وعواقبها الوخيمة على كلا الغالب والمغلوب (وكانت بريطانيا يومئذ قد بلغت غاية عظمتها الامبراطورية) فتأمل فى الممالك العظمى التى سادت على الأُمم منذ القِدَم وما آل إليه أمرها بعد العزّ والطغيان فجعل وقفته وهو فى عاصمة بريطانيا تذكيراً لذوى السلطان الآن، وتحذيراً لهم من أحكام الزمان وهى مؤلفة من عدة أدوار، وهذه بعض أدوارها :

عَلَمُ بريطانيا أىّ علمْ
رفعتْه فى الورى أجنادها
شيّدوا أمجادَها بين الأُمم
هل ترى تبقى لها أمجادها ؟
ذلك الأسطول خفّاق البنودْ
ذلك الجاه وهاتيك الجنودْ
أم لكلٍّ أجلٌ ثم يعودْ . .
ذلّةً عزٌّ بنيها والعلى
وعلى الأمجاد يستولى البلى

وبعد أن يستعرض فى بضعة أدوار عدداً من الدول العظمى التى ازدهرت فى التاريخ وسادت ثم تقهقرت فاندثرت أو تضاءلت وأصبحت صغيرة لا شأن لها .

يقول مخاطبا القوة المادّية حربيّةً أو مالية :

حَكَموا فى الناس حينًا ومضى
حُكمهم تهزأ منه الحقبُ
حسبوا أن لن يزولوا وقضى
دهرُهمُ فى عكس ما قد حسبوا
أيها القوة سيرى باحترامْ
وانظرى فى مدفن الدهر الرِّمام
بالياتٍ فسيأتيكِ الحِمام
وتصيرين كتلك الرِّممِ
بين أحداث البلى والعَدم
ها هنا السيف سيعلوه الترابْ
ها هنا المدفع يصدا فى الظلامْ
ها هنا الرمحُ سيبلى والحرابْ
ويذلّ الفخرُ فى جوف الرِّغامْ .
ليس للقوة سلطان الوجودْ
ليس للسيف العلى أو للجنود
إنما الحقُّ سيعلو ويسود

أيها . القوة هلّا تعقلين
هاهى الحكمة تدعو العالمين

وقد يستلهم الشاعر أبعاده المعنوية العامة من بيئته السياسية أو الاجتماعية ، كما ترى فى قصيدة للشاعر التونسى أبى القاسم الشابّى موضوعها (إرادة الحياة) وفيها ينعكس لنا شعور الشبيبة التونسية التوّاقة إلى أن ترى بلادُها حرة مستقلة من الاستعمار الأجنبى . وهذه بعض أبياتها . ومنها نستدل على روحها العامة (ديوانه ١٩٦٥) :

إذا الشعبُ يومًا أراد الحياةَ
فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى
ولابد للقَيد أن ينكسر

وهى طويلة ، وقد ختمها بما يلى :

ورَنَّ نشيد الحياة المقدّس
فى هيكلٍ حالمٍ قد سَحَر
وأعلن فى الكون أن الطموح
حبيبُ الحياةِ وروحُ الظفر
إذا طَمِحَتْ للحياة النفوس
فلابد أن يستجيب القَدَر

وفى ديوانه تتضح روحه بالدعوة إلى الحرية والتنديد بالطغاة ، كقوله من أبيات مخاطبا طغاة العالم :

ألا أيُّها الظالمُ المستبدّ
حبيبُ الفناء عدوُّ الحياة
سخرتَ بأنات شعبٍ ضعيفٍ
وكفُّك مخضوبةٌ من دماه
وعشتَ تدنِّس سِحر الوجود
وتبذر شوك الأسى فى رُباه

وقد ينعكس الفكر الشعرى البعيد عن أمنية إنسانية أو فكرة فلسفية يرغب فى الحصول عليها أو إدراك كنهها كما ترى فى تلك الوقفات الفكرية الحائرة التى يقفها بعض شعرائنا الرومانسيين ، كما فعل مثلا إيليا أبو ماضى فى عدد من قصائده المعروفة ، أكتفى منها للتمثيل الآن بتلك التى جعل موضوعها (العنقاء) . والعنقاءُ طائر خرافى وهو عند العرب أحد المستحيلات الثلاثة ويرمز بها إلى السعادة التى يقضى الإنسان حياته مفتشا عنها ساعيا للاهتداء إلى مكانها ، ولكنه لا يهتدى إليه إلا وشمس حياته

قد أشرت على الغروب، يقول فى مطلعها :

أنا لست بالحسناءِ أوّلَ مولعٍ
هى مطمعُ الدنيا كما هى مطمعى

ثم يجرى فى حديثه عنها فيصف سعيه طوال حياته للحصول عليها؛ يسأل كل إنسان ويفتش كل مكان. حتى إذا بلغ آخر العمر وقف يصف لنا فى ختامها نتيجة طوافه، وقد استولى عليه القنوط فقال :

حتى إذا نشر القنوط ضبابه
فوقى فغيّبنى وغيّبَ موضعى
وتقطّعت أمراس آمالى بها
وهى التى من قبل لم تتقطّع
عصر الأسى روحى فسالتْ أدمعاً
فلمحتها ولمستها فى أدمعى
وعلمتُ حين العلم لا يُجدى الفتى
أن التى ضَيّعتُها كانت معى

وإذا كان الشعر العروضى الحديث لا يعتمد عادة على الرموز والأساطير الغامضة فى ابتكار المواضع لأبعاده المعنوية كما يعتمد الشعر الحر الحديث فإنه لا يخلو منها، كما نرى فى ديوان الشاعر الرومانسى الكبير إلياس أبو شبكة حيث يعرض لنا قصة شمشون الجبار الواردة فى سفر القضاة من التوراة وما كان من أمره مع الفلسطينيين أعداء قومه، وكان شمشون قاضيا (أى زعيما أو رئيسا) لقومه، وقد نذره أبواه لله منذ ولادته؛ فوَهَبه ربُّه قوة جسدية فائقة على أن لا يعلو مقصٌّ شعرَه. وظل كذلك حتى انحرف عن سبيل الله وعكف على شهوته الجسدية. ثم فُتِن ببنت هوى من الفلسطينيين اسمها دليلة التى أغوته بطلب من قومها لتعرف سرّ قوته الجبارة فأنامته وقصّت شعره لما أيقنت من فقدانه القوة التى كان يتغلب بها على أعدائه؛ وسلمته إلى قومها فقبضوا عليه وقلعوا عينيه وقيدوه بالسلاسل وزجّوه فى السجن.

وفى ذات يوم استاقوه إلى بيت صنم لهم؛ ليتفرج عليه الشعب ويضحكوا من حركاته. وهناك هاجت فيه روح النقمة على نفسه وعلى آسريه. فتحايل حتى قبض بكلتا يديه على العمودين القائم عليهما سقف البيت وضغطهما ضغطة زعزعته، فسقط على جميع من

كان فيه . وهكذا قضى شمشون وأصبح أسطورة فى التاريخ وعبرة للاعتبار . هذه الاسطورة المأساة اتخذها أبو شبكة موضوعاً لمعنى شعرى بعيد ، وختمها بالأبيات التالية التى وضعها على لسان ذلك الجبّار إذ قال :

فاسقطى يادعائم الكذبِ الجاني
وكونى أُسطورة للدهور
مَحَق الله فىّ شر ظلامى
فلتضئ فى الحياة حِكمة نورى
إذ تكن جزّت الخيانة شَعرِى
فى ضلالى فقوتى فى شعورى

ولنتحول الآن إلى الشعر الحر :

أما وقد عرضنا بعض نماذج تمثل البعد المعنوى فى شعرنا الأصيل ، الجارى على الطريقة الرومانسية الحديثة ، فلنتحوّل مقابل ذلك إلى عرض نماذج من الشعر الحرّ الرافض لهذه الطريقة ، وقد رأينا للاختصار أن نختارهنا لثلاثة فقط ممّن يمثل شعرهم هذه الحركة الانقلابية .

ولعله من المفيد أن نقف هنا لنلتفت ولو لحظة إلى ما سبقت الإشارة إليه من خصائص يعرف بها كل من هذين الشعرين (الأصيل والحر) اللذين يتجاريان اليوم فى حلبة الشعر المعاصر كأنهما فرسا رهان .

فالأول من حيث الشكل : أصولى محافظ على نظام الأبحر الشعرية المعروفة مع اعتماده على الحرية التامة فى استعمال هذه الأبحر على طرق شتى ؛ من عمودية أو توشيحية أو مُجزّأة إلى مقاطع وتراكيب وأشكال جديدة لم تعرف من قبل ، وما يتبع هذه التراكيب والأشكال من تفنن فى استعمال القوافى المتماثلة أو المتنوعة ، وكذلك اعتماده على أصول البلاغة اللفظية من إشراق بالألفاظ وسلاسة فى العبارة ، ومتانة فى الديباجة .

ومن حيث المضمون تحرره من النزعة الكلاسيكية القديمة التى كان الشعر فيها مُخَصَّصًا لخدمة أفراد من العظماء والحكام أو يكرّس لأهواء شخصية ومآرب ذاتية من مدح وذم وفخر وغزل واستجداء وحماس وحكمة ، وما إليه من أغراض الشعر التقليدية القديمة ، وانطلاق فى أجواء الحياة العامة وما ينشأ فيها من قضايا اجتماعية وحاجات اقتصادية ومشاكل

سياسية ومطالب إنسانية ، وبكلمة واحدة كل ما يتطلبه تطور المجتمع البشرى وتقدم الإنسان ماديا وروحيا .

أما الشعر الحر الجديد فأهم خصائصه ما يلى :

١ ـ أنه رافض لنظام الأبحر العروضية وما يتعلق بها من قيود وأحكام .

٢ ـ أن شكله الخارجى عبارة عن مقاطع قائمة ؛ إما على أساس التفعيلة الواحدة وعلى قواف ليست ضرورة على نسق واحد فى العدد والترتيب، وإما على طريقة الإرسال النثرى المطلق من كل قيد من قيود الشعر . كما أوضحنا ذلك فيما سبق .

٣ ـ أنه يعتمد على الأسلوب الرمزى فى ألفاظه ودلالاته سواء فى ذلك القريب منه (أى الواضح الدلالة للأفهام) أو البعيد المتحجب وراء حجب كثيفة من الغموض .

٤ ـ أنه كثيراً مايرتكز على الأساطير ويشير إليها فى سياق عرضه لموضوع من المواضيع ، أو تجربة من التجارب .

وهناك خصائص أخرى ستبرز لنا فيما اخترناه من نماذجه التالية .

مختارات من الأبعاد العامة فى الشعر الحر :

من باب الوجدانيات . أى التجارب النفسية الخاصة :

قطعة من ديوان خليل حاوى فى قصيدة (حبّ وجلجلة) وكان يومئذٍ طالب علم فى جامعة بريطانية . يعانى وحشة البعد عن وطنه لبنان وقد ألمّ به مرض أقضّ مضجعه ، حتى كان يشعر بلياليه وهو ساهد كأنها جلاميد ثقال تضغط على صدره . وفى تلك الحال تراءت لنفسه صورة وطنه وأهله وأحبائه ، وكأنهم ينادونه أن يعود إليهم . فيتجلد رغم شقاء حاله ويصيح :

« آه ربى . .

صوتهم يصرخ فى قبرى : تعال

كيف لا أنفض عن صدرى الجلاميد

الثقال ـ الجلاميد الثقال .!؟

كيف لا أصرع أوجاعى وموتى

كيف لا أضرع فى ذل وصمت ؟!

رُدّنى ربى إلى أرضى

أعدنى للحياة »

ولكنه برغم ما كان يشعر به من شقاء وألم فى غربته يتابع سيره رغم محنته رجاء العودة إليهم ظافراً :

« وليكن ما كان ما عانيت منها

محنة الصلب وأعياد الطغاة

غير أنى سوف آتى كل من أحببتُ

من لولاهم ما كان لى حياة

بعثٌ . وحنين . . وتمنّ »

وفى رجائه يتحدى محنته وما يقاسيه فى منفاه من مرض واغتراب ، فيخاطبهم مفاخراً بهم وبوطنه :

« أنتم أنتنَّ يا نسل إلٰه

دمه يُنبت نيسان التلال

أنتم أنتنَّ فى عمرى

مصابيحٌ . مروج . وكفاه

وأنا فى حبكم . فى حُبكنَّ

وفِدى الزنبق فى تلك الجباه

أتحدّى محنة الصلب

أعانى الموتَ فى حُبّ الحياة »

إنه الشباب الطامح إلى العلى الذى يتحدى فى سبيله العذاب والشقاء ، فلا يخضع لضعف فيه أو لميل يغريه ، أن يحول دون بلوغه أمانيه ، الطموح للعلى ، هدفها هو المعنى البعيد ؛ فى قطعة صوّر لنا فيها الشاعر حاله وهو بعيد فى دار غربته .

وهذه قطعة أُخرى من ديوان الحاوى موضوعها (المجبوس فى أوربا) استوحاها من قصة وردت فى الإنجيل عن مجوس جاءوا المشرق يوم ولد المسيح مهتدين بنجم إلى المغارة التى ولد فيها حيث خروا للطفل ساجدين . وهى فى الواقع مقابلة شعرية بين أولئك المجوس القدماء وما اختبروه فى جو تلك المغارة وبين مجوس من أهل هذا العصر أقبلوا من المشرق أيضاً إلى حيث ولدت حضارة العلم الحديث فى الغرب . وما اختبروه فى جو هذه الحضارة . فى ليلة الميلاد الأولى سجد المجوس خاشعين أمام طفل إلهى تمثلّت لهم فيه السماء على الأرض : السلام والمحبة والسموّ الإنسانى . أما المجوس العصريون فماذا وجدوا وإلى أين قادهم نجمهم وما وجدوا فى ليلة الميلاد أحيوها فى الغرب ؟ يحدّثنا الشاعر وهو أحدهم بطريقته الرمزية فيقول :

« ساقنا النجم المغامر

عَبْرَ باريس بلَوْنا صومعات الفكر

عِفنا الفجر فى عيد المساخر

وبروما غَطَّتْ النجم مَحَتْه

شهوة الكهّان فى جمر المباخر

ثم ضَيَّعْنَاه فى لندن . ضعنا

فى ضباب الفحم فى لغز التجارة

(فإذا هم فى ليلة ميلادية لا نجم فيها

لا طفل سماوىّ مولودٌ بُشْرَى للبشرية) .

ليلة الميلاد . نصفَ الليل . ضيق

شارع يفرغ . ضحكات حزينة

وانحدرنا فى الدهاليز اللعينة

لمغارات المدينة

أعينٌ ترتدُّ من باب لباب

أعينٌ نسألها أين المغارة »

فإذا أمامنا باب مضاءٌ بضوء أحمر وعليه حفرت هذه العبارة :أنتم هنا وهذى هى الجنة . فادخلوها آمنين . .

جنة الأرض هنا لا حيَّةٌ تُغوى

ولاديان يرمى بالحجارة

ههنا الورد بلا شوك

وهنا العُرىُ طهارة

اخلعوا هذى الوجوه المستعارة

(ودخلناها مثل من يدخل فى ليل المقابر فسحرنا مرأى أجسام تتلوى ، وأنوار تتراقص وألحان تأخذ بمجامع القلوب . وركعنا فى جنة الأرض خُشَّعا لسحر العلم البادى) .

وعبدناه إلهاً يتجلى فى المغارة

يا إله المتعبين !

يا إله الضائعين !

يتخفّى فى المغارة

فى كهوف العالم السفلى

فى أرض الحضارة

فى هذه الحضارة الرمزية المثيرة نرى الفرق بين ميلاد الطفل الإلهى كما رآه المجوس القدماء ، وميلاد الترف المادى فى كهوف الحضارة الحديثة . وهكذا ينتقل بنا الشاعر بالرموز من تصوير الواقع إلى ما وراءه من أبعاد معنوية .

ولخليل حاوى من مثل هذه الروائع الرمزية ذات الأهداف البعيدة لمرامى الفكر ما تتلألأ المعانى البعيدة وراء غموضه ولكنك تحتاج إلى صبر ومعاناة لتراها

ولتشعر بلذة الكشف عن أسرارها . على أننا إذا التفتنا إلى الشعر الحرّ فى أجوائه الواقعية من سياسية أو اجتماعية أو وطنية وجدناه على العموم أوضح رموزاً وأقل توغّلا فى ظلمات الغموض المعنوى . ومن أمثلة ذلك ما يلى :

قصيدة (الجندى المجهول) لصلاح أحمد إبراهيم فى ديوانه غابة الأبنوس ص ٦٣ ، حيث نراه واقفا موقف المتهكم من وعود الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية . فقد كان الحلفاء يغرون شباب السودان بالتطوع للمجهود الحربى ضد الألمان واعدين هؤلاء الشباب بنعمة الحرّية والاستقلال لوطنهم متى تم النصر لهم . وقد تم النصر للحلفاء ، ولكن الشباب السودانى لم يحظ من ذلك إلا بإقامة نصب رخامى للجندى المجهول ، مما حفز الشاعر أن يقول فى قصيدة تهكمية .

«وقضى الحلفاء على القوات النارية

وعلى الوعد فى الشدة مدوه فى كل مكان

لم يبق لنا منه سوى الكلام المعسول

ورخام منتصب مصقول» .

وما أشبه هذا القول بقول الأخطل الصغير فى مرثاته الفيصل الأول منوِّهاً بوعود الحلفاء للعرب. ثم حنثهم بتلك الوعود إذ يقول بطريقته الرومانسية فى وعودهم الفارغة :

أملٌ كالسماء فى بسمة الفجر

وفى موكب الرياض الفواغم

فرَّ مُذْ مدّت الأكفّ إليه

كفرار النعيم من كف حالم

حدثونا عن الحقوق فلما

كبر النصر أحوجتنا التراجم

نفحتنا بها الحروب سلاما

ورمانا بها السلام أداهم [1]

وفى هذه الأجواء الواقعية فيه نجد للشعر الحر نشائد تكرست للمجاهدين فى سبيل الحرية أو المثل الإنسانية محتملين عذاب الاضطهاد أو مضحين فى هذا السبيل بالأرواح والأجساد ، كقصيدة لبدر شاكر السياب فى بطولة جميلة بوجيرد إذ يقول منها :

«يا نفخةً من عالم الآلهة

هبّت على أقدامنا التائهة

---

(١) الأداهم : القيود .

لاتمسحيها من شواظ الدماء
انّا سنمضى فى طريق الفناء
حتى تُروّى من سيول الدماء
أعراق كل الناس – كل البحور
حتى تمس الله – حتى تثور » .

ومن هذا القبيل قصيدة لعبد المعطى حجازى ، موضوعها «بغدادوالموت ص١٨٠ » حيث نلمس شعوره العميق بالأسى لحال هذه المدينة العربية عقب مصرع وطنىٍّ حرٍّ فيها بيد الطغيان ، إنه يبكى لحال تلك المدينة ، فيقول ناقما سكوتها عما حدث :

« بغدادُ دربٌ صامت وتبة على ضريح
ذُبابة فى الصيف لايهزها تيار ريح
نهرٌ مضت عليه أعوام طوال لم يفض
وأغنيات محزنة »

ويستمر على هذا المنوال واصفا شقاءها حتى يتحول الأسى فى نفسه إلى نفحة ، إذ يتخيل ذلك الوطن الشهيد حيّاً يخاطب من قبره مواطنيه صائحا : « متى الثأر »؟ ، وقد وضع على لسانه هذه العبارات :

« من قاع حفرتى سمعت قصتى تطوى البلاد
كالطائر الليلى يبكى ويبذر السهاد
بغداد أطفالك القتيل ساهر تحت الرماد »
منتظران تكتبى بالفأس تاريخ المعاد » .

وهنا تومض للشاعر فكرة عن الحياة والموت فيعكسها لنا فى معنى بعيد إذ يقول :

« الموت ليس أن تُوارى فى الثرى
ولا الحياة أن تسير فوقه
« الزرع يبدأُ الحياة فى الثرى »
ويبدأ الموت إذا ماشقَّه
فامنح هواك للذى يحيا
واعط للتراب مااستباحوا خنقه
فلن تموت يا مسيح إنّما
على الصليب ينتهى من دقَّه » .

وفى رمزه إلى الصليب والمسيح قد استوحى معناه البعيد؛وهو أن الحق لن يموت وإنما يموت الذين يدقون مساميره فى أيدى الشهداء من أهل الحق .

ومن واقع السجن يستوحى مثل هذه الأبعاد المعنوية إذ يقول فى قصيدته السجن (٢٥٦)

«لى ليلة فيه
وكل جيلنا الشهيد

عاش لياليه

فالسجن باب ليس عنه محيد » .

السجن عنده باب لا عار من أن يدخله المجاهدون الأحرار . ولكن هناك سجوناً ليست ذات أسوار وأبواب مثقلة بالحديد هى سجون معنوية أشد وأقسى ، يقول :

« والسجن ليس دائما سورا وبابا من حديد

فقد يكون واسعا بلا حدود

كالليل كالتيه ، نظل نعدو فى فيافيه

حتى يصيبنا الهمود » .

هو جفن نطويه على الضيم فى صمت وتخفيه ، أو ساق لا تقوى على غير القعود فى عالم لايعطينا ما ترومه قلوبنا الطامحة ، وهو أرض لا أهل لنا فيها ولا صديق .

كلمة ختامية

الآن بعد هذه الجولة القصيرة فى أرجاء الشعر الحر الجديد ، وما يدعو إليه من انقلاب فى نظام شعرنا العربى ، نرى لزاما علينا أن نقف متسائلين : هل من مبرر لهذا الانقلاب ؟ وهل حقاً أن النظام الشعرى الأصيل أضيق من أن يحسن التعبير عن أبعاد الحياة الحديثة ، بمتطلباتها المادية المعنوية ؟ سؤال يتحدانا جميعاً لعل فى كلمتنا الختامية هذه بعض الجواب عنه .

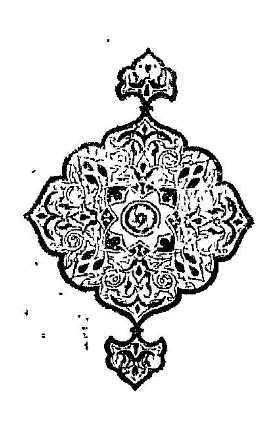
إذا تخلينا عن عصبيتنا للشعر العربى الأصيل ، وما طالما اهتزّت له نفوسنا كما اهتزت له نفوس الأجيال قبلنا من روائع فكرية ، وعواطف ذات أوزان شجية ، فإنه لايسع الباحث منا إلا أن يهتم بما يحدث فيه اليوم من انقلاب جذرى ، فى طريقة إخراجه وفى الأسباب التى دعت إليه وآلت إلى انتشاره ؛ فإن شعرا مثله غريبا عن المقاييس العربية فى ألفاظه وأوزانه بعيدا عن الأفهام العادية برموزه وألغازه ، يجتذب فى النصف الثانى من قرننا الحالى جمهرة من نشئنا الأدبى ، يقبلون عليه ويرون فيه مايطربهم ، بل يروى ظمأً نفوسهم لحرىٌّ بأن ينظر إليه بعين الاعتبار وأن يُعطى حقه من الدرس والاهتمام . ولستُ أنا من دعاة هذا الشعر أو الضاربين بسهم فيه ، وقد نشأتُ فى جو غير جوه ، وشاركتُ أول اطلاعى عليه المتنكرين له ، لكن ذلك لم يَحُلْ

دون رغبتى فى مواصلة الاطلاع لأتفهمه ولا تعرف الدوافع التى حملت أربابه على التحول عن الأَصالة الشعرية التى عرفناها فى الأَدب القديم ، كما عرفناها فى الأَدب الحديث الذى وطدها فى القرن العشرين ، فى رومانسية جديدة متحررة من قيود الكلاسيكية التقليدية متفتحة على عالم الواقع والحياة الإنسانية العامة ، وذلك بعد أن مرّت فى طور من الانطوائية الذاتية تعيش لنفسها فى عالم الخيال منشدة عواطف الحب والجمال فى نفثات من الأَسى ، لما حرمها الزمان من رغائب وآمال ، هذه الرومانسية الجديدة التى تجمع بين المُثل العليا وواقع الحياة هى التى تبنّاها أعلام القرن العشرين ، فأَخرجوها من منعزلاتها الذاتية ، وأنزلوها من أبراجها العاجية وجعلوها تطوف المدن والأَقطار : وتعنى بحياة الأَفراد والجماعات . وتدافع عن حقوق الإنسان وتحمل على الظلم والعدوان ناشرة لواء الحرية والنور ، فى مجتمع يسعى إلى حياة أَسعد ومستقبل أزهى وأَفضل .

ولعل الشعر الحرّ الجديد هو أيضا يسعى إلى هذه الغاية كما يظهر لنا من مطالعته .

بقى أن نتساءل : أى الطريقين هى الأَصلح للوصول إلى هذه الغاية ؟ وأَيهما ستعيش وتبقى مع الزمان ؟ إن الجواب عن هذا السؤال شخصى ، أتركه لمن يهتم به من أصحاب المواهب الشعرية ، وإنما الحكم الأَخير فى كل حال للزمان .

انيس المقدسى
عضو المجمع من لبنان



الشعر الحر
ومكانه من الشعر العربي
للدكتور عبد الرزاق محيي الدين

سار في الآونة الأخيرة بين المتأدبين وبخاصة الناشئة ؛ منهم نظم الشعر على أسلوب جديد يختلف عن الأسلوب العربي الذي درج عليه الشعر ، من التزام للوزن والقافية ، ومن تقيد بأسلوب البيان العربي في جملته فما كان الخروج على الوزن والقافية في هذا الشعر الظاهر الوحدة فيه ليمكن أن تتجاوز ونغض الطرف عنها ولكن التجاوز تناول البيان العربي بجملته على وجه لا يصح السكوت عليه .

وسأبدأ بمقدمة موجزة أحدد فيها صور البيان العربي المختلفة ؛ لنشخص المجال الذي يشغله هـذا الشعر بين صور البيان ولنشهد فيما إذا كان ما يسمى بالشعر الحر شعرا عربيا أو نثرا عربيا ، أو هو شيء ليس من الشعر ولا من النثر العربيين .

بوجه عام قسم العرب كلامهم إلى شعر ونثر ، وقسموا النثر إلى علمي وأدبي ، وفرقوا بين ما يكون نثرا علميا أو نثرا أدبيا ؛ بأن النثر العلمي تسوده الدلالات الحقيقية الأولى . وتقل وتندر فيه الدلالات المجازية ، ولا يتكلف فيه قدر محدد في أبعاد الجملة وأطوالها . ولا جرس معين في نهاياتها . وفي النثر الأدبي ألفوا من حيث الشكل أن يكون نثرا مرسلا أو مفصلا مزدوجا لا يلتزم نهاية بعينها ، وإن التزم قدرا متشابها أو مقاربا . ونثرا مسجوعا وهو ما يلتزم أبعادا متقاربة في الجمل والتزاما محددا في النهايات ، الى الاكثار من إيراد المعاني المجازية كثرة تخرج به عن أن يكون نثرا علميا يلتزم الحقائق الأولى في التعبير . لكنهم وقد استجازوا الخروج إلى المجازات في البيان الأدبي اشترطوا شروطا للخروج بالمفردات عن معانيها الأولى . بحيث يكون القصد واضحا ، والخروج باللفظ عن معناه مقبولا . وذلك ما تكفل به علم البيان .

أما الشعر فقد اختصوه بظاهرتين : إحداهما تتعلق بمضامينه والأخرى بشكله وهيئته ففي المضامين ألفوا أن يخرجوا بالألفاظ عن معانيها الحقيقية خروجا بالغا ؛ بحيث تطغى المجازات على الحقائق طغيانا واضحا أحيانا

وإن تكن الحقائق هي المرادة على أي حال. وهنا مواطن الفنية في الشعر والصعوبة في التأتي له، ذلك أن تقول شيئا وتريد شيئا آخر. وأن يفهم منك السامع الشيء الذي لا تقوله وأن يستحسن منك التصرف الذي أوقعته بالألفاظ وبالمعاني من تجاوز. ولعله لهذا ألمع القائل حين قال: إنما الشاعر البحتري وأبو تمام والمتنبي حكيمان. ومن هذا الملحظ عُدّ أبو العلاء شاعراً في ديوانه سقط الزند. وحكيما في ديوانه اللزوميات، لأنه استعمل الحقائق التي في غالب اللزوميات، وبدت وكأنها سرد لحقائق حكمية يصلح لها النثر أكثر مما يصلح الشعر.

ولهذا لم تكن الحكمة في الشعر بذاتها وفي الأمثال المنثورة (وإن تكن قيمة) مجال الإعجاب والإكبار. وإنما مجال الإعجاب فيها بقدرتها على التجاوز إلى معاني أخرى مجازية بالنسبة لها.

فالحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى. لا ينظر إليها بإعجاب حين تلحظ من جانب الحقائق التي وردت فيها. وإنما من حيث مجالات استعمالها في مواطن شبيهة بها مجازاً؛ أي حين توردها مورد الاستعارة التمثيلية فقوله مثلا.

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم

أو قوله:

ومن لا يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

بحين تقف بها عند حدود مادلت عليه الألفاظ من حقائق (وإن تكن قيمة) لم يكن لما أوردته كبير أثر في نفوسنا، إنما نستشعر الطابع الشعري في الطاقة التي تحملها الأبيات بتجاوز الحقائق الأولى منها إلى الحقائق الثانوية.

كذلك الحال في قول أبي الطيب المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى

ليس الذي بهرنا منه الحقائق التي دلت عليها جملة من معاني: ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر. أو كوضع السيف في موضع الندى. إنما الذي بهرنا ومكن له في أن يفعل في نفوسنا الطاقة التي تحملها هذا البيت من معان. فتنقلنا إلى مجالات أخرى ليس فيها السيف والندى والعلى. هو مثلا: وضع الأناة في غير موضعها، واللجوء الى العنف واللين بأولى منه. والصفح في مقام يكون العقاب والقصاص أجدر، إلى غير ذلك من مجالات.

وتمسكا بهذه الخاصية التي تعتبر الميزة الأولى للنثر الأدبي وللشعر خاصة وأعني بها استعمال الألفاظ في غير معانيها الحقيقية. وتلافياً لما يمكن أن يقع فيه الشعراء من تجاوز على القيم والطاقات التي تتحملها المفردة في الاستعمال، التزم العرب قوانين تنظم عملية التصرف في اللفظ. ولم يتركوا الأمر بحيث يباح للأديب أو الشاعر أن يطلق

٦

اللفظ . ويريد ماشاء . إيماناً منهم بأن لكل مفردة أبعاداً معينة فى مجالات الاستعمال إذا خرجت عنها أو تجاوزتها فقدت الكلمة طاقتها الدلالية . وظلت مجرد صوت ليس من ورائه معنى مفهوم، ولقد تكفل بتنظيم عملية التصرف بالألفاظ علم البيان كما ألمحنا سابقا، فلم يبح للأديب وللشاعر أن يتصرف فى اللفظ ، وينقله إلى غير معناه، إلا أن تكون هناك صلة بين المعنيين . يدركها ويحس بها السامع ، فإن لم تكن هناك صلة يتحسسها السامع تحسساً كما لو كان على علم مسبق بها . فليس للشاعر ولا للأديب أن يتصرف فى اللفظ . ذلك أن عملية الفهم شركة بين المتحدث والمتحدث إليه ، ليس لأى منهما بمفرده أن يدعيها بمنأى عن الآخر ، فإذا ادعاها المتحدث ولم يستشعرها السامع كان المتحدث مغرباً غير مبين . وإذا ادعاها السامع ولم يقصدها المتحدث كان السامع محرفاً أو مئولاً بغير دليل . ولن يتم فهم سليم بين متحدث ومتحدث إليه إلا حين يكونان على أمر سواء من العلائق، نظير مايكونان عليه من علم بالحقائق اللفظية للكلمة. لهذا عيبت المفردة الغريبة ، والاستعارة الغريبة ، لأنهما ليستا من مدركات السامع . وإن قامت فى فهم المتحدث. وحين قيل لشاعر : لم تقول مالا يفهم؟ قال لم لا تفهم ماأقول؟ ظل الحوار فى مكانه لاينتهى إلا بأن يقول الشاعر مايفهمه السامع . وادعاء بعض الشعراء أنهم يدركون العلائق بين الأشياء من وحى لايدركه الآخرون قد يكون أمرا حقا فى بعض الأحايين . أو يكون ظاهرة نبوغ وإبداع فى أحايين أخرى . ولكن الأديب مسئول فى حدود إبداعه . أن يكون على صلة بمفاهيم الذين يكتب أو ينظم لهم . وفى حدود ماقرره علم بيان اللغة، وإلا فبأى تمييز بين أن يكون مبدعا أو أن يكون مخلطا موسوسا مالم يكن هناك نقطة التقاء على نوعية العلائق المقبولة وغير المقبولة بين القائلين والسامعين . ومالم نقم على طريق التعبير أضواء ترشد السامع إلى قصد القائل .

لقد أعجب الناس بأبيات أبى الطيب فى وصف « الحمى » التى انتابته فى مصر، وقد تحدث عنها كما لو كان يتحدث عن فتاة تزوره . وماأعرف قبل أبى الطيب شاعرا وصل بين الحمى والحبيبة . فليست هذه الاستعارة من مألوف الناس. ولكن أبا الطيب بما ألقى من أضواء على قصيدته أتاح للسامع أن يهتدى لهذا التشبيه الغريب عليه ، مستدرجا إياه إلى قبول العلاقة الغريبة التى ماكان يهتدى إليها لو ترك بحاله وإدراكه. إن من أبى الطيب لخطر هذا التشبيه غير المتوقع من السامع . استدر يروضه على قبول التشبيه: فيعد له من الخصائص المشتركة بين الحمى والفتاة زائرته مايكشف عن المشابهة بينهما فى الخصائص المشتركة، حتى يطمئن السامع بأن مافعله كان مستساغا مقبولا :

وزائرتى كأن بها حياء
فليس تزور إلا فى الظلام
فرشتُ لها المطارف والحشايا
فعافتها ونامت فى عظامى

إذا ما فارقتنى غسلتنى
كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى
مدامعها بأربعة سجام
أبنت الدهر عندى كل بنت
فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجرحاً لم يبق فيه
مكان للسيوف وللسهام
يقول لى الطبيب : أكلت شيئا
وداؤك فى شرابك والطعام
وما فى طبه أنى جواد
أضر بجسمه طول الجمام
تعود أن يغبر فى السرايا
ويدخل من قتام فى قتام

إنه بدأ استعارته فى أول كلمة من المقطع (وزائرتى) ، لكنه شعر أنه مورط فى تشبيه غير مألوف إذا استمر فيه من دون إلقاء ضوء على ما يريد بهذه الزائرة ، وسيبقى غير مفهوم وسيضلل السامع فبادر يقول : كأن بها حياء . ولم يقل : بها حياء ، فاستعمل الكاف لينوه بأنه لا يقصد امرأة بها حياء وإنما يقصد شيئا يشبه أمره وأن يكون به حياء وأكمل البيت بقوله :

(فليس تزور إلا فى الظلام)

والزيارة فى الظلام حالة تشترك فيها المرأة الحبيبة والحمى التى تعتاده فى الليل .

ثم قال : (فرشت لها المطارف والحشايا فعافتها) ، وهى حالة تكون من شأن المرأة حين تزور فتفرش لها المطارف والحشايا ، لكنه إبعاداً ؛ لأن يكون المقصود بالزائرة امرأة قال : فعافتها ونامت فى عظامى ؛ ليلقى ضوءا من جديد على أنها ليست امرأة هذه التى تزوره . وإنما هى شىء آخر ، هى شىء يعتاده ولا ينام على حشية أو فراش ، ثم قال :

إذا ما فارقتنى غسلتنى . والغسل من مثله يعقب عادة مثل هذا اللقاء .

ولكنه قال : «غسلتنى» ولم يقل : «اغتسلت» لينوه بأنه اغتسال مجبور عليه لم يأته استئنافا للطهارة ، وإنما يأتيه بفعل ما تنزله به الحمى التى تعتاده فى الظلام ، ثم قال :

كأنا عاكفان على حرام ، ولم يقل : لأنا عاكفان على حرام ، ليلمح أن هذا الاغتسال ليس اغتسالا لفعل ما يوجب الاغتسال ، وإنما اغتسال آخر من أثر ما يصيب المحموم .

ثم عاد ليجد مبررا آخر لتشبيه الحمى بالفتاة فقال : «كأن الصبح يطردها فتجرى مدامعها » .

وهو حال يكون من الفتاة الطارقة تحت جنح الليل ، والحمى لمعاودة التى تعتاده فى الليل .

ثم أتم بأربعة سجام ليقول : إن المراد بالزائرة ليست فتاه لأن الفتاة تبكى بعينين لا أربع ، وإنما أريد بها حمى تعتادنى فيرشح لها جسمى من جهاته الأربع .

ولو أن المتنبي وقف عند تشبيه الحمى بفتاة زائرة لكان مغرباً فى تشبيهه ولأنكرنا عليه وجه الشبه بينهما ، ولوجدناه متجاوزاً فى استعمال كلمة « وزائرة » للحمى . ولكنه وهو المدرك لخصائص التعبير الشعرى ، وما يمكن أن يؤخذ به فى هذا التشبيه غير المألوف . استطرد يوالى عرض الخصائص المشتركة بين الفتاة الزائرة ، والحمى المعاودة ؛ ليقرب لنا سرّ ما أقدم عليه ، ويلقى الأضواء على مراده من هذه الزائرة «الحمى» ؛ فيميزها بخصائصها التى تنفرد بها حتى لا نضل المقصود منها ، ومع كل هذا أنهى أبياته بقوله :

يقول لى الطبيب إلخ . . . .

وطبيعة الشعر مطالبة بشىء من هذا حتى فى الحالات التى تكون العلاقة فيها بين الشيئين مألوفة معروفة من السامعين ؛ وحتى فى الحالات التى يمكن أن يورد فيها التشبيه مجملا كما يذكر البلاغيون . فما لم يتلمس الشاعر وجوداً لعلائق تدق بعض الشىء فإن ما يقوله سيظل أمراً معتاداً لا إبداع ولا جدة فيه .

لننظر إلى شاعر العصر « أحمد شوقى » وهو يأخذ تشبيهاً مألوفاً كثير التردد فى الشعر والنثر وجلىّ العلائق فى أذهان السامعين ، كيف يتناوله فى عرض لخصائص كل من المشبه والمشبه به فى استزادات لم يبلغها غيره .

يقول فى قصيدته فى «بكفيا» :

وأغنّ أكحل من مها بكفيّة
علقت محاجره دمى وعلقته

دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل
فوقفت دون طريقه فزحمته

فازورّ غضبانا وأعرض نافرا
حال من الغيد الحسان عرفته

قد جاء من سحر العيون فصادنى
وأتيت من سحر البيان فصدته

فصرفت تلعابى إلى أترابه
وزعمتهن لبانتى فأغرته

فمشى إلىّ وليس أول جؤذر
وقعت عليه حبائلى فقنصته

لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة وهبته

فهو منذ بدأ الاستعارة فى مطلع البيت (وأغنّ أكحل من مها) استشعر بأن عليه واجبا فى أن يفصح عما يعنيه من هذا الأغن الأكحل ، فأضافه إلى «بكفيه» ليزيل ما يحتمل أن يصرف إليه لفظة « أغن أكحل من مها » فبادر يحدد قصده منه أنه من مها بكفية ، وليست « بكفية » من مواطن الآرام ، وزاد بأن قال : علقت محاجره دمى وعلقته ، وأضاف أنه دخل الكنيسة فارتقبت حتى إذا خرج وقف دون طريقه وهى من صفات الإنسان ، ثم عاد إلى شيم المهى والظباء حين يعترضها معترض فتوسع بشرحها فقال :

فازور غضباناً وأعرض نافراً ، ثم دفع أن يكون ذلك ظبيا فقال : حال من الغيد الحسان عرفته ، قد جاء من سحر العيون فصادنى . ثم رجع إلى المشبه به فقال : فصدته . ورجع إلى المشبه الفتاة فقال : فصرفت تلعابى إلى أترابه وزعمتهنّ لبانتى

فأغرته ، ثم رجع إلى المشبه به فقال : فمشى إلىّ وليس أول جؤذر وقعت عليه حبائلى فقنصته . ثم أنهى ترديده وبيّن أن يكون المقصود ظبيا أو غانية : فقال :

لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة وهبته

وهكذا يتأتى للشعر ويقصد له ، من أجل تقريبه من ذهن سامعه وإلقاء الأضواء على طريقة تعبيره . أما أن يضع لفظاً مكان لفظ ولا مناسبة مألوفة بينهما . أو تكون له مناسبة فى ذهن الشاعر ولا عهد للسامع بها . فذلك أمر غير مقبول شعرا كان أم نثرا ، مادام لا يتوفر على أسباب الوضوح والظهور ؛ لأن الفهم أساس فى أى بيان . يقول «ابن سنان» فى كتابه «سر الفصاحة» : إن الكلام غير مقصود فى نفسه وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعانى التى فى نفوسهم فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعانى ولا موضحة لها فقد رفض الغرض من أصل الكلام . وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفا للقطع ويجعل حده كليلا ، ويعمل وعاء لما يريد ان يحرز فيقصد إلى أن يجعل له خروقا تذهب بما يوعى فيه ، فإن هذا مما لا يفعله عاقل . ثم لا يخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه ، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد فى بلوغ الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه . وإن لم يرد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ فى غرضه .

هذا ما يقال فى الكلام من حيث هو كله نثراً علمياً أو نثراً أدبياً ، أو شعراً موزوناً مقفى . وما يخرج على ذلك يخرج على البيان العربى جملة وتفصيلا .

ولكن للشعر أسلوباً من أساليب الأداء العربى لو حظت فيه :

اعتبارات سنّت له طريقه سوى ما قدمناه من شروط الظهور والوضوح للبيان العربى بجملته ؛ اعتبارات خاصة فى الأغراض ؛ فليس كل غرض يصلح له الشعر ، اعتبارات خاصة فى المعانى ، فليس كل معنً صالح للأداء به ، واعتبارات معينة فى هيئة تأليفة فليس إيراده على أية هيئة مدخلا له فى باب الشعر ، إنه لا بد أن يتوفر على جملة ما يشترط فى الشعر الجيد ويدخل فى العمود الشعرى الذى هو المثل الأعلى والمقتدى به فى الشعر العربى ؛ وان لم يتوفر على جملة خصائص الشعر واكتفى بالوزن والقافية كان من الشعر وليس من عموده ؛ فليس كل موزون مقفى داخل فى العمود حين لا يتوفر على أسباب الأصالة والصدق ومهيئات الصناعة الشعرية ؛ فإن خرج على الوزن والقافية عن أن يكون شعرا عموديا أو غير عمودى ، وانتقل إلى باب النثر ، إن كان كان به صلاح فى أن يدخل فى باب النثر فإن لم يك صالحا لذلك خرج عن أن يكون

من البيان العربي شعره ونثره. ولن يكون الخروج على بيان أية أمة تطويراً في أسلوبها ؛ لأن تغيير أسلوبها البياني يعني موت اللغة موتاً نهائيا وإحلال لغة أخرى محلها. وذلك ما هو مقرر لدى المعنيين بالدراسات اللغوية .

يبقى لنا أن نتساءل عن المبررات والأسباب التي حدت بجماعة الشعر الحر لأن يخرجوا على الوزن والقافية في هذا الذي يسمونه شعراً حراً . لعل في مقدمة المبررات من حيث الشكل أن الوزن والقافية قيدان مكبلان لا يستطيع معهما الشاعر أن يؤدي غرضه بحرية في اختيار المفردات ولا في اختيار هيئة التأليف ، وأن التأتي للمفردة الصالحة في لفظها ، والملائمة في معناها ، مع الحفاظ على الوزن والقافية يستدعي معاناة وجهدا يتجاوزان الطاقة على وجه يستوجب أحيانا قبول مالا يوائم وطرح ما يوائم ، في إدراك لطبيعة هذه الصناعة . وهذا حق ومبرر سليم إذ أن الصناعة الشعرية صناعة دقيقة مجهدة تستدعي التأتي لها طاقة لغوية عالية على تطويع العبارة ، بتقليبها على وجوه شتى حتى يهتدى إلى الوضع المتوازن السليم ، والقافية غير المتكلفة وغير النابية ، وهو شيء يتحقق لشخص دون آخر ، ولطاقة شعرية دون أخرى ولكن هذا الفن لن تحقق فنيته إلا بالصورة التي ينعونها عليه .

وقد عرف العرب ذلك وأدركوه وقد كان بإمكانهم أن يتخلوا عنه . لكنهم لم يفعلوا ذلك إدراكا لما للوزن وللقافية من بليغ أثر في الصنعة الشعرية .

ولقد تحدث الشعراء عما يلاقون في سبيله وليس المطلوب من كل الناس أن يكونوا شعراء ولا من كل الأغراض أن تؤدى بالشعر وفي النثر الأدبي مندوحة ومجال واسع . وقد قيل منذ القديم :

الشعر صعب وطويل سُلَّمُهْ
إذا ارتقى له الذي لا يعلمهْ
زلَّت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يُعربه فيُعجمه

ولكن هذه المعاناة المبذولة في سبيل الوزن والقافية لم تذهب سدى ولم تضع هدرا ، بل حققت للشعر من المزايا مالم يتحقق بالنثر من ضبط الفكرة ، وتقييدها ، ووضعها في إطار يحفظها ، ويبقى على شخصيتها ، فيستقل البيت عن جملة القصيدة حين يراد انتزاعه منها ، وينتفع به بمفرده قدر ما ينتفع به موصولا بجملة الأبيات .

وتلك مزية لن تتأتى والبيت الشعري لا يضبطه وزن ، أو تختمه قافية ، لهذا لا ينتفع بالشعر الحر — إن كان به قدرة النفع — إلا حين تقرأ القصيدة كلها ، فليس بجزء منه قابلية الاستقلال ، كما في الشعر الموزون المقفى .

في الشعر الموزون المقفى ينتفع بالقصيدة أبياتا مجزأة ، بل ربما انتفع بشطر من بيت

يكون شطره الثانى مجال انتفاع لفكرة أخرى ، لنأخذ قول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يُفقر والأقدام قتال
وإنما يبلغ الإنسان طاقته
ما كل ماشية بالرحل شملال
ذكر الفتى عمره الثانى وطاقته
مافاته وفضول العيش إشغال

إنه بفعل القافية والوزن ، وضبط أبعاد العبارة تهيأ لنا أن ننتفع بكل بيت مستقلا وبكل مجزوء منه مستقلا . وبالأبيات موصولا بعضها ببعض .

وهناك واقع له بالغ الأثر فى عقد صلة بين الشاعر وسامعه، حين تكون قصيدته موزونة متقفاة . وتربية الصلة بين القارئ والسامع تعين أيما عون على التلقى وحسن التقبل ، وهى بالتالى تصعد من عملية التأثر بالشعر بحكم التجاوب الذى هيأه الوزن والقافية ، فنحن حين نسمع البيت الأول من القصيدة نتهيأ لمشاركة نفسية ، وتجاوب تعبيرى ، نفتح به للقائل آفاقنا النفسية ، فنأخذ منه ونعطيه خلال إلقائه وسماعه ، ونتبادل وإياه المعانى والعبارات والصور ، وليس شىء من هذا بمتأتٍ والكلام لا يرتبط بوزن ولا يختم بقافيه ، إذ لا ندرى حين يبتدئ الشاعر إلى ماينتهى ، وكيف ينتهى حتى تتهيأ أنفسنا للتلقى .

هذا ما يقول مبرّر الشعر الحرّ من حيث الشكل .

أما مبرّرهم لا من حيث المضمون فإن مما يحتج به قالة الشعر الحر : أن العصر بمفاهيمه وعلائقه اختلفت اختلافاً كلياً عن العصور التى سبقته ، وأن دنيا جديدة من العلائق قامت بين المدركات . ولذلك لا يصح أن تبقى العلاقات بين الأشياء على النحو الذى كانت عليه بل لا يمكن أن تبقى على ما كانت عليه ، فلا بد من تجديد فى العلائق ، وإبداع فى الصور . وتجاوز للمفاهيم التى لم تعد ملائمة لحياتنا المعاصرة .

مثلاً لا يصح أن تبقى العلاقة بين نظافة القدور والبخل فى الكناية . ولا بين الرجل والأسد فى الشجاعة، ولا بين الليل والبحر؛ على حد ما قال امرؤ القيس : وليل كموج البحر ، إلى آخر ما ألفناه من صور المجاز والاستعارة .

وتلك دعوى لها ما يبررها بل لها ما يلزم بها، فليس فى الإمكان الإبقاء على العلائق بين الأشياء فى الشعر ، حين تزول تلك العلائق فى المجتمع ، ومن مدركات أبنائه ، بل ليس من الصدق الفنى أن نبقى على صور ليست لها فى نفوسنا ولا فى المجتمع الذى من حولنا أثارة من وجود ، ولكنا لا نطالبهم بالإبقاء على الصور القديمة التى زالت من الوجود أو على العلائق القديمة التى انتفت بين ، الأشياء ، بل نطالبهم بالاحتفاء بالعلائق الجديدة ورصدها ، ولكن على ألا يختلقوا علائق ليس لها وجود بين الأشياء فى حياة مجتمعاتهم ، ولا فى مدركاتهم هم أنفسهم

بل يأتونها تقليدا ، ومتابعة لبيئات غريبة عنهم، ولمجتمعات لعلها بادت وبقيت لها أثارة من وثنية ، وقصص أسطورى خرافى لا يقره علم ، ولا يسمو به خيال ؛ وقد تخطتها البشرية منذ سادها عقل ، وسما خيال .

لقد مرت العربية خلال عمرها الطويل بأدوار تجددت فيها الأفكار ، وكان لها فى كل دور فكر يختلف عن غيره ، وتفاوتت الأخيلة فكان لها فى كل دور خيال يختلف عن خيال سواه . ولكن الأديب العربى يستطيع أن يقرأ شعر تلك العصور جميعا فلا يضيق بها فهمه ؛ ولا يتبلد معها حسه ولا يستشعر أنه يدخل بيئة غريبة عليه ضيقة به . لا يدرى من أين يسلك إليها ومن أين يخرج، ولكن الأديب العربى حين يقرأ الشعر الحر فى غالب نوعيته يختلف عن حاله حين يقرأ مختلف ما مر على الشعر العربى من صور التجديد والتطوير .

وسأتلو نمطين من الشعر الحر مما يعتبر من أحسن صوره؛ لنستجلى ما بلغه الشعر على يد دعاته من إضاعة لأصول البيان العربى وطبيعة شعره .

وسأختارهما مما عده بعض مؤرخى الأدب وشيوخه تجديدا فى الشعر وثورة فى تطوره .

يقول البياتى من قصيدة عنوانها «الموت فى المنفى » .

فماذا تنتظر من وراء هذا العنوان :

« بدم القلب بطاقات الرماد
كتبت
أين كنوز السندباد
يازاد المعاد
آه لو أحرقت أشعارى
وأحرقت الليالى بالمداد
لكتبت

مرة أخرى — بطاقات الرماد — بدم القلب وأطعمتُ القوافى للجراد . ! »

ولست بحاجة إلى التعليق على ذاك .

وقريب منه ما نسب إلى «حبيب إسطفان» فى قطعة خماسية الأدوار يصف ما ورد فى الأسطورة الفينيقية من مصرع الإله «أودونيس» على بعض جبال «لبنان ، ونوح حبيبته الزهرة عليه عندما شاهدت حبيبها أودونس مضرجا بدمائه بعد أن صرعه وحش ضار هصور هناك :

«أواه على أودونيس كيف يُجَرُّ على الصخور
يصبغها دمُه الجارى من أعضائه الناعمات

هاهو فى الوادى يفترسه الحيوان الهصور
أواه .. أودنيس قد مات :

وأسرعت لها الإلهات قد هالها الصياح
إلهات الأشجار والأنهار والربى والوديان
لا طمات الخدود ، رافعات العويل والنياح
باكيات بأشجى الألحان .

والتففن حولها ينحن معها على الحبيب
يا أودونيس كيف مدت إلى الإله يد الحمام؟ ! ـ

يا أودنيس كيف ذبل غصنك الرطيب
ويبس زهره البسام ؟ !

أهذه هي الأخيلة التي جددت على العربية ؟ !

أهذه هي المعاني التي ضاق بها الشعر ذو القوافي والأوزان ؟ ! أي ذوق يسمو بهذا أم أي عقل به يستعين .

ويحسن أن نورد أخيراً من قصيدة لشاعر يُعد من كبار الشعر الجديد :

خذوا كل شيء
خذو العصافير عند الصباح
وصمت المفاتيح — خمرة كأس
وخمرة نار وحيدة
ولا تتركوا لي قصور العناكب
أحلامها معلقة بخيوط السماء
خذوها . خذوا كل شيء
نقيق الضفادع — رفيف الخفافيش
عند المساء ؟
وآثار أقدامهن الرتيلات
عند مسندي
ودعوني . دعوني
بعيداً عن الأسواق
لأن الجداول عند الرجوع
تحت هذه السهول
وصوت السكينة تحنانها
هناك على الشطوط
وحين أموت خذوا جسدي
ولا تدفنـــوه
لأنه يقوم مع الفجر
ويكشف سر الإله

إن ما يسمى بالشعر الحر خطر على أذواق الناشئة . يقطع صلتهم بماضي بيانهم العربي . ويحول بينهم وبين الانتفاع به ميراثا حضاريا .

لقد بدا الخطر واضحا على أذواق الناشئة ؛ فليس للناشئة المعاصرة التذوق الذي كان للناشئة قبلها . وهم لا يقبلون على القصيد العربي نظير ما هم يقبلون على الشعر الحر ، على أنني واثق بان الغالبة الغالبة منهم لا يفهمون منه قصدا ، ولا ينتفعون به مادة ثقافة ، وتلك مصيبة حرية بالتخلص منها ، والتوجه بهم إلى ما يمكن أن يفهم ويعلم .

وكلمة أخيرة أوجهها إلى مؤرخي الأدب العربي وأساتذة الجامعات ؛ بأنهم مطالبون بتمحيص هذه الظاهرة حتى لا يخدعوا ببهرجها ، وحتى يكتشفوا ما بها من زيف ، فإن تسجيلها ورصدها بالثناء والحمد يعين على تفشيها ، ويكشف عن عجز مؤرخي الأدب العربي عن فهم واقع البيان العربي :

إن الشعر الحر فيما رأينا ليس من النثر العلمي لأنه لا يعنى علماء ولا يلتزم المداليل الأولى في التعبير ، وهو يحفل بالمجازات بشكل واسع ، ولا هو من النثر الأدبي لأنه لا يلتزم ضوابط العبارة العربية في الأداء للمجازات وللاستعارات ، ولا من الشعر العربي ؛ لأنه لا يلتزم ذلك ؛ ولا آداب الوزن والقافية .

عبد الرزاق محيي الدين
عضو المجمع من العراق

بواعث زهد أبى العلاء

- ١ -

للدكتور أحمد الحوفى

هو الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله المعرى نسبة إلى بلده المعرة ، وهى قرية صغيرة فى شمال سورية ، بين حلب وحمص .

ولد سنة ٣٦٣ وتوفى سنة ٤٤٩ هـ . فأدرك القرنين الرابع والخامس وهما أغنى عصور العلم والأدب واللغة : وأحفلها بالثقافة المنوعة . تتلمذ فى المعرة لأبيه . وأخذ عن علمائها . ثم رحل إلى حلب يطلب العلم . وكانت تَشْرَق بالعلماء والأدباء والفلاسفة منذ اجتذبهم إليها أميرها سيف الدولة الحمدانى ، ثم سافر إلى أنطاكية وانتفع بنفائس كتبها ، ثم ارتحل إلى طرابلس . ومر باللاذقية فنزل فى دير فيها ، وتأثر براهب متفلسف هنالك وأخذ عنه بعض الآراء ، وبعد ذلك شخص إلى بغداد عش العلوم والآداب ، ووعى ما شاء من مكتباتها ، وشارك فى نواديها الأدبية والعلمية ، وأعجب به علماؤها ، وأعجب بهم ، وقضى هنالك سنتين لم تمح السنون من نفسه ذكرياتهما ، كان لهما أثر فى نضج عقله وسعة ثقافته ، ثم عاد إلى المعرة . ولزم منزله . وانقطع للتفكير والتأليف إلى أن مات .

بواعث زهده

١ — العمى :

فجع أبو العلا فى بصره طفلا ، فشب فى عالم حالك الظلمة ، لا يميز مليحه من دميمه ، ولا قبيحه من وسيمه ، يتحسس فى وجهه ندوب الجدرى ،

ويحس قصوره عن الناس . فهم مبصرون وهو كفيف ، يسمعهم يتحدثون عن الأرض والسماء ، ويسمع افتنان الأدباء في وصف الطبيعة والجمال . فتأخذه من ذلك حسرة أى حسرة .

وليس فى الحياة آلم من فقد البصر . على من كان حساسا وشاعرا يجسم خياله بلواه ، ويمضه التفكير فى تصيبه التعس من الحياة .

٢ — موت والده :

ثم حرمه الموت عطف أبيه فى الرابعة عشرة ، وفقد الأب نكبة على من هم فى سن أبى العلاء . ونكبة مضاعفة على ذى العاهة ، فقد كان أحوج إلى أبيه ليعتمد عليه ، ويستند إليه ، ويعتز به . ويتناسى فى بحبوحة عطفه آلام عماه . ويستنير بتوجيهه العلمى والأدبى . فقد عرفنا أن أباه كان أستاذه الأول . لهذا حزن عليه حزنا شديدا ، فقال يرثيه :

فليت فمى إن شام سنى تبسمى
فم الطعنة النجلاء تدمى بلا سن[1]

٣ — موت والدته :

وبعد سنوات من موت أبيه فجع فى أمه . فعظمت مصيبته . وفقد ينبوع العطف الذى طالما نعم به ووثق بصفائه وخلوصه له . فهزته هذه المصيبة وهدته . وزادته شعورا بضعفه ونقمة على الحياة والأحياء . قال فى رثائها :

إن ينقطع منك الرجاء فإنه
سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال فى رسالة إلى خاله ينعاها له : « فلله الحمد ممزوجًا به الدمع . مُسْتَكًّا له من الوجد السمع » فأصحب حمده الله بدمعه . وصور الحزن قد أثقل الحمد على سمعه .

٤ — فقره :

كان أبو العلا فقيرا ، يغل عليه وقف لأهله ثلاثين دينارا فى كل سنة . يعطى خادمه نصفها ، ويستبقى لنفسه النصف الباقى . لكنه كان يستطيع أن يثرى لو أنه سلك سبل الكسب والثروة ، وبخاصة أنه من أسرة علم وفضل ورياسة ووجاهة

---

(١) شام : رأى .

فى المعرة ، ولها نسب عريق فى القضاء ، ومنها من ولى المعرة ، غير أنه كان حَيِيًّا أبيا عظيم النفس ، لا يتكسب بالمدح ، ولا يقبل العطاء ، وكان إلى ذلك محسنا سخيا ، فإن الشاعر الفارسى ناصر خسرو زار المعرة قبل موت المعرى بعشر سنوات تقريبا ، وقال عنه إنه رجل عظيم الجاه فى بلده ، وذو ثروة ينفق منها على الفقراء ، ولكنه يعيش متقشفا زاهدا .

وفى شعره وفى نثره أدلة على أنه كان يهدى إلى بعض الأدباء ، كقوله وهو فى الخمسين من عمره يعتذر لفقيه عن صغر هدية :

فياليتنى أهديت خمسين حَجَّةً
مضت لى فيها صحتى وشبابى
وقلت له : فاترك ثلاثين أسْوداً
متى ما تَكَشَّفْ تُلْفَ غيرلُباب
لعل الذى أنفذت يكفيك ليلة
لإسباغ طُهْرٍ حان أو لشراب

٥ — بيئته :

هذا إلى فساد الحياة فى عصره ، وهو ذكى يدرس ويستقصى ، حساس يسمع ويدرك ، درس طبائع الناس فأحسن درسها ، وبلا نفوسهم فأجاد بلاءها ، فلم ينتج له الدرس المتشائم إلا شرا .

فالدويلات الإسلامية ، والمسلمون والروم يتبادلون النصر والهزيمة ، والحكام يظلمون الرعية ويغتصبون أموال الناس ، والساسة خداعون جهال يستعبدون الرعايا ، ويستلبون قوتهم . نجد هذا فى قوله :

مُلَّ المقامُ فكم أعاشر أُمة
أمرتْ بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فَعَدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

وفى قوله :

يسوسون الأمور بغير عقل
فينفُذُ أمرهم ويقال ساسه
فأُفٍّ من الحياة وأُفٍّ منى
ومن زمن رياسته خساسه

وفى قوله :

إن العراق وإن الشام مذْ زمن
صفران مابهما للملك سلطان
ساس الأَنامَ شياطينٌ مُسَلَّطةٌ
فى كل مصر من الوالين شيطان

من ليس يَحْفِلُ خِمْصَ الناس كلهم
إن بات يشرب خمرا وهو مبطان[1]

والقضاة يحكمون بالجور . وكان الأحرى بهم أن يحكموا بالقسطاس . ويدفعوا البلاء عن المستضعفين . يقول :

وأى امرئ فى الناس أُلْفِىَ قاضيا
فلم يُمضِ أحكاما كحكم سَدُوم[2]

وأخلاق جميع الناس منحلة . يفعلون القبيح والمنكر . ويصطنعون الخداع والغش والمكر والقسوة . ولهذا ذمهم بقوله :

وجوهكم كُلْفٌ وأفواهكم عِداً
وأكبادكم سودٌ وأعينكم زُرْقٌ

وإذا كان قد ذم الناس فإنه حمل على الأدباء وحملهم وزر هذا الفساد ، لأنهم فى رأيه الدعاة إليه ، قال :

وما أدّب الأقوامَ فى كل بلدة
إلى المين إلا معشرٌ أدباء[3]

وقال :

أمما شعرت بأنها لا تقتنى
خيرا وأن شرارها شعراؤها
أثْرَتْ أحاديث الكرام بزعمها
فأجاد حَبْسَ أكفها إثراؤها

وقال :

بنى الاداب غرتكم قديما
زخارف مثل : زمة الذباب
وما شعراؤكم إلا ذئاب
تلصص فى المدائح والسباب

٦ — ثقافته

وهو إلى ذلك كله قرأ من كتب الفلسفة ما وافق هواه . فاشتد بغضه للدنيا . وسوء ظنه بالناس . حتى إنه لما تحدث بحفاوة أهل بغداد بتوديعه وحزنهم لفراقه وتقديمهم المال إليه شك فيما فعلوا أكان رياء أم وفاء .

ونعلم من تاريخه أنه درس الفلسفة اليونانية فى أنطاكية واللاذقية . ثم ألم

---

(١) الخمص : المراد الجوع . مبطان : المراد شبعان ممتلىء .

(٢) حكم سدوم : اشارة الى جرائم قوم لوط وتمظالمهم وكانوا يقيمون فى قرى منها سدوم .

(٣) المين : الكذب .

بها فى بغداد ، ودرس الفلسفة الهندية أيضا فى بغداد . إذ كانت بغداد بعد فتح السند تتروى من هذه الفلسفة التى يحملها إليها المترددون من هنا وهناك للتجارة أو للسياحة ، ويفجر ينابيعها أولئك الذين ترجموا عن الهندية منذ عهد الخليفة أبى جعفر المنصور ، والطابع العام للفلسفة الهندية الزهادة ، وازدراء الحياة ، وتعذيب الجسد لتنقية الروح ، والشفقة على الحيوان ، وتقديسه فى بعض الأحيان .

كما أنه وقف على الثقافة الفارسية التى ثقفها العرب منذ خالطوا أهل فارس ، وترجموا عنهم ، وقد ألم أبو العلاء بما ترجم منها فى السياسة والأدب والأخلاق والقصص ، فلما شخص إلى بغداد خالط بعض الفرس وتأثر بهم ، فليس عجيبا أن نجد فى شعره ألفاظا فارسية مثل قوله :

إذا قيل لك الله مولاك فقل (آرا)

أى نعم .

على أنه بعد هذا كله عالم فاحص دارس ، اطلع على الأديان كلها ، فدرس الإسلام والنصرانية واليهودية ، وعرض لبعض قضاياها فى لزومياته .

٧ — ميله :

لكننا نجد فى الحياة عميا فقراء مشوهين ، وهم مع هذا كله مبتهجون بحياتهم ، ينالون من لذاتها ، وينهلون من متعها ، فلماذا لم يحاول أبو العلاء أن ينال وينعم ؟

ولماذا سخط على الحياة هذا السخط ؟

الحق إن ذلك يرجع إلى مزاجه الخاص الذى يألف الحزن ويأنس به ويركن إليه ، وتسنح له فرص الابتهاج فيفر منها فرارا ، ويرى العالم كله رزايا وأشرارا .

فقد كان بشار أعمى ولكنه جنح إلى المجانة والخلاعة ، واستمتع بالحياة ما شاء أن يستمتع .

وكان شوبنهور فيلسوف التشاؤم فى العصر الحديث بصيرا صحيح الجسد ، ثريا ثراء واسعا ، لكنه كان ينظر إلى الحياة نظرة سوداء كأبى العلاء ، فالعالم فى نظره شر كله ، أينما توجهت ألفيت

عراكا ومنافسة . وليس الإنسان إلا ذئبا للإنسان ، والإنسان تعس إذا تزوج . وتعس إن لم يتزوج . وخير للعالم أن ينقطع النسل . وتنتهى الحياة . والحياة فى نظره جحيم يفوق جحيم دانتى .

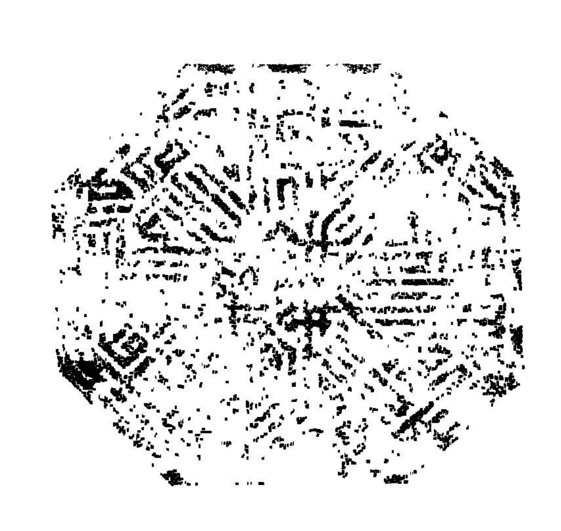
ولقد تشابه الرجلان المعرى وشوبنهور فى العزوبة ، وسوء الرأى فى الناس . والبرم بالحياة والأحياء . والتجنى على المرأة ، واتفق الرجلان فى أن التشاؤم نابع من نفسيهما . وإن كانا متأثرين بعوامل أخرى خارجة على قدرتهما تتشابه قليلا أو كثيرا ، فقد انتحر والد شوبنهور واعوج سلوك أمه ، ولم يجد ما يزجى به فراغه غير النظر والفكر والتأليف .

فلم يتزوج ولم يلد . ولم يزاول عملا يلهيه عن مآسيه ، فضجر بالحياة وسئم الناس .

على أن فساد الحياة الاجتماعية يؤرث نار السخط فى نفوس الساخطين ، فلما خاب الأمل المنوط بالثورة الفرنسية بعد أن زلزلت الأرض بحروب نابليون أطبقت سحب التشاؤم على أوروبا ، فكان موسيه فى فرنسا . وبيرون فى انجلترا ، وشوبنهور وهينى فى المانيا . ولما فسدت الحياة الاجتماعية والسياسية فى عهد أبى العلاء رجَّع فى جوها الخانق نغماته الحزينة .

أحمد الحوفى

عضو المجمع



تحقيق لسان العرب

— ٦ —

للأستاذ عبد السلام هارون

٨٥١ – (ورق) ١٥٢ : ٥٢ وبيروت ٣٧٢ قول الراجز :

* كُوم الذُّرى وادقة سُرَّاتُها *

وفى المخطوطة : « سرَاتها » بفتح الراء مخففة وإهمال ضبط التاء . والوجه « سُرَّاتِها » بكسر التاء . وهو من رجز مكسور الروىّ لعمر بن لجأ فى الأصمعيات ٤٣ – ٣٥ والخزانة ٣ : ٤٧٨ . وقبله وهو فى صفة الإبل :

* أنعتُها إنِّىَ من نُعَّاتها *

ونصب « سراتها » على التشبيه بالمفعول به . وانظر معجم شواهد العربية ٢ : ٤٥٢ .

٨٥٢ – (ورق) ٢٥١ : ٢٥ وبيروت ٣٧٢ قول امرئ القيس :

دخلت على بيضاء جَمٍّ عظامُها

تعفِّى بذيل المِرطِ إذ جئت مَودِقى

ووردت « جم » فى المخطوطة مهملة ضبط الجيم . وصواب ضبطها : « جُمّ » بضم الجيم ، كما فى ديوان امرئ القيس ١٧١ . أى ليس لعظامها نتوء . والجُمّ : جمع أجم ، وهو العظْم يكثر عليه اللحم فلا يظهر .

٨٥٣ – (ورق) ٢٢٥ : ٢٥ وبيروت ٣٨٦ والمخطوطة :

ألم تر أن الحربَ تُعوِج أهلها

مراراً وأحياناً تُفيد وتُورقُ

صوابه « تُعْرِج » كما فى اللسان (عرج) ، ومجالس ثعلب ٤٤٤ قال ثعلب : « تُعرج : تعطيهم عَرْجا من الإبل » ، يعنى الغنائم . والعرج ، بالفتح والكسر أيضا : ما بين السبعين إلى الثمانين من الإبل ، أو ما بين الثمانين إلى التسعين .

٨٥٤ - (ورق) ٢٥٧ : ١٠ وبيروت ٣٧٦ والمخطوطة : « فإذا زادت فهى السحه » مهملة نقط مابعد الحاء . والوجه فيها « السَّحتنة » كما فى اللسان (سحتن) وتهذيب اللغة ٥ : ٣٢٣ . والسَّحتنة : الأُبنةُ الغليظة فى الغصن .

٨٥٥ - (ورق) ٢٥٧ : ١٩ وبيروت ٣٧٨ والمخطوطة ، قول عمرو فى ناقته . وكان قدم المدينة :

طال الثواءُ عليه بالمدينة لا
ترعى وبيع له البيضاءُ والورَقُ

أما عمرو قائل هذا الشعر فهو « عمرو ابن الأهتم » كما فى التهذيب ٩ : ٢٨٩ وصواب الإنشاد : « عليها بالمدينة » . و « وبيع لها » بعود الضمير فيهما إلى الناقة وبيع هنا بمعنى اشتُرِىَ ، والبيضاءُ : الحَلِىّ ، وهو ما ابيضَّ من يبيس السبَط والنصِىِّ . والورق ، يعنى به هنا الخَبَط

٨٥٦ - (ورق) ٢٥٧ : ٢٤ وبيروت ٣٧٨ قول الطائى :

وهزَّت رأسَها عجباً وقالت
أنا العُبرِى أإيانا تريدُ

ووردت « العبرى » فى المخطوطة مهملة الضبط ، والوجه فيها « العَبْرَى » بوزن الثَّكلَى ، كما فى التهذيب ٩ : ٢٩٠ وهو وصفٌ من عَبِر ، إذا حزِنَ ، أو إذا ذرف الدمع .

٨٥٧ - (وفق) ٢٦٢ : ١٨ وبيروت ٣٨٣ : الوَفْق : كل شىء يكون متفقاً على تِيْفاقٍ واحد » وقد أهمل ضبط « تيفاق » فى المخطوطة . وصواب ضبطه بكسر التاء ، كما فى التهذيب واللسان نفسه (وفق ٢٦٣) .

٨٥٨ - (وفق) ٢٦٣ : ٨-٩ وبيروت ٣٨٣ : « هو بيت فى السماء تِيفاق الكعبة ، أى حذاؤها ومقابلها » . ولم تضبط قاف « تيفاق » فى المخطوطة ، ووجه ضبطها النصب على الظرفية ، كما أن الصواب « حذاءها » بالنصب . وقد رسمت فى المخطوطة « حذاها » بطرح الهمزة المنصوبة كما هو مألوف فى الرسم القديم .

٨٥٩ - (ولق) ٢٦٤ : ٤ وبيروت ٣٨٤ والمخطوطة ، قول الشاعر :

تصبَّيْننا حتى ترقَّ قلوبنا
أوالق مخلاف الغداة كذوبها

والوجه «يصبّينا» كما فى التهذيب ٩ : ٣١٠. والوجه أيضا : «حتى ترفّ قلوبُنا» كما فى التهذيب . ونحوه فى قول الحسين بن مطير فى الحماسة ١٢٣٠ بشرح المرزوقى :

يمثّيننا حتى ترفَّ قلوبنا
رفيف الخزامى بات طلٌّ يجودُها

أما «الغداة» فصوابها «العِدات» : جمع عِدَة، وهى الوعد .

٨٦٠ – (ولق) ٢٦٤ : ١١ وبيروت ٢٨٤ والمخطوطة : «قال الشماخ يهجو جليدا الكلابى» صوابه «القلاخ» كما فى اللسان (زلق)، وهو القلاخ بن حزن المنقرى . ولم يرد هذا الرجز فى ديوان الشماخ

٨٦١ – (ألك) ٢٧٣ : ٢٠ وبيروت ٣٩٣ والمخطوطة، قول الشاعر :

ألكنىْ ياعتيقُ إليك قولاً
ستُهديه الرواةُ إليك عنّى

والشاعر هذا هو النابغة الذُّبيانىُّ . والبيت فى ديوانه ١٩٧ من قصيدة يخاطب بها عُيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى، حين أراد أن يعاون بنى عبس ويخرج بنى أسد من ذبيان . وصواب الرواية أنْ : «ألكنى ياعيَين»، مرخم عُيينة كما فى الديوان . وقد ورد النص صحيحاً فى ص ٢٧٤ من اللسان. ألكنى : بلغ رسالتى. وعُيينة هذا ممن صاحب وفد تميم فى وفادتهم على رسول الله. السيرة ٩٣٤ جوتنجن .

٨٦٢ – (بتك) ٢٧٥ : ٢٠ وبيروت ٣٩٥ والمخطوطة : «وفى التنزيل العزيز : «وَليبتّكُنَّ آذان الأنعام». وقد رسمت الواو واضحة فى المخطوطة، معززة بالفتحة فوقها، وهو تحريف . والتلاوة : «فليبتّكُنَّ» بالفاء . وهى الآية ١١٩ من سورة النساء .

٨٦٣ – (ترك) ٢٨٦ : ٢٢ وبيروت ٤٠٥ وديوان الأعشى ٦٥ قول الأعشى :

وبهماء قفر تخرج العين وسطها
وتَلْقىَ بها بَيْضَ النعام ترائكا

وخروج العين هنا عجب عاجب . إنما هى «تَحْرَج»، أى تحار . وفى رواية المقاييس (ترك) : «تألّه» بمعنى تحار أيضا . وهو أحد الأقوال فى اشتقاق لفظ الجلالة، لأن العقول تأْ

فى عظمته ، أى تتحيّر . ومنه قول ذى الرمّة :

تزداد للعين إبهاجاً إذا سفَرت

وتَحرَج العينُ فيها حين تنتقب

وفى مخطوطة اللسان : « أتحرح » ، بالحاءين المهملتين ، صوابهما ما أثبت .

٨٦٤ـ (حتك) ٢٩١ : ١٧ وبيروت ٤١٠ والمخطوطة أيضا : « وتروى هذه الأبيات لزميل بن أبين » ، وإنما هو « زُميل بن أُبير » كما فى شرح الحماسة للتبريزى والمؤتلف ١٢٩ والإصابة ٢٩٧٣ والخزانة ١ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ . وزميل وأُبير كلاهما بهيئة التصغير ، ويسمى أيضا : زميل بن أم دينار . وهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ، كما فى نوادر المخطوطات ١ : ٩٢ .

٨٦٥ـ (حكك) ٢٩٥ : ١١ وبيروت ٤١٣ والمخطوطة : « وقيل معناه أنا دون الأنصار بذل حكاك لمن عاداهم ونواهم » والصواب « وناواهم » . كما فى تهذيب اللغة ٣ : ٣٨٦ . تناوأت الرجل مناوأة ونِواءً : فاخرتُه وعاديته . وفى الحديث : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على من ناوأهم » . أى ناهضهم وعاداهم .

٨٦٦ـ (حلك) ٢٩٧ : ١٣ وبيروت ٤١٥ والمخطوطة أيضا :

ياذا النجاد الحلكهْ

والزوجة المشتركه

ليست لمن ليست لكه

وجعله شاهدا على أن « الحُلَكة » دويْبّة تغوص فى الرمل . وصواب الرواية فى الشطر الأول :

* ياذا البجاد الحلكه *

كما فى جمهرة ابن دريد ٢ : ١٨٥ وتاج العروس (حلك) . قال الزبيدى : « وتقول للأسود الشديد السواد : إنه لحلكة ، كهُمَزة ، والصواب ماذكرنا » . يعنى الشديدة السواد .

والبجاد : كساءٌ مخطط من أكسية الأعراب . وصواب الرواية فى الشطر الأخير :

* لستَ لمن ليست لكه *

كما فى الجمهرة ، وورد فى التاج محرفا كما فى اللسان : « ليست لمن ليست » . وذكر ابن دريد أن هذا من كلام لقمان بن عاد ، فى كلام طويل .

٨٦٧ — (درنك) ٣٦٠ : ٢٠ وبيروت ٤٢٣ : « له خَمَل قصير كخَمَل المناديل » وكلمة « خمل » وردت مجردة من ضبط الميم فى المخطوطة ، ووجه ضبطها « خَمْل » بسكون الميم كما فى القاموس وغيره . وفى المصباح المنير : « الخمل مثل فَلْس : الهُدب . والخمْل : القطيفة » .

٨٦٨ — (دعك) ٣٠٧ : ٢٣ وبيروت ٤٢٤ والمخطوطة أيضا قول الشاعر :

وطاوعتمانى داعكًا ذا مَعاكة

لعمرى لقد أَودَى وما خِلتُه يُودِى

وصواب الرواية « وطاوعتما بى » كما فى مجالس ثعلب ١٧ مع الاستضاءة بأمالى المرتضى ٢ : ٦٠ . كما أن الصواب كذلك « لقد أزرى وما مثله يُزْرِى » .

والبيت من أبيات رائية لعبيدالله بن عبد الله بن عتبة المسعودى ، فى مجالس ثعلب وأمالى المرتضى والحيوان ١ : ١٤ — ١٥ والمحبر لابن حبيب ٢٩٧ ، ومنها البيتان المشهوران :

فَمسَّا ترابَ الأَرض منها خلقتما

وفيه المعاد والمصير إلى الحشر

ولا تأْنفا أن ترجعا فتسلِّما

فما خُشِىَ الإنسان شرًّا من الكبر

يخاطب معاتبًا رجلين مرًّا به وهو أعمى فلم يسلِّما عليه .

٨٦٩ — (دكك) ٣٠٨ : ٥ — ٦ وبيروت ٤٢٤ والمخطوطة : « والدكك : القيران المنهالة » ، وإنما هى « القيزان » بالزاى المعجمة ، كما فى التهذيب ٩ : ٤٣٦ . والقيزان : جمع قوز ، بالفتح ، وهو المستدير من الرمل ، والكثيب المشرف .

٨٧٠ — (دكك) ٣٠٨ : ١٦ وبيروت ٤٢٥ : « إنا وجدنا بالعراق خيلا عراضًا دُكًّا ، فما يرى أمير المؤمنين من أسهامها » ، والصواب « فى إسهامها » : أى اقتسامها كما فى المخطوطة ، وإن كانت « إسهامها » مجردة من الضبط فيها .

٨٧١ — (دكك) ٣٠٨ : ٢٠ والمخطوطة « واختلفوا فى الدكان فقال بعضهم : هو فُعلان من الدَّكّ ، وقال بعضهم : هو فُعّال من الدَّك » . وليس كذلك ، بل صواب الأخيرة « فُعَّال من الدكن » كما فى التهذيب ٩ : ٤٣٨ . وبذلك صححت فى طبعة بيروت ٤٢٥ .

٨٧٢ — (دكك) ٣٠٩ : ١٨ وبيروت ٤٢٦ والمخطوطة أيضا قول الراجز :

يادار سلمى بدكاديك البرق

سَقياً فقد هيَّجتِ شوق المشتَاَقْ

والراجز هو رؤبة ، كما فى شرح شواهد الشافية للبغدادى ١٧٤ . كما أن الشطرين فى الخصائص لابن جنى ٣ : ١٤٥ والمقرب لابن عصفور ١٠٧ والصحاح (شوق ، دكك) واللسان (شوق) بدون نسبة .

أما « المشتأق » التى وردت محرفة فى هذا الموضع وحده فصوابها « المشتئِق » كما فى جميع المراجع المتقدمة . قال البغدادى : « أصله المشتاق ، فقلب الألف همزة وحركها بالكسر لأن الألف بدل من واوٍ مكسورة » ، يعنى أن أصلها مشتوِق .

٨٧٣ـ (ركك) ٣١٧ : ٤ وبيروت ٤٣٢ والمخطوطة قول الشاعر :

تروَّحن فى قرن الغزالة بعدما
ترشَّفنَ ذَرّات الذِّهاب الركائك

ولم ينسب البيت فى اللسان ولا فى التهذيب ٩ : ٤٤٤ . وهو لذى الرمّة فى ديوانه ٤١٩ ،

كما أن صواب النص : « دِرَّات الذِّهاب» بالدال المهملة المكسورة كما فى الديوان والتهذيب . والدِّرَّات : جمع دِرّة بالكسر ، وهى سيلان المطر ، كما أن الدرة سيلان اللبن وكثرته . والذهاب : جمع ذِهبة بالكسر ، وهى المطْرَة الضعيفة .

٨٧٤ـ (ركك) ٣١٧ : ٦ وبيروت ٤٣٣ : « قيل لأعرابى : مامَطَرة أرضك؟ فقال : مركّكة » . أما المَطرة على وضعها هذا فصوابها « المطْرة » بسكون الطاء . وفى اللسان : « المطرة : الواحدة » يعنى أنها اسم مرة . لكنَّ صواب النص المطابق للمخطوطة : « مامَطَرُ أرضك » . وكذلك ورد النص فى تهذيب اللغة ٩ : ٤٤٥ وهو مرجع ابن منظور فى هذا الاقتباس .

٨٧٥ـ (سكك) ٣٢٧ : ١ ـ ٢ وبيروت ٤٤٢ : « يقال سكَّ بسلحه وسَجَّ وهَكَّ ، إذا حذقَ به » . وفى المخطوطة « إذا حذف » بالدال المهملة . والوجه «خذق» بالخاء والذال المعجمتين والقاف ، كما فى التهذيب ٩ : ٤٣٢ وإن كانت فى بعض مخطوطات التهذيب : «حذف» ، إذ هو المألوف فى التعبير عن سلح الطائر . وفى التهذيب ٧ : ٢٠ «عن الأصمعى : ذرق الطائر وخذق ومزق وزرق » .

٨٧٦ـ (شكك) ٣٣٨ : ١٢ وبيروت ٤٥٢ والمخطوطة : « والشكائك من

الهوادج : ماشكٌ من عيدانها التى بقيت بها بعضها فى بعض » ، ولا وجه لقوله « بقيت بها » ، والصواب « التى تُقبَّبُ بها » ، كما فى التهذيب ٩ : ٤٢٦ مع التجاوز عن خطأ الطبع . وفى اللسان : (قبب ١٥٢) : « وبيت مقبب : جعل فوقه قبة . والهوادج تقبَّب » .

٨٧٧ – (ضبرك) ٣٤٥ : ١٩ وبيروت ٤٥٩ قول الفرزدق :

وردوا أُراق بجحفل من تغلبٍ
لجب العشىِّ ضُبارك الأَركان

وفى المخطوطة : « وردوا اران » ، وفى الهامش أمامها « إراق » ، مع وضع الحرف « ط » فوقها . وصوابهما جميعا : « إراب » كما فى الديوان ٨٨٢. وفى معجم البلدان : « إراب بالكسر وآخره باءٌ موحدة ، من مياه البادية . ويوم إراب من أيامهم ، غزا فيه هذيل بن هبيرة الأكبر التغلبى ، بنى رياح بن يربوع ، والحى خلوف ، فسبى نساءهم ، وساق نَعَمهم » .

وقبل هذا البيت فى الديوان :

وكأنَّ رايات الهذيل إذا بدت
فوق الخميس كواسرُ العِقبان

فهذا الهذيل هو هُذيل بن هبيرة التغلبى قائد يوم إراب . والفرزدق فى هذه القصيدة يعترف للأخطل التغلبى الشاعر بمكرمته فى تفضيله إياه على جرير ، ويمدح رهطه بنى تغلب ، ويهجو جريرا . ويقول الأخطل فى الانتصار للفرزدق وهجاء جرير (ديوانه ٥٠) :

فانعق بضأنك يا جرير فإنما
منَّتك نفسُك فى الخلاء ضلالا
منَّتك نفسُك أن تُساوىَ دارما
أو أن توازىَ حاجبا وعِقالا

٨٧٨ – (عفك) ٣٥٥ : ٢ وبيروت ٤٦٩ والمخطوطة : « وامرأةٌ عفتاء ، وعفكاء ونفتاء ، إذا كانت خرقاء . والعفك والعَفَت يكون العُسْرَ والخرْق » ، لكن فى المخطوطة « العُسْرُ » بالرفع . وفى النص تحريفان . أما « نفتاء » فلاوجه لها ، والصواب « لفتاء » باللام كما فى التهذيب ١ : ٣٧٢ . وفى اللسان (لفت) : « والألفت والألفك فى كلام تميم : الأعسر ، سمى بذلك لأنه يعمل بجانبه الأميل ، وفى كلام قيس : الأحمق ، مثل الأعفت . والأنثى لفتاء » .

وأما التحريف الآخر ففي ضبط «العَسْر» وصوابها «العَسَرَ» كما رأيت، بفتح السين وبالنصب.

٨٧٩ـ (عكك) ٣٥٧ : وبيروت ٤٦٩ والمخطوطة: قول دَلَم، أبي زُعَيب العبشمي:

* لما رأيت رجلا دعكايه *

ووجه الرواية: «لما رأتني» على أن الرواية في اللسان (درح، دعك): «إمّا تريني».

٨٨٠ـ (عكك) ٣٥٧: ١٣ وبيروت ٤٧٠ قول الراجز:

*أَزَرْتُه تجِدْه عَكّاً وَكّاً *

وفي المخطوطة: «أرزته»، والصواب «إِزْرَتُه» لتقابل «مِشْيته» في الشطر الذي بعده، وهذا الصواب في الصحاح. وفي التهذيب ١ : ٦٥ : «إن زرته»، وليست بشيء. وبعد الشطر:

* مِشْيتُه في الدار هاكِ رَكّا *

يقال ائتزرَ فلانٌ إِزرةَ عَكٍّ وَكٍّ، وإزرةَ عَكَّى، وهو أن يُسبِل طرفَيْ إزاره ويضم سائره. فالنص يتناول تصوير الإِزْرَةَ والمِشية، ولا يليق بالزيارة.

٨٨١ـ (فرك) ٣٦٢ : ٧ وبيروت ٤٧٤ والمخطوطة أيضا قول رؤبة:

* فعفّ عن أسرارها بعد الغَسَقْ *

والغَسَق: ظلمة الليل، ولا وجه لها هنا إنما هو «العَسَق» بالعين المهملة كما في ديوان رؤبة ١٠٤ واللسان والمقاييس (عسق) والأسرار من السِّرّ، وهو النكاح. ويقال عَسِقت الناقة بالفحل عَسَقًا: أربَّتْ به ولزمته. وقد سبق الكلام عليه في التنبيه رقم ٣٧٧.

٨٨٢ـ (لكك) ٣٧٣ : ٧ وبيروت ٤٨٤ والمخطوطة، قول الشاعر:

إلى عُجاياتٍ له ملكوكةٍ
في دُنُس دُرم الكعوب بيان

بإهمال نقط الكلمة الأخيرة، وإنما هي «أَتْنانْ» كما في التهذيب ٩ : ٤٥٢. والأَتْنان: جمع تِنٌّ بالكسر، وهو المثيل والشبيه.

٨٨٣ـ (لوك) ٣٧٤ : ٦ قول عبد بني الحسحاس:

أَلْكني إليها عمرَكَ اللهِ يافتى
بآية ماجاءت إلينا تهاديا

والصواب «عمَرك اللهَ» بنصب لفظ الجلالة ، كما فى المخطوطة . وجاءت على هذا الصواب فى طبعة بيروت ٤٨٥. وفى اللسان (عمر ٢٨٠) : «الكسائى : عمَرك الله لا أفعل ذلك ، نصب على معنى عمَرتك الله ، أى سألت الله أن يعمِّرك ، كأنه قال : عمَّرت الله إياك . قال : ويقال إنه يمين بغير واو. وقد يكون عمرَ اللهِ . وهو قبيح» .

٨٨٤ـ (ملك) ٣٨٥ : ١١ وبيروت ٤٩٥ والمخطوطة كذلك ، قول أوس بن حجر :

فملَّك بالليط التى تحت قشرها
كغرقىءِ ببيضٍ كنَّه القيضُ من عَلُ

وصواب الرواية : «الذى تحت قشرها» كما فى الديوان ٩٧ واللسان (ليط) والمعانى الكبير لابن قتيبة ١٠٦١ . والليط : جمع لِيطة ، وهى قشرة القصبة والقوس والقناة وكلِّ شىءٍ له متانة . وملَّكَ ، أى ترك من القشر شيئا يتمالك به .

٨٨٥ـ (نزك) ٣٨٨ : ١٢ وبيروت ٤٩٨ والمخطوطة : «أنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لامرأة وقد لامها ابنها فى زوجها :

وددت لو أنه ضبٌّ وأنِّى
ضُبَيِّبةٌ كُدية وَحَداً خلاءا

والبيت فى الحيوان ٦ : ٧٥ منسوب إلى حُبىٍّ المدنيَّة ، قالته لابنها حين عذَلها لأنَّها تزوّجت ابن أمِّ كلاب ، وهو فتى حدث ، وكانت هى قد زادت على النَّصَف .

وانظر سبب تمنِّى هذه المرأة لأن تكون ضبةً زوجاً لضبٍّ ، فى كتاب الحيوان . و «وَحَداً خَلاءا» خطأ فى النص والرسم . والصواب «وَجَدا خلاءً» أى أصابا خلوةً. وفى الحيوان : «كضبة كادية وجدت خلاءً» .

٨٨٦ ـ (ورك) ٤٠٤ : ١٨ وبيروت ٥١٢ قول الهذلى :

بها مَحِصُ غيرُ جافى القوى
إذا مُطِى حَنَّ بَورْكٍ حُدَال

وفى المخطوطة : «جُدَال» بضم الجيم مع إهمال ضبط اللام ، وهذه محرَّفة ، إنما هى بالحاء المهملة كما فى المطبوعتين ، لكن وجه الخطأ فى ضبط اللام بالسكون وإنما هى «حُدالِ» بكسر اللام ، من قصيدة لأمية بن أبى عائذ الهذلى فى

ديوان الهذليين ٢ : ١٧٢ وشرح السكرى ٤٩٤ مطلعها :

ألا يالقومِ لَطيف الخيالِ
أرّقَ من نازحٍ ذى دلالِ

وحُدال : فيها حَدل ، أى طمأنينة إلى أحد جانبيها ، تنحدر سيّتُها قليلا .

٨٨٧ – (وشك) ٤٠٦ : ٦ – ٧ وبيروت ٥١٤ والمخطوطة : «قال عبد الله بن عَثْمة يرثى بسطام بن قيس :

حقيبة سرجه بدنٌ ودِرعٌ
وتحمله مُواشكةٌ دؤوك

فأول خطأ تسمية الشاعر ، فهو عبد الله بن عَنَمة : لا عَثْمة . وأصل العنمة واحدة العَنَم ، وهو ضرب من النبات . وعبد الله هذا شاعر معروف من شعراء المفضليات والأصمعيات ، له المفضّليّة ١١٤ والأصمعية ٨ . ومطلع قصيدته فى الأصمعيات ص ٢٦ :

لأمِّ الأرض ويلٌ ما أجَنّتْ
غداة أضرَّ بالحسن السبيلُ

والخطأ الثانى «دؤوك» بالكاف . صوابها «دءول» باللام : من الدألان : وهو ضربٌ من العَدْو .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

في معاني الأفعال :

المزيد بالهمزة كالمجرد في الأفعال الثلاثية المتعدية

للأستاذ محمد شوقي أمين

١ — المشهور من أحكام التصريف العامة أن هناك معنى لكل حرف من حروف الزيادة في بناء الأفعال ، وأنه إذا زيد حرف أو حرفان أو أكثر كان لكل زيادة من هذه الزيادات معناها الملحوظ ؛ وذلك تفرقة بين المجرد والمزيد ؛

ذلك ما يسوقه علماء العربية في عامة ما يقولونه وما يعتمدونه أساسا راسخا في دلالة المباني على المعاني ، ولكنهم يجدون في مسموع اللغة من الأفعال المزيدة ما هو في معنى الأفعال المجردة ، دون تفريق .

وإزاء هذا الذي يجدونه لا يملكون إلا أن يشيروا إليه ، فتراهم يقولون إن هذه الصيغة المجردة أو المزيدة بحرف أو أكثر تجيء بمعنى صيغة أخرى من صيغ المزيدات ، ثم يجتزئون بذكر مثال أو أمثلة معدودات ، وربما نصوا على أن ذلك قليل أو نادر .

٢ — والذين يتتبعون أقوال النحاة والصرفيين في أبنية الأفعال المزيدة بمختلف حروف الزيادة يستطيعون أن يستخلصوا ظاهرة صرفية واضحة ، هي أن أكثر هذه الأبنية المزيدة قد تأتي كالمجرد بلا مغايرة له في معناه ، فما من مؤلف في تصريف الأفعال — قديم أو محدث — إلا نبه إلى ذلك صريحا في غير مواربة ولا لبس ؛ ومن أبرز ذلك في تأليفه «الفارابي» في «ديوان الأدب» فهو يرشد في بيان معاني الأبنية إلى تلاقي المجرد والمزيد على معنى مشترك فيأتي المجرد بمعنى المزيد سواء .

وهاك من ذلك القبيل نماذج مقتبسة من جملة من التصانيف الأصول ، تتناثر في تضاعيف الصحائف والأبواب ، نقدمها فيما يلي على سبيل التمثيل لا الحصر .

أولا — بناء «فعَل» المجرد تشاركه في معناه الصيغ الآتية :

(ا) أفعل ، مثل : بهجت فلانا وأبهجته .

(ب) فعّل المضعّف ، مثل : ماز الأمر وميّزه

(جـ) فاعل ، مثل جاز البلد وجاوزه .

(د) افتعل ، مثل قنى الشىء واقتناه .

(هـ) انفعل ، مثل : عدل عنه وانعدل .

(و) استفعل ، مثل : يئس منه واستيأس .

ثانيا — بناء «أفعل» يشركه فى معناه بناءان هما :

(ا) فعّل المضعّف ، مثل : أسمى الشىء وسماه .

(ب) فاعل ، مثل : عافاه الله وأعفاه .

ثالثا بناء «تفعل» يأتى بمعناه البناءان الآتيان :

(ا) تفاعل ، مثل : تجوز فى الأمر وتجاوز .

(ب) استفعل ، مثل : تكبّر فلان واستكبر .

رابعا — بناء «فعّل» المضعف ، له بمعناه بناءان كذلك : —

(ا) فاعل ، مثل ضعّف الشىء وضاعفه .

(ب) تفعّل المضعف ، مثل : ولّى فلان وتولّى .

فإذا رجعنا إلى كتب فقه اللغة وما هو منها بسبيل . ألفينا ثمة أبوابا تعقد لبيان ما يتحد فيه المعنى مع اختلاف البناء ، وفى هذه الأبواب تسرد الأمثلة من فصيح العربية بقدر يغزر أو يندر فى هذا الكتاب أو ذاك .

٣ - وهنا يتبادر إلى الخاطر هذا السؤال :

فيم الزيادة إذن إن لم تكن لمزيد معنى ، أفادته زيادة المبنى ؟

ولم يغب هذا السؤال عن بال النحوى الألمعى «الرضى» فقال فى التعقيب على ماأورده «شافية ابن الحاجب» من مجىء أفعله بمعنى فعله ، نحو : قلته البيع وأقلته : « وكل زيادة لمعنى وإن لم يكن إلا التأكيد» والحق أن اصطياد «الرضى» فائدة «التأكيد» لتسويغ الزيادة : إنما هو محاولة مفترضة لجعل قاعدة أن الزيادة لابد أن تكون لمعنى قاعدة مطردة لاتتخلف .

ويقف فى وجه هذه المحاولة أن اللغة حين تذكر الأفعال المزيدة بمعنى الأفعال المجردة ، لاتضيف فى الأكثر منها جديداً يفرق بين المجرد والمزيد ، وإن يكن الفارق هو محض التوكيد.

وقد اختلف علماء التصريف فى تسمية الهمزة الزائدة فى أفعله بمعنى فعله وتعليلها . وإن لم يختلفوا فى ورودها . وقد ذكر « المالقى » فى كتابه « رصف المبانى » ص ٥٠ أن هذه الهمزة تسمى همزة النقل . وقال : «إنها لاتفيد شيئا سوى النقل ، سواء كان الفعل متعديا أو غير متعد . وليس لها معنى إلا مجرد النقل خاصة »

٤ — على أن اللغويين الذين يعنون بتسجيل ماتناقله الرواة من تنسيب الكلم العربى إلى اللهجات العربية المتعددة . يرجعون أنساب بعض هذه الأفعال المزيدة إلى قبيلة أو قبائل مسماة أو غير مسماه . ويقولون إنها تناظر صيغها المجردة بمعناها فى لهجة أو لهجات أخرى لقبيلة أو قبائل غير تلك .

وفى هذا التنظير القائم على التنسيب «اللهجوى»[1] مايضعف من جدية المحاولة التى عبر عنها «الرضى» بأنها التوكيد تجيز بها دخول الحرف الزائد على الفعل المجرد بمعناه ، مادام اللغويون يطبقون على أن الزيادة لغير مزيد معنى مأنوسة فى غير لهجة من لهجات العرب .

ومع ذلك فان هذا التنسيب اللغوى الذى رصده بعض اللغويين بالنص على فروق اللهجات غير مطرد فى قبيلة بعينها ، أو موقوف على لهجة برأسها ، فربما نسبوا إلى إحدى القبائل مزيداً بمعنى المجرد فى قبيلة أخرى . ونسبوا إلى جانب هذا مجرداً فى القبيلة الأولى بمعنى المزيد فى القبيلة الأخرى .

٤ ــ وفى هذا المقام نريد أن نخص بالبحث بنية « فعل وأفعل » ، وأول ما ننوه به أن هاتين البنيتين لقيت كلتاهما فضل عناية من النحاة وأصحاب اللغة ، إذ لاحظوا كثرة ورودهما بمعنى واحد ؛ فنبهوا إلى ذلك بمثل قولهم : « ويجىء أفعلته بمعنى فعلته » . وفى مؤلفات فقهاء اللغة ، أبواب أو فصول معينة ينص فيها على مجىء البنيتين باتفاق المعنى وأذكر من هذه المؤلفات «أدب الكاتب» لابن قتيبة ، و«سر العربية» للثعالبى و«المخصص» لابن سيده ، و«المزهر» للسيوطى . و «الأفعال» للسرقسطى . وهو أغزرها مادة وأرضحها تفصيلا .

وإن صيغة ـ أفعل بمعنى فعل ، من أظهر مايظهر فيه ـ تنازع رواة اللغة وأثباتها حول تعاقب المجرد والمزيد ، تارة يقولون هذه اللفظة المزيدة موافقة لأختها المجردة ، كما فى ملكت العجين وأملكته وطورا يقولون هذه لغة دون نسبة كما فى أردفه بمعنى ردفه . وحينا يعزون اللغة إلى ذويها كما فى أرجفته فى لغة هذيل بمعنى رجفته وأعصفت الريح فى لغة بنى أسد بمعنى عصفت . ويذكرون أن بنى عامر يقولون : ذهبه فهو ذهيب ونيته نهو منيوت وبرزه فهو مبروز . وبينهم من يذكر تفرقه خفيفة بين أفعل وفعل ، فى أقبسه وقبسه ، فيقول : أقبست الرجل علما وقبسته نارا ، ويتصدى له «الكسائى» فيقول : أقبسته ناراً وعلماسواء ، ويجوز طرح الألف منهما . وربما أنكر بعضهم مجىء أفعل بمعنى فعل فى بعض ألفاظ ، كما فى إنكار « الأصمعى » لأبرق وأرعد بمعنى برق ورعد ، فردوا عليه محتجين بشعر «الكميت» . وفى اللغويين من لاحظ أن العرب تقول : أحزننى هذا الشئ ، فإذا صاروا إلى المستقبل قالوا : يحزننى بفتح الياء ، ويحمل هذا على أنه كان فى الأصل أحزنه يحزنه ، وحزنه يحزنه بمعنى واحد ، كما قالوا : سلكه وأسلكه ، وسحته ، وأسحته بمعنى واحد ، فأخذوا من هذه الصدر ومن هذه الغابر وأماتوا الأخريين . وما استظهره ذلك اللغوى يؤيده إثبات «الجوهرى» لأحزنه

---

[1] نسبة الى علم اللهجات ، اى نسبة الى الجمع ، باعتبار أن (اللهجات) قد اكتسبت العلمية بأنها اسم لعلم من العلوم . فيقال : لهجوى ، كما يقال فى النسب إلى هندات وصعبات : هندوى وصعبوى .

وحدته بمعنى واحد ، وإن لم يقل إن أحد الفعلين فى ماضيه أومضارعه مسلوب الحياة.

وفى الدراسة التى نشرها الأستاذ الدكتور « أحمد علم الدين الجندى » فى الجزء الثانى والثلاثين من مجلة « مجمع اللغة العربية » لصيغتى « فعل وأفعل »— جملة من النصوص الوثقى حول جملة من الأفعال ، يؤخذ منها أن اللهجات العربية تتعاور الصيغتين ، بيد أن لهجة « تميم » يغلب استعمالها لصيغة «أفعله» بمعنى « فعله » ، وأن غيرها من لهجات الحجاز ونجد وهذيل وقيس وعقيل وجرم يرد فى استعمالاتها ذلك أيضا ، على حين أن لهجة «تميم» تستعمل كذلك صيغة «فعله» بمعنى «أفعله» فتقول فى أهلكه هلكه ، وفى أجبره على الأمر جبره ، وفى أخلى على اللبن واللحم خلا ، يضاف إلى ذلك أن هناك أفعالا هى: سحت وفتن ولات وجنب وسرى وحزن ، وردت (هى وغيرها)[1] فى قراءات القرآن ، مداولة بين فعل وأفعل بمعنى واحد ، لا خلاف فى ذلك بين لغوى ومفسر .

٦ — ويجمل بنا أن نقف مع «ابن درستويه» وقفة قصيرة ، فقد جاهر بمخاصمته لاتفاق أفعل وفعل فى المعنى ، وأظهرنا على أنه ألف كتاباً فى افتراق معنى فعل وأفعل ،[1] وله فى كتابه «شرح الفصيح» مقولة ينادى بها ويصر عليها ، وهى قائمة على أساس أنه لا يؤمن فى فلسفته اللغوية بالمشترك لفظا أو المشترك معنى ، فهو ينكر تعدد المعانى مع وحدة اللفظ ، كما ينكر اختلاف أبنية اللفظ مع وحدة المعنى : ومما أفاض فيه يتجلى أنه يتأول ما يرد من أفعل وفعل بأنه إما لتباين اللهجات ، وإما لعلة وفروق : وإما لتشبيه فعل بفعل ، وإما لحذف واختصار .

وإذا كان لهذا الوجه من النظر مدرك يمكن قبوله ، والاطمئنان إليه ، فى تعليل بعض الأفعال المسموعة عن العرب ، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر فى واقع اللغة المروى الحاصل فى اليد من الألفاظ التى يرد فيها أفعله بمعنى فعله سماعا عن العرب الخلص ، وشتان ما بين النظر والعمل ، وما بين المنطق والواقع ، وما ينبغى لنا أن نرسم للغة شريعة من قواعد وضوابط منبثقة من فكر وتدبر ، وتأصيل وتفصيل ، ثم نحكم بها على المأثور من فصيح الكلام . لنعدل به عن وجهه ، ونصرفه إلى غير مدلوله ، فإنما تخضع القواعد والضوابط للوارد المسموع ، فتجرى عليه . وتلتزم به ، كما نقله رواة اللغة وحفظتها ؛ بدلالاته التى تعبر عن حرية العربى الفصيح فى الوضع ، وتصرفه فى الصوغ ، بلا سلطان عليه ، ولا نكير .

ولو أننا عمدنا إلى اللغة ، فنفينا منها ما لا يطابق القواعد والضوابط التى ننتزعها من أفكار مجردة ، وتصورات عقلية ، لأكرهنا اللغة إكراها على غير ما هى جارية عليه بالفطرة والدربة ، والمرونة والطلاقة .

---

(١) قرئ (يمده) فى سورة لقمان مجرداً ومزيداً ، كما فى «النسفى» .

أفيجوز لنا أن نؤلف معجمنا العربي على أساس رفض المشترك لفظا والمشترك معنى ، على نحو ما ينادى به «ابن درستويه» ؟ إذن لجاز لنا أن نحذف من مواد اللغة وتفريعات مدلولاتها ما يحيا به الإحصاء ، وإذن لأفقدنا متن اللغة ما نفهم به النص العربي المأثور ، من منظوم ومنثور .

ومقطع الحق في هذا ما عبر عنه «ابن فارس في فقه اللغة كما في «المزهر» ص٣٦٩ بقوله : «إن العرب تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، وتسمى لشيء الواحد بالأسماء المختلفة» وأزيد : أن الأفعال في هذا كالأسماء :

٧ – ولقد أورد أعلام النحو والصرف ما جاء فيه فعلته وأفعلته باتفاق المعنى أمثلة لا تجاوز أصابع اليد ، للتمثيل ، وسرد له فقهاء اللغة في مختلف كتبهم عشرات الأمثلة للتعريف . وكنت فيما سلف من الأقضية أعنى بجمع ما يقع لى من هذا القبيل فيما أطالع من المراجع اللغوية المعتمدة كالجمهرة والصحاح والتهذيب واللسان والتاج وغيرها من الأصول . ومن حصيلة ذلك كله توافر لى عدد جم من الأفعال يبلغ نحو ستين فوق المائتين : ثلاثة أرباعه أفعال ثلاثية مجردة متعدية بنفسها ، لها ما يناظرها في معناها ، مما دخلت عليه الهمزة مزيدة دون معنى مزيد : والربع الباقي أفعال ثلاثية مجردة أيضا تعدت بحرف الجر ولها نظائر بمعناها مع الهمز . وعمدتى في بيان المعنى المشترك ما نص عليه معجم أو تواردت في النص عليه معجمات . مفاد ذلك كله عند جمهرة اللغة ومدونيها أن هذه الأفعال مزيدها كمجردها ، دون تفرقة في معنى ، أو زيادة في دلالة ، ودون توقف في جواز استعمال المزيد كالمجرد ، سواء بسواء :

٨ – وغني عن القول أن مأثور اللغة كله حجة للاستعمال إن صح ، ومدرجة للقياس إن كثر ، والمقصود بالصحة النقل عن العرب الذين تنوقل عنهم الكلام ، والمراد بالكثرة ما يطمأن به إلى سنة العربية في البناء والصوغ : وليس بقادح في ذلك أن يكون المسموع عن العرب متعدد المصادر من مختلف اللهجات المروية عن قبائل اعتمد علماء اللغة عروبتها في جمع مواد اللغة . وحسبنا فيما نحن بصدده من صيغة أفعله بمعنى فعله أنها واردة في لهجات شتى ، وأنها لا صلة لصوقا ظاهرا بلهجة «تميم» التى قال فيها «ابن حزم» في «جمهرة أنساب العرب» : «إنها قاعدة من أكبر قواعد العرب» :

وطوعا لما أسلفنا : يسعنا القول بأن من سنن العربية استعمال أفعلت الشيء بمعنى فعلته ، وللقائل بالقياس ذلك الاحتجاج بهذا العدد الوافر الزاخر مما تحتويه خزائن اللغة ، ومنه تلك المحصلة التى أوفت على المائتين عدا ، ونحن موردوها من بعد مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مفصلة بحسب التعدى بالنفس أو بالحرف :

٩ – ورب سائل قائل :

ما الحاجة إلى هذا الذى تجهد فيه جهدا ، وتعنج له جدا ؟

والجواب عن ذلك أن القول بقياسية أفعله بمعنى فعله، فيه غناء من عدة نواح :

الأولى : تحقيق السنة العربية في مجيء أفعله بمعنى فعله، وإضافة ذلك إلى قواعد التصريف المقررة، فما هو بالشاذ، ولا بالنادر، ولا بالقليل.

الثانية : تطويع هذه الصيغة الفعلية لحاجة الاستعمال، برفع الحجر الذى تفرضه فيها المقررات التعليمية العامة وإجازة القياس عليها، لاستخدامها حين يراد التخصص في مصطلح، أو التصرف في تعبير، إلى غير ذلك من وجوه التنويع أو التيسير.

الثالثة : أن الأفعال المزيدة بصورتها المهموزة متعدية إلى مفعولاتها، أسرع فى إفادة التعدية من الأفعال المجردة متعدية بنفسها أو بحرف الجر، وكذلك الشأن فى مصادر المجرد ومصادر المزيد.

الرابعة : أن الأفعال الثلاثية المجردة يصعب الحكم فيها على حركة عين الماضى والمضارع، بخلاف المزيدة، فإن الضبط فيها لا يحتاج إلى توقيف فى مُضِىّ أو استقبال، إذ هو موحّد مقيس.

الخامسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة أغلبها لاقياس فيه، على عكس المزيدة، فمصادرها مما ينقاس. وما لا يحتاج إلى سماع أولى وأيسر مما يحتاج إلى السماع.

السادسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة قد توافق الأسماء المأخوذة منها فى صيغتها، فيشتبه التعبير ويلتبس، ومثاله «العذر» فهو اسم بمعنى حجة الاعتذار ووجهه، وبهذا المعنى اشتهر حتى اختص به:

والعذر كذلك مصدر لمعنى الحدث وهو رفع اللوم. تقول : عذره عذرا أى قبل اعتذاره : فالعذر إذن هو قبول العذر. ولا يكاد هذا المعنى يسفر باستعمال لفظ العذر. كما يسفر إذا جئ بالبناء المزيد. فيقال : أعذره إعذاراً أى قبل عذره. وذلك مثبت فى مسموع اللغة.

السابعة : أن اسم المرة من مصدر الثلاثى المجرد لا يستبقى فى الغالب صورة المصدر، بل يقصره على صورة موجزة ربما كان فيها تنكر لصورته الأصيلة. فاسم المرة من الفراغ فرغة، ومن الإتيان أتية، ولا كذلك المزيد، فإن اسم المرة لا يتحيف صورة مصدره، بل يستبقيه على أصله، بزيادة تاء فى آخره. وفى الإبقاء على الأصل إيضاح، وفى تغيير الصيغة إغماض، والجنوح إلى الوضوح غرض منشود.

الثامنة : أن من الشائع فى اللغة المعاصرة قول الكتاب هذا عمل مشين أو مريع أو مربك (بضم الميمات) وذلك العمل يضيره، بضم الياء، وقد أضير الرجل بضم الهمزة، وإشهار البيع، وهذه الاستعمالات إنما تجاز على أن أفعالها المزيدة فى معنى أفعالها المجردة.

١٠ — والآن نسوق الأمثلة الفصاح من الأفعال الثلاثية المجردة التى وردت متعدية بنفسها أو بالحرف، كما وردت مزيدة بالهمز، مع اتفاق المعنى. وهى قسمان:

القسم الأول : المجرد والمزيد بالهمزة، مما يتعدى بنفسه.

القسم الآخر : المجرد والمزيد بالهمزة، مما يتعدى بالحرف :

أولا — من المتعدى بنفسه

ألف المكان وآلفه
أمر ماله وآمره
أجر الغلام وآجره
أدبه وآدبه
أدمه وآدمه
أثمه وآثمه
أويته وآويته
بر الله حجه وأبره
بشرت الرجل وأبشرته
بدأ الخلق وأبدأه
بت البيع وأبته
بدع الشيء وأبدعه
بلق الباب فتحه وأبلقه
بهج فلانا وأبهجه
باع الشيء وأباعه
برزه وأبرزه
برم الحبل وأبرمه
بهره الأمر وأبهره
تبله الحب وأتبله
ثقفه وأثقفه
جنبه وأجنبه
جبره وأجبره
جفأه وأجفأه
جهده وأجهده
جمعوه وأجمعوه
جاحه وأجاحه
جلوته وأجليته

جننته وأجننته
جهرته وأجهرته
جملت الشحم وأجملته
حزنه وأحزنه
حقه وأحقه
حكيت العقدة شددتها وأحكيتها
حبه وأحبه
حرقه وأحرقه
حشمه وأحشمه
حرقه وأحرقه
حرمه وأحرمه
حكمته وأحكمته
حشته وأحوشته
حترت الحبل وأحترته
حدره وأحدره
حمده وأحمده
حتأ الثوب وأحتأه
جاذ الأمور وأجوذها
خمر الشيء وأخمره
خبا الخبا وأخباه
خسرته وأخسرته
خصه وأخصه
دلع لسانه وأدلعه
دمجه وأدمجه
ذروت الحب وأذريته
ذهبه وأذهبه

ردح البيت وأردحه
رجعه وأرجعه
رملت الحصير وأرملته
روى الزرع وأرواه
رحض الثوب وأرحضه
ردفته وأردفته
رعى الماشية وأرعاها
رهن الشيء وأرهنه
رقن الشعر وأرقنه
رتج الباب وأرتجه
رسنته وأرسنته
ركسته وأركسته
رابه الشيء وأرابه
زجاه وأزجاه
زلت الشيء وأزلته
زاق رأسه وأزلقه
زننت خيرا وأزننت
زففتها وأزففتها
زكنته وأزكنته
زعق القلب وأزعقه
سنفت الناقة وأسنفتها
سعده الله وأسعده
سفقت الباب وأسفقته
سففت النسيج وأسففته
سحته الله وأسحته
سار الدابة وأسارها
سعرني شرا وأسعرني

سعر النار وأسعرها
سلكه وأسلكه
سقاه وأسقاه
سقته وأسقته
شجنه الأمر وأشجنه
شجاه الأمر وأشجاه
شرج العيبة وأشرجها
شرع الشئ وأشرعه
شركه فى الأمر وأشركه
شظ الوعاء وأشظه
شعل النار وأشعلها
شغلته واشغلته
شكل الكتاب وأشكله
شنق الناقة وأشنقها
شنق الغربة وأشنقها
شار العسل وأشاره
شاقه وأشاقه
صددته وأصددته
صر أذنه وأصرها
صفحت الرجل رددته
وأصفحته
صعقته وأصعقته
صليته فى النار وأصليته
صرت إلى رأسه وأصرته
ضره وأضره
طلح البعير هزله وأطلحه
طلق يده بالخير وأطلقها
ظلفت أثرى وأظلفته
طل دم القتيل وأطله
طمر الشئ وأطمره
طاعه وأطاعه
عددت وأعددت

عذر الرجل وأعذره
عار عينه وأعارها وأعورها
عدمته وأعدمته
عرش الكرم وأعرشه
عسرت الرجل وأعسرته
عفصت القارورة وأعفصتها
عقبه وأعقبه
عقم الله رحمها وأعقمه
عل إبله وأعلها
عمر داره وأعمرها
علفه وأعلفه
عننت اللجام وأعننته
عاقه وأعاقه
عصد العصيدة وأعصدها
عضبه وأعضبه
عنكت الباب وأعنكته
عاضه وأعاضه
عذقت الكبش وأعذقته
عفوت الشعر وأعفيته
غمد السيف وأغمده
غمض عينه وأغمضها
فتنه الأمر وأفتنه
غواه وأغواه
فرزت الشئ وأفرزته
فرشته فراشى وأفرشته
قذ السهم وأقذه
قبسته وأقبسته
قدعته وأقدعته
قرى الضيف وأقراه
قطبث الشراب وأقطبثه
قطرت الماء وأقطرته
قلته البيع وأقلته

قمسته فى الماء وأقمسته
قمحته وأقمحته
كفأت الإناء وأكفأته
كننت الدرة وأكننتها
لحدت القبر وألحدته
لحقته وألحقته
لحيت القوم وألحيتهم
لغز اليربوع أجحاره
وألغزها
لحته وألحته
لاته حقه وألاته
لاق الدواة وألاقها
محضه الود وأمحضه
مد الدواة وأمدها
مدر الحوض وأمدره
مرأنى الطعام وأمرأنى
مرج البحرين وأمرجهما
مضه الحزن وأمضه
مطرتنا السماء وأمطرتنا
ملح القدر وأملحها
ملك العجين وأملكه
مهر المرأة وأمهرها
مار أهله وأمارهم
نجزت الحاجة وأنجزتها
نجوت الجلد عن اللحم وأنجيته
نزفت البئر وأنزفتها
نشر الشئ وأنشره
نشل الشئ وأنشله
نصف الشئ وأنصفه
نضر وجهه وأنضره
نظر غريمه وأنظره
نعشه الله وأنعشه

نقد الدراهم وأنقدها
نقص الشيء وأنقصه
نقع الشيء وأنقعه
نكر القوم وأنكرهم
نهكهم عقوبة وأنهكهم
نويت النوى وأنويته
هجأه (سكنه) وأهجأه
هدره وأهدره
هديت العروس وأهديتها
هلكت الشيء وأهلكته
هلت التراب وأهلته
هرقته الماء وأهرقته
هزل الناقة وأهزلها
وجرت الدواء وأوجرته
وخفت الخطمى وأوخفته
وعيت العلم وأوعيته
وقفه وأوقفه
وكأ القربة وأوكأها
وهنه الله وأوهنه
يقن الأمر وأيقنه

ثانيا — من المتعدى بالحروف

برق لى وأبرق
بل من مرضه وأبل
ثويت عنده وأثويت
جزت عنه وأجزت
جدفى الأمر وأجد
جلبوا عليه وأجلبوا
جلا عن الموضع وأجلى
جهش فى البكاء وأجهش
جال فى ظهر دابته وأجال
حدت على زوجها وأحدت
حدق به وأحدق
حل من إحرامه وأحل
حاك فيه القول وأحاك
حال فى متن فرسه وأحال
خطل فى كلامه وأخطل
خفق بجناحيه وأخفق
خلد بالمكان وأخلد
خلد إلى الأرض وأخلد
خلف الله عليه وأخلف
خلا على اللبن واللحم وأخلى
دبر عنه وأدبر
ذعن له وأذعن
ربعت عليه الحمى وأربعت
رعد له وأرعد
رفل فى مشيه وأرفل
ركح إليه لجأ وأركح
رمى على الخمسين وأرمى
زحف فى المشيء وأزحف
زرى عليه وأزرى
سقط فى يده وأسقط
سرى بعبده وأسرى
سمح له بحاجة وأسمح
سند فى الجبل وأسند
سؤت به ظنا وأسأت
صغوت إلى الرجل وأصغيت
طف لك الشي وأطف
طلع على القوم وأطلع
طاف به وأطاف
عصفت به وأعصفت
عاذ بالله وأعاذ
غبت عنه الحمى وأغبت
غمى عليه وأغمى
غربت بالشيء وأغريت
فسح له وأفسح
قبل على الرجل وأقبل
قرأ عليه السلام وأقرأه السلام
قصر عنه وأقصر
لحد فى الدين وألحد
لحق به وألحق
لغط به وألغط
لمع بيده وألمع
لهج به وألهج
لاذ به وألاذ
لوى برأسه وألوى
مطت عنه وأمطت
مسك بالشيء وأمسك
نصح بالحق وأنصح
هوى إليه وأهوى
نعم الله بك عينا وأنعم
وحى إليه وأوحى
وعز إليه وأوعز
وضع فى ماله وأوضع
وفى بالعهد وأوفى
وقعت بالقوم القتال وأوقعت
وكس فى ماله وأوكس
ومأ إليه وأومأ
يسر له فى الأمر وأيسر

محمد شوقي امين
عضو المجمع

التراث الجيولوجي عند العرب

الدكتور محمد يوسف حسن

يحفل تراث العرب الجيولوجي بالكثير من المصطلحات والدراسات التي تدل أبلغ دلالة على ازدهار علم الجيولوجيا عند العرب، الذي يُعَدُّ من أهم دعائم ازدهار هذا العلم – أيضاً – عند علماء أوروبا في عصر النهضة، وحتى مشارف العصر الحديث.

ويرجع اهتمام العرب بالجيولوجيا إلى ما طُبِعُوا عليه من حب التجوال، والرحلة إلى الآفاق، والتعرف على معالم بيئتهم، وما فيها من جبال ووهاد ووديان، ومياه جارية أو غائرة، وعيون سائلة أو متفجرة.. وما تزخر به هذه البيئة من هضاب وصخور ورمال، وما في باطن أرضهم من معادن، وما في أعماق خليجهم من لآلئ، وغير ذلك مما في جزيرة العرب.

وجاء القرآن الكريم وفيه عشرات الآيات التي تحثُّ بل تأمر بالنظر والتأمل فيما أبدع الله تعالى من أرض وسماء.. ومن هذه الايات قوله تعالى:

«قل: انظروا ماذا في السموات والأرض» (يونس – ١٠١)

«قل: سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق (العنكبوت – ٢٠)

«وأنزلنا الحديد فيه بأْسٌ شديد ومنافع للناس» (الحديد – ٢٥)

«وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً، وسُبُلاً لعلكم تهتدون». (النحل ١٥)

«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رُفعت، وإلى الجبال كيف نُصبت، وإلى الأرض كيف سُطحت فذكِّر إنما أنت مذكِّر» (الغاشية –١٧–٢٠)

«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جُدَد بيض وحُمْر مختلف ألوانها ، وغرابيب سُود » . (فاطر – ٢٧)

«أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ » . (الأنبياء – ٢٠)

«لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لايعلمون (غافر – ٥٧) .

وهكذا ، حين أطَلّ فجر الإسلام على أرض جزيرة العرب ، وأخذت أضواؤه تُشرق فى أرجاء الأرض ، وارتحل العرب إلى مختلف البلدان ، كان من أبرز سمات الحضارة العربية الإسلامية هذا الاهتمام العلمى بمعالم الأرض وظواهرها ، واستكناه أسرارها ، والكشف عن كنوزها ويتجلىّ ذلك فيما تزخر به المعاجم العربية من ثروة هائلة من المصطلحات والألفاظ الجيولوجية ، التى مازالت حيّةً حتى الآن ، يستخدمها العلماء فى عصرنا الحديث . كما يتجلىّ فى ذلك الحماس العلميّ – لدى علماء العرب – فى البحث عن حقيقة تكوين الأرض ، ودراسة ظواهرها ، حتى خَلّفُوا لنا تراثاً جيولوجيا ينطق بأجلى بيان على أن اللغة العربية لغة علم وحضارة منذ عشرات القرون . ومن كتب هذا التراث «رسائل إخوان الصفا ، و «كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزوينى ، وغيرهما .

وقد بدأ نمو الخلفية الجيولوجية عند علماء العرب المهتمين بالعلوم الطبيعية من حصيلة ماترجمه أساطين عصر الترجمة منذ القرن الأول للهجرة وبخاصة ماترجمه بعد ذلك أعلام مدرسة بنى موسى بن شاكر ، ومدرسة يعقوب بن اسحاق الكندى وغيرهم ممن أجادوا لغات اليونان والرومان والسريان ، وللكندى نفسه رسائل أصيلة فى موضوعات جيولوجية مثل رسائل «المد والجزر » و «العوامل الباطنة المؤثرة فى الأرض » و «علة حدوث الرياح فى باطن الأرض والمحدثة كثيرا من الزلازل والخسوف » و «الجواهر والأشباه » وغيرها .

الرواد والمتخصصون فى علوم الأرض فى عصر النهضة العلمية العربية الإسلامية :

لقد كان علماء العصور الإسلامية ، شأن كل قدامى العلماء ، حتى نهاية عصر النهضة

الأوروبية . علماء موسوعيين يعملون فى مجالات متعددة من العلم .غير أنه يمكن تقسيم من اشتغل من علماء العرب بعلوم الأرض بعد انتهاء عصر الترجمة والنقل إلى مجموعتين :

(ا) مجموعة المرحلة الأولى (٣٠٠ – ٥٠٠ ه تقريبا = ٩٠٠–١١٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد الموسوعيين فى علم الأرض .

(ب) مجموعة المرحلة الثانية (٥٠٠ – ٨٠٠ ه تقريبا = ١١٠٠ – ١٤٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد المتخصصين فى علم الأرض .

* * *

ومن علماء المرحلة الأولى نذكر هؤلاء الأعلام :

١ — أبو بكر محمد بن زكريا الرازى

(المتوفى عام ٣١٤ = ٩٢٦ م تقريبا) :

وهو بجانب شهرته الأولى كطبيب ، كان أول من طبق علم الكيمياء فى الطب ، فوضع أول تصنيف للمواد مؤسسا على الطريقة العلمية المستندة إلى وصف الخواص الطبيعية والكيميائية . وقد أورد ذلك فى كتابه «سر الأسرار » ، وهو كتاب فى الكيمياء والعقاقير أساسا ، ولكن الرازى أفاض فيه فى وصف المعادن والأحجار — كطائفة بذاتها — فتناولها بالدراسة من حيث اللون ، والثقل النوعى ، ومعرفة الجيد والردىء ،وموطن الوجود . وكان الرازى من رواد التقدير الدقيق للكثافة ، وابتكر لها جهازا خاصا أسماه «الميزان الطبيعى . وله أيضا كتاب فى الفلك اسمه «هيئة الأرض »تعرض فيه لموضوعات كوزموغرافية مثل براهين كروية الأرض ، وتقدير أحجام الشمس والأرض والقمر .

٢ — على بن الحسين بن على المسعودى

(المتوفى عام ٣٤٦ ه = ٩٥٦ م تقريبا)

وشهرته الأولى فى الجغرافيا ، وأشهر كتبه «مروج الذهب ومعادن الجوهر . وبه زيادات فى الجيولوجيا الطبيعية كوصف هيئة الأرض ، ومعالمها ، وأغلفتها ، والمد والجزر ، ودورة الماء فى الطبيعة وأوصاف الأنهار ، وأسباب ملوحة ماء البحر ،وتغير مواضع البر والبحر على طول الزمان ، وعلامات وجود الماء فى باطن الأرض ، ووصف البراكين وماتقذفه من أبخرة ودخان أحجار ، وله أيضا كتاب اسمه « التنبيه والإشراف »

ناقش فى خلاله نظرية التطور العضوى . ويعد المسعودى أول من تناول ذلك الموضوع بعد أنكسماندر الإغريقى بشىء من العمق والتفصيل إلى الحد الأدنى دفع بعض علماء الغرب المعاصرين للداروين أن يكتبوا فى « الموازنة بين الداروينية فى القرنين : التاسع والتاسع عشر »

٣ — جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا

(القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى) :

وتعد هذه الجماعة أول جمعية علمية فلسفية فى التاريخ بمعنى يقارب المعنى الحديث لتلك الجمعيات ، وقد اختصت رسالتان من رسائلهم التى نيفت على الخمسين بالعلوم الجيولوجية ، وهاتان هما الرسالة الثامنة عشرة فى « الآثار العلوية »والرسالة التاسعة عشرة فى «بيان تكون المعادن » . و قد أثبت التحقيق والتعليق العلمى لبعض المعاصرين من الجيولوجيين العرب على هاتين الرسالتين أنهما تحتويان على أقدم نصوص فى التاريخ لموضوعات جيولوجية عالجها من ألف الرسالتين بأسلوب علمى يثير الدهشة من حيث تقاربه الشديد مع الأسلوب العصرى . وهذه الموضوعات هى :وصف الدورة التحولية فى الصخور — تطور المستنقعات وبحار الرفوف القارية — عمليات التأثير الجوى والتحات والنقل والترسيب . وتشتمل الرسالة الأولى أيضا على تقسيم للغلاف الجوى للأرض إلى ثلاثة أغلفة تناظر مايعرف الآن بالتروبوسفير والاستراتوسفير — والأيونو سفير ،مع وصف علمى مفصل لكل غلاف على حدة ، وتفسر الرسالة الثانية نشأة الجبال بمايتراكم على قعور البحار من رواسب تأتى إليها من البر ، وما يؤدى إليه ذلك من تغيير مواضع البر والبحر بمرور الأزمان . ويضم الشرح أول بادرة فى التاريخ لفكرة التقعرات الترسيبية العظمى (الجيوسنكلينات) التى هى مناشىء الجبال ، ولفكرة توازن القشرة الأرضية . وبالرسالة أول محاولة لتصنيف الصخور طائفتين تناظران ما يعرف اليوم بالصخور النارية والصخور الرسوبية ، وبها أيضا أول محاولة لشرح أصل المياه الجوفية وحمولتها الذائبة وترسب المعادن منها ، وبها كذلك وصف للبيئات الجيولوجية لتكوين المعادن يعد أول بادرة لنشوء علم التنقيب عن المعادن .

وقد صنف المؤلفان المعادن ووصفاها على أساس صفاتها الفيزيائية من شكل ولون وطعم ورائحة وثقل ودرجة صلادة وقوة تماسك وغير ذلك ،وكذلك ورد بالرسالة أول بادرة لوصف الاختبارات الكيميائية للمعادن تعد أولى محاولات علم تجهيز المعادن .

٤ — أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى

(المتوفى عام ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠م تقريبا) :

له عشرات الكتب الهامة فى معظم العلوم ، ومن أهمها كتابه فى علم المعادن واسمه « الجماهر فى معرفة الجواهر » تناول فيه بالدراسة المفصلة نحو ثلاثين معدنا أو حجرا أو خاما أو فلزا ، على أساس الخواص الفائقة من لون وشكل وصلادة وحكاكة ومكسر ووزن نوعى وشكل بلورى وشفافية وقدرة على كسر الضوء . وتعد تجاربه وأجهزته وحساباته لتعيين الوزن النوعى مثاراً للعجب ، وقد توصل منها إلى تقدير الأوزان النوعية لعدد من المعادن لا يتجاوز الفرق بينها وبين القيم الحديثة أجزاء قليلة من المائة أو العشرة على أكثر تقدير .

٥ — أبو على بن الحسين بن عبد الله ابن سينا

(المتوفى عام ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧م تقريبا) :

أكبر شهرته فى الطب . وله كتاب فى التاريخ الطبيعى اسمه « الشفاء » تناول فيه مسائل أصل الجبال والصخور والمعادن بريادة ووجهة نظر تقارب وجهة النظر الحديثة ؛ فتحت الطريق أمام جيولوجى عصر النهضة الأوروبية لتفهم هذه الموضوعات ، فاستعانوا بأفكاره ، بل استعاروا منها بحرية . وقد أشاد بريادته وتعمقه فى فى هذه المجالات أساطين مؤرخى علم الجيولوجيا فى الغرب ،أمثال لايل وجايكى وآدمز ، ويعد بن سينا أول من وضع الأسس الأولى فى علم الطبقات والرسوبيات والحركات الأرضية ،وفهم الزمن الجيولوجى . كما أنه أول من ألمع إلى حركات القارات وميكانيكية تحجر بقايا الأحياء ، ومغزى الحفريات

٦ — عمر العالم

(القرن الرابع الهجرى) العاشر الميلادى تقريبا) :

وهو شخصية تلتبس مع عمر الخيام المشهور ، ولم يتوصل المؤرخون إلى حسم هذا اللبس بعد . ومن أمتع الآثار الجيولوجية فى العصور الوسطى رسالة تنسب إليه بعنوان « تراجع البحار » ، وقد أثبت فيها من خلال ملاحظاته الحقلية ومقارنته خرائط عصره لمنطقة بحر قزوين بخرائط الفرس والهنود للمنطقة نفسها قبل ألفى سنة من زمانه ،[١] أن البحر كان يغمر المنطقة فى سالف الأزمان . وقد علق رائد الجيولوجيا الحديثة « تشارلس لايل » على الرسالة بأن « بالاس فى أواخر القرن الثامن عشر قد توصل من نفس المشاهدات إلى نفس الاستنتاج » . وتعتبر هذه الرسالة أول بادرة وردت فى علم الجغرافية القديمة (الباليوجغرافيا) والتدليل على حركات البحار بطريقة مبتكرة لم يسبق عمر العالم إليها أحد .

* * *

ومن علماء المرحلة الثانية — والمعروف منهم حتى الآن قلة على أى حال — نذكر :

١ — شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشى

(المتوفى عام ٦٥١هـ = ١٣٥٢م)

وأهم آثاره العلمية كتاب « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » ، وهو رسالة فى علم المعادن والخامات كثرت ترجمتها إلى اللغات الأوروبية ، وكثر التعليق العلمى عليها من الأوروبيين والعرب المحدثين المهتمين بعلم الجيولوجيا ، مما أثبت المنهاج العلمى الأصيل للتيفاشى فى دراسة المعادن والخامات ، وبيَّن التجديدات التى أحدثها فى أسلوب من سبقوه فى هذا المجال مما يرشحه لأن يكون أول من طوَّر دراسة علم المعادن نحو الأسلوب الذى اهتدى به رواد هذا العلم فى نهاية القرون الوسطى وبداية عصر النهضة ، وأسسوا به قواعده الحديثة ، وقد أثبتت هذه الدراسات أن التيفاشى أول من تنبه وتكلم عن ظواهر التشقق ، والمحصورات ، والتوأمية ، واختبار الشعلة . وأنه أول من حاول وضع نظريات فى أصل تكون الخامات . وقد أوضحت الدراسات كذلك براعة التيفاشى فى الوصف الدقيق[٢] ، وموهبته فى ابتكار المصطلحات الفنية فى وصف

الشكل البلّورى والتشقق ، والصلادة ، وإنكسار الضوء وتشتته ؛ وكذلك موهبته التصنيفية التى أشاد بها « موليه » الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، وتظهر فى وصفه للمعادن على أساس خواصها الفيزيائية والكيميائية ، وفصل كل مجموعة متشابهة فى ذلك على حدة . هذا فى الوقت الذى كان علماء المعادن فى أوروبا يصنفونها بحسب حروف الهجاء ، ولم يتركوا ذلك التصنيف الساذج إلا قرب زمن أجريكولا الملقب بأبى علم المعادن فى القرن السادس عشر.

٢ — عماد الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود القزوينى

(المتوفى عام ٦٨٢هـ = ١٣٨٢م) :

كان جغرافيا ورحالة وعالما بالتاريخ الطبيعى. وأشهر مولفاته «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » وبه باب عن الجغرافيا الطبيعية والجيومورفولوجيا ، وآخر عن الأحجار والمعادن . وقد ساق فى هذا الكتاب محاورات ممتعة بأسلوب مشوق ، وتنطوى على أفكار جيولوجية بخصوص حركات البحار ، وتبادل البر والبحر أماكنهما على مر الزمان .

٣ — أبو القاسم عبد الله بن على بن أبى طاهر الكاشانى

(القرن الثامن الهجرى = الرابع عشر الميلادى) :

كان متخصصا فى دراسة المعادن والأحجار وخصوصا خامات صناعة الخزف والمعادن التى تستخرج منها طلاءاته .

٤ — أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ساعد السنجارى المعروف بابن الأكفانى

(المتوفى عام ٧٤٩هـ = ١٤٤٨م) :

كان طبيبا متضلعا فى طب العيون واشتهر بهوايته العميقة للأحجار الكريمة إلى الحد الذى دفعه إلى تأليف كتاب متخصص فى علم المعادن باسم « نخب الذخائر فى أحوال الجواهر » يمتاز بدقة الوصف وعام المراجع .

أثر التراث الجيولوجى العربى فى نشأة الجيولوجيا الحديثة فى أوربا :

إن ما سبق هو ملخص لما أمكن التوصل إليه من إضافات العرب إلى علم الجيولوجيا فى عصور النهضة العلمية الإسلامية . وهو إذا لم يكن شيئًا مذكورًا بالنسبة لما استحدثوه فى الطب ، والكيمياء ، والفيزياء ، والفلك ، والرياضة ، وما كان له من أثر معروف فى تطور تلك

العلوم فى أوروبا إبان عصر النهضة. فإن ذلك يرجع إلى أن الجيولوجيا لم تتوطد أركانها بين العلوم الحديثة إلا عند مطلع القرن التاسع عشر، فلم يتسع الوقت ولم تتوفر الأسباب بعد لمؤرخى هذا العلم فى أوروبا أو الشرق للكشف عن جوانب أخرى لما أضافه العرب فيها، وأثره فى تطور هذا العلم فى أوربا فى عصر النهضة، ولكن سبيلنا إلى تقويم راهن لهذا التأثير يأتى من ناحيتين:

الأولى: من الأدلة المباشرة على استفادة علماء أوربا فى أواخر القرون الوسطى من الفكر الجيولوجى الإسلامى، وهى – على قلتها – واضحة فى كتب ألبرت الكبير، ورستورو داريزو فى القرن الثالث عشر الميلادى. ويقول الأول بنفسه فى كتبه إنه استقى كثيرا من معلوماته ونظرياته الجيولوجية من أعمال ابن سينا. وأما الثانى فقد كان كتابه «طبيعة العالم» محل دراسة مؤرخى علم الجيولوجيا الغربيين فى أوائل هذا القرن وأواسطه. وقد ثبت منها أنه قد استفاد الكثير من الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية.

وتأتى الناحية الثانية من الأدلة غير المباشرة التى تتركز فيما سقناه من كشف عن الكثير من التراث الجيولوجى الإسلامى، وتحليل علمى لما جاء فيه، يظهر سبق المؤلفين العرب والمسلمين عامة إلى أفكار جيولوجية كثيرة وأساليب علمية فنية نجد صداها واضحا فى كتابات الجيولوجيين الأوروبيين فى أواخر القرون الوسطى وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى. ولئن كان هؤلاء قد توصلوا إلى هذه الأفكار باستقلال فكرى تام عن المؤلفين العرب، أو كان أصحاب الأسماء المشهورة من بناة الجيولوجيا الحديثة أمثال ستينلا وأجريكولا وهاتون قد اطلعوا على التراث الجيولوجى الإسلامى عند إخوان الصفا وابن سينا والتيفاشى والقزوينى وغيرهم، فإن هذا لا ينقص من قدر العلم الإسلامى ولا من قدرهم، بل يزيد منهما معا. وإذا كانت علوم الطب والكيمياء، والفلك والرياضة وغيرها فى العصور الإسلامية الزاهرة قد ثبت تأثيرها بشكل قاطع فى تطور العلم الغربى الحديث حتى فجر عصر النهضة بل أواسطه، وكانت المسالك الحقيقية للفكر الجيولوجى الإسلامى إلى أوربا إبان عصر النهضة لم تتضح معالمها بعد – فإن ما سقناه من الأدلة غير المباشرة على ذلك نرجو أن يثير همم البحاث للتعرف تلك المسالك وتحقيقها.

محمد يوسف حسن
عضو المجمع

الوجود العربي في اللغة التركية

للأستاذ أحمد توفيق المدني

لأمتنا العربية الماجدة ، رصيد ضخم من اللغة والأدب ، هو وديعة الآباء والأجداد ، عند إخوتنا من الشعوب المجاورة لأقطار العربية ، أو القريبة منها ، كتركيا ، إيران ، وباكستان . وأرى . ترون معي ولا ريب ، إن البحث عن هذا الرصيد الثمين ، إنما هو من أقدس الواجبات المفروضة على الأديب العربي ، حتى تظهر لأجيالنا الحديثة مدى إشعاع العربية في البلاد المجاورة لنا ، ومدى ما أسهمت به لغتنا الحية الخالدة في نمو وعمق وشمول اللغات التي تكتنف بلادنا العربية .

إن البحث في هــذا الميدان لشيق ومثمر لملى . وإن الإنسان العربي المعاصر ليندهش عندما يبحث البحث الجدي العميق في لغات الترك والفرس والباكستانيين ، فتتجلى أمام عينيه الحقيقة الناصعة عن مدى إسهام اللغة العربية في تكوين هذه اللغات من جهة وعن مدى تغلغل الأدب العربي ، نثراً وشعراً ، بموازينه ، وقوافيه ، وسجعه بديعه ، في آداب تلك اللغات من جهة أخرى .

فإن كانت روابط الإسلام الحنيف تجمع بين شعوبنا برباط إلهي مقدس لا انفصام له أبداً . فإن روابط اللغة العربية توحّد كذلك صفنا . وتجانس بين طرائف تفكيرنا ومناهج عملنا . ولو أن جمعا من علماء وأدباء العرب ولجوا ميدان هذا البحث المثمر الطريف ، وتغلغلوا في شعابه ، لفتحوا بذلك أبواب تعاون جديد بيننا وبين إخوتنا في الدين . ولازدادت العربية بذلك ذيوعاً وانتشاراً .

لقد اشتغلت بهذا العمل ردحاً من الزمن ، بحسب الجهد والطاقة . وسماح أوقات العمل . واهتبلت فرصة وجودي سفيراً للجمهورية الجزائرية في قطري تركيا وإيران أولا ، ثم في بلاد الجمهورية الباكستانية أخيراً ، وفحصت فحصاً دقيقاً مختلف اللغى التي يتخاطب بها القوم في هذه القطع الغالية من البلاد الإسلامية ، فخرجت من ذلك البحث بنتيجة رائعة مذهلة : إن حوالى الربع من هذه اللغات مكون من كلمات عربية صحيحة فصيحة ، تستعمل بألفاظها ومعانيها في كلام الخاصة والعامة

سواء كان مكتوبا أو منطوقا . وتشمل هذه الكلمات العربية الغفيرة كل ميادين التفكير والتعبير ، بحيث إنها لوانحسرت عن تلك اللغة ، لأصبحت اللغة شلاء غير صالحة للتعبير ، ولاقادرة لها على ربط صلة التفاهم بين الناس .

وإنه ليسعدني ويشرفني أن أقدم هذا البحث المبتكر عن : الوجود العربي في اللغة التركية . وسأقفي على أثره ، إن يسر الله وسمح الأجل . ببحث آخر عن : الوجود العربي في اللغة الباكستانية . الأوردية ثم عن الوجود العربي في اللغة الإيرانية » راجياً أن يكون هذا البحث ذا فائدة لإمتنا وللغتنا . جديرة بالتسجيل والتنويه .

فلقد وضعت في مضابط بحثي ثمانية آلاف كلمة تركية جردت من بينها نحو الألفين من الكلمات العربية . أي مايعادل الربع من مجموعها . ثم اعتكفت على تلك الكلمات المجردة فرتبتها ترتيبا معجميا محكما . وكانت نتيجة ذلك ، هذا القاموس الوجيز الذي أضحى الآن بين يدي الدارسين .

ولي على هامش ذلك ملاحظات :

أولها : أن إخواننا الأتراك في غالبيتهم لايعلمون ان هذه الكلمات عربية ، بل يعتبرونها — إلا ماقل — من صميم لغة الترك ، وأسوق لكم على ذلك مثلا طريفا :

عندما تعين موعد اجتماعي برئيس جمهورية تركيا ، لتقديم أوراق اعتمادي ، جاءني رئيس تشريفات الدولة . يلقنني طريقة التقديم . وهي عندهم بسيطة جداً ولكنه قال لي في لهجة حازمة : هنالك أمر لا يمكن إطلاقا نسيانه أو التهاون فيه . وهو أنك يجب أن تقدم تحية لفرقة الحرس الجمهوري الذي تجده واقفا لاستقبالك ، وذلك بأن تقول له بصوت مرتفع ، كلمتين باللغة التركية الصحيحة ، وهو يحييك عنهما جماعياً فيجب أن تحفظ الكلمتين ولا تنساهما . وعلى كل فأنا سأكون إلى جانبك ، ألقنك إذا نسيت . قلت جاداً : سأحفظهما إن شاء الله ، وسأمرن لساني عليهما . نهات الكلمتين . قال لي هما : مرحباً عسكر فكتمت بكل صعوبة ضحكة كانت تترجرج في صدري ، وقلت : إن كانت اللغة التركية كلها على هذا المنوال ، فسأكون أفصح من يتكلمها .

وثانيها : إذا أنصت الإنسان إلى الأتراك وهم يتكلمون ، فإنه لايكاد يشعر بوجود هذه الكلمات العديدة من اللغة العربية في لسانهم ، ذلك لأنهم يفخمون بعض الحروف ويرققون بعضها بما يخرج الكلمة العربية عن مبناها الطبيعي ، ثم أنهم من جهة أخرى ، لاينطقون عدداً من الحروف العربية مثل : الثاء — والحاء — والخاء — والضاد — والظاء — والعين — والقاف — والواو . يستعملون مكانهما حرف

السين ، أو حرف الألف ، أو حرف الزاى أوحرف V الإفرنجى ذلك زيادةعن أنهم يستعملون فى لسانهم أحرفا لاوجودلها فى العربية مثل أحرف p —و U — و V —

لهذا ، فالباحث عن الكلمات العربية يجدها فى الكتابة التركيةواضحةجلية،على الرغم من استعمال الأتراك لمايدعونه منذ ثورتهم الثقافية أيام أتاتورك ، بالأحرف التركية وماهى فى الحقيقة إلاحروف لاتينية أدخل عليها تغيير غير منطقى . فحرف ينطق جيما مدغوماباب«دج»،وإذا كانت لهذا الحرف شارة سفلى ، فهو ينطق : تش وحرف G ينطق غينا. وحرف ينطق . وحرف ينطق شينا ، وحرف u ينطق ou .

لهذا ، ترون أننى رتبت هذا المعجم على ثلاثة أودية ، أضع الكلمة العربية أولا ، ثم أرسمها كما تكتب بالحروف التركية الجديدة .

وأضع أخيراً فى الوادى الثالث معناها الخاص ، إن كان معناها الاصطلاحى يخالف أويحدد المعنى العربى . وذلك قليل جداً .

وثالثها : أن الأتراك أنشأوا فى أول عهدهم بالثورة لجان تطهير ، غايتها إبعاد الكلمات الأجنبية عن لغتهم ، والاستعاضة عنها بكلمات من صميم الطورانية.ولقد اشتغلت تلك اللجان بحماس فى أول أمرها واستبعدت عدداً كبيراً من الكلمات الأجنبية ومنها كلمات عربية ، فما أذكره لكم بعد هذا من كلمات . يعتبر اليوم من صميم لغة الأتراك .

ورابعها —أننى لم أدخل فى بحثى أسماء الأعلام ، وهى عندهم عربية بنسبة ٩٠ من المائة كما لم أدخل كل المشتقات. وهى عديدة جداً .

وأخيراً ، ملاحظة تاريخية . عن تغلغل الكلمات العربية ضمن اللغة التركية. لقد كان الأتراك قوماً من البدائيين بوجه عام عندما جاءهم الإسلام الحنيف على يد الرواد الأولين . وجاءهم القرآن هدى ونوراً فأخذوا الكتابة عن العرب . وأخذوا العلم عن العرب . وأخذوا مبادئ الحضارة عن العرب .

ثم كان الاختلاط الوثيق الأول بين العرب والترك ، عندما استعمل العباسيون الجند التركى . وأفسحوا له المجال فى دولتهم . فاغترف الترك يومئذ من العربية وعلومها وآدابها الشيء الكثير ثم كان بعد ذلك ورود فيالق المماليك تترى على أقطار مصر والشام . وأخذت التركية تتوسع شيئاً فشيئاً بواسطة المدد العربى الواسع ، إلى أن كان القرن السادس عشر ، ودخل العرب كافة ضمن السلطنة العثمانية ، فزاد الالتحام والترابط بين الأمتين التركية والعربية .

فاللغة العربية وهى لغة الدين والعلم والأدب والحضارة لم تأخذ خلال هذا الالتحام شيئا من اللغة التركية ؛ اللهم إلا بعض الكلمات الإدارية ، على حين أخذ الأتراك من حيث يعلمون ومن حيث لايعلمون فيضامن لغة العرب . سد عجز لغتهم البدائية الصغيرة .

هذه ملاحظات أقدمها بين يدى عملى ، ولاأدعى الكمال .ولاأقول إننى بلغت الغاية . انما أحصائى هذا ؛ يمكن أن يعتبر أساساً لعمل جماعى ، تقوم به قلة من رجال العلم والأدب ، تجوس خلال مصطلحات العلوم والفنون المختلفة ، وتستخرج منها المدد العربى الكبير الذى يتخللها. إنما اعتقد أن النتيجة ستبقى نهائيا على حالها : إن ربع اللغة التركية مكون اليوم من كلمات عربية فصيحة .

حرف الألف

الكلمة	رسمها	معناها
إبعاد	Ibat	
أبدى	Ebedi	
ابراء	Ibra	اهداء — تقديم
ابوين	Ebeveyn	
اتحاف	Ithaf	
اتفاق	Ittifak	
آثار عتيقة	Asariatika	
اثبات	Ispat	
أثر	Eser	
اثناء	Esna	
اجتماعى	Igtimai	
اجداد	Ecdad	
اجراء	Icra	
اجنبى	Ecnebi	
احالة	Ihale	مزايدة عمومية
احباب	Ahbab	
احتكار	Ihtikar	
احتمال	Ihtimal	
احتراس	Ihtiras	طمع — رغبة
احتراز	Ihtiraz	
احتواء	Ihtiva	
احتياج	Ihtiaç	
احتياط	Ihtiat	

الكلمة	رسمها	معناها
احمق	Ahmak	
احوال	Ahval	
إخبار	Ihbar	
اختلاف	Ihtilaf	
اختلال	Ihtilal	
اختلاس	Ihtilas	
اختراع	Ihtira	
اختصاص	Ihtisas	
اختيار	Ihtiar	
اخطار	Ihtar	ملاحظة — تأكيد
اخراجات	Ihracat	صادرات
آخرة	Âhiret	
اخشاب	Ahsap	
أخلاق	Ahlâk	
أخلاقى	Ahlaki	
أخطبوط	Ahtapot	
أداء	Eda	
أداة	Edat	
أدب	Adab	
أدب معاشرة	Adabimuasarat	حسن السلوك
أدبى	Edebi	
أدبيات	Edebiat	
أديب	Edib	

الكلمة	رسمها	معناها
إدمان -	Idman	تمرين جسدى
ادراك	Idrak	
ادرار	Idrar	البول
ادخال	Ital	
ادخالات	Ithalat	واردات
ادم	Adam	الرجل
ادارة	Idare	
اذان	Ezan	
اذن	Izin	
أذية	Eziyet	
ارباب	Erbap	
أرض	Arz	
اراضى	Arazi	
ارتكاب	Irtikâp	
ارتفاع	Irtifa	
ارزاق	Erzak	
ازدحام	Izdiham	
ازجملة	Ezcumle	
أزلى	Ezeli	
أزمة	Ezme	
أساس	Esas	
أساسا	Esasen	
أسباب موجبة	Esbabimu-cibe	
أسف	Esef	
أسر	Esaret	

الكلمة	رسمها	معناها
أسير	Esir	
إسعاف	Isaf	
أسمر	Esmer	
اسكان	Iskan	
اسم	Isim	
إسهال	Isal	
استثناء	Istisna	
استشارة	Istişare	
استراحة	Istirahat	
استبداد	Istibdat	
استدعاء	Istıda	
استفادة	Istifade	
استخدام	Istihdam	
إستحكام	Istihkam	
استعفاء	Istifa	
استحصال	Istihsal	
استقامة	Istikamet	
استقبال	Istikbal	
استقلال	Istiklal	
استقرار	Istikrar	
استقراض	Istikraz	
استعمال	Istimal	
استهلاك	Istihlak	
استرحام	Istirham	
استيلاء	Istila	

الكلمة	رسمها	معناها
استيضاح	Istizah	
استهداف	Istihdaf	
استملاك	Istimlak	نزع الملكية
إسراف	Israf	
إسلام	Islam	
إسناد	Isnad	
استهزاء	Istihza	
استخبارات	Istihbarat	
إشارة	Işaret	
اشتراك	Iştirak	
اشغال	Işgal	
أشياء	Eşya	
إصابة	Isabet	
أصالة	Asalet	
أصناف	Esnaf	عامل يدوي ـــ تاجر
أصغر	Esgari	
أصلا	Asla	
اصول	Usul	
أصيل	Asil	
أصلى	Asli	
أطراف	Etraf	
اطفائية	Etfaiyet	
اعتبار	Itibar	
اعتدال	Itidal	
اعتزاز		

الكلمة	رسمها	معناها
اعتراف	Itiraf	
اعتناء	Itina	
اعتياد	Itiyat	
إعدام	Idam	
أعضاء	Aza	
أعظمى	Azami	اقصى ـــ اقصى سرعة
اكتساب	Iktisap	
اعلان	Ilân	
إعمار	Imar	
إغفال	Igfal	تحيل ـــ اعتبره مغفلا
إفادة	Ifade	
افتخار	Iftihar	
افتراء	Iftira	
آفة	Afet	
افراز	Ifraz	
إفساد	Ifsat	
إفشاء	Ifşa	
إفطار	Iftar	
إفراط	Ifrat	
أفق	Ufuk	
أفكار	Efkar	
إفلاس	Iflas	
أفيون	Afion	
إقامة	Ikamet	
إقتباس	Iktibas	

الكلمة	رسمها	معناها
إقتدار	Iktidar	
إقتراض	Iktiraz	
إقراض	Ikraz	
إقتصاد	Iktisat	
إقتصادى	Iktisadi	
أقرباء	Akraba	
إقناع	Ikna	
أكثر	Ekser	
أكثرية	Ekseriya	
إكرام	Ikram	
إكمال	Ikmal	
التصاق	Iltisak	
إلتفاف	Iltifaf	
إلتحاق	Iltihak	
التماس	Iltimas	
التهاب	Iltihab	
البتة	Elbet	
البسة	Elbise	
الحمد لله	Elhamdoü lillah	
الحاصل	Elhasil	
إلحاق	Ilhak	
إلغاء	IlGa	
ألم	Elem	
أليم	Elim	
الماس	Elmas	

الكلمة	رسمها	معناها
آلة	Alet	
إله	Ilah	
الله	Allah	
الاهى	Ilahi	
الأهيات	Ilahıyat	
إلهام	Ilham	
إلياف	Elyaf	
امتحان	Imtihan	
امتياز	Imtiaz	
أمان	Aman	
إمارة	Emare	
أمتعة	Emtea	
أمانة	Emanet	
أمام	Imam	
أما	Ama	
إمثال	Emsal	
إمداد	Imda	
إمحاء	Imha	
إملاء	Imla	
إمضاء	Imza	
إملاك	Emlak	
أمنية	Emniet	
أمير	Emir	
أمين	Amin	
انتحار	Intihar	

الكلمة	رسمها	معناها
إنتظار	Intizar	
إنتقال	Intikal	
إنتقام	Intikam	
إنتظام	Intizam	
إنحصار	Inhisar	اختصاص
إنصاف	Insaf	
إنضباط	Inzibat	طاعة — انقياد
انطباع	Intiba	
انطباق	Intibak	
إنفاذ	Infaz	انجاز
إنفلاق	Infilak	
انقاض	Enkaz	
انقباض	Inkibaz	
انقلاب	Inkilap	
انكشاف	Inkişaf	
إنشاء	Inşa	
إن شاء الله	Inşallah	
انسان	Insan	
إنكار	Inkar	
انكشاف	Inkisaf	

الكلمة	رسمها	معناها
أنفس	Enfes	
[اهانة]	Ihanet	
أهالى	Ahali	
اهتداء	Ihtida	اعتناق الإسلام
اهمال	Ihmal	
أهل	Ehil	
أهلية	Ehliet	
[أهلى]	Ehli	
أولا	Evvela	
أولاد	Evlat	
أوصاف	Evsafe	
أولوية	Evleviyet	
آية	Ayet	
ايجار	Icar	
ايضاح	Izah	
ايفاء	Ifa	
ايقاظ	Ikaz	
ايمان	Iman	
أيوه	Evet	

حرف الباء

الكلمة	رسمها	معناها
بابا	Baba	
بارود	Barut	
باكرة	Bâkir	
باطل	Batil	
بالخاصة	Bilhassa	
بثور	Basur	
بحث	Bahis	
بحر	Bahr	للأوزان الشعرية
بحرية	Bahriye	
بحران	Buhran	
بخار	Buhar	
بخت	Baht	
بداوة	Bedava	مجانا دون مقابل
بالدعاء	Beddua	لعنة
بدل	Bedel	
بدن	Beden	
براءة	Beraet	
برّاق	Barrak	
بركة	Bereket	
برتقال	Portakal	
بُرج	Burç	
بستان	Bostan	
بسطة	Beste	أغنية
بشرف	Peşrev	
بشرى	Beşeri	
بشرية	Beşeriyet	
بصيرة	Basiret	
[بطانية]	Battaniye	
بعض	Bazi	
بغبغان	Papagan	
بقال	Bakkal	
بقلة	Bakla	
بلاء	Belâ	
بلاغه	Balagat	
بلبل	Bülbül	
بلدية	Belediye	
بناءً عليه	Binaye-naleya	
بُنْية	Bunye	
بهار	Bahar	الربيع
بهارات	Baharat	
بهجة	Bahçe	الحديقة
بوغاز	Bogaz	
بيان	Bayan	
بياض	Bayaz	
بيرق	Bayrak	
[بيضى]	Beyzi	

حرف التاء

الكلمة	رسمها	معناها
تابوت	Tabut	
تاج	Taç	
تأثر	Teessur	
تأثير	Tesir	
تادية	Tedye	
تاريخ	Tarih	
تأجيل	Tecil	
تأسف	Teessüf	
تأسيس	Tessis	
تالى	Tali	ثانوى
تأليف	Telif	
تام	Tam	
تامين	Temin	
تأييد	Teyit	
تأخير	Tehir	
تبرع	Teberru	
تبريك	Tebrik	
تبليغ	Tebliĝ	
تبرئة	Tebriye	
تثبيت	Tesbit	
تجارة	Ticaret	
تجارى	Ticari	
تجانس	Tecanus	
تجاوز	Tecaüz	

الكلمة	رسمها	معناها
تجربة	Tecrube	
تجريد	Tecrit	
تجهيز	Teçhiz	
تجهيزات	Teçhizat	
تحديد	Tahdit	
تحريف	Tahrif	
تحريك	Tahrik	
تحصيل	Tahsil	
تحصيلات	Tahsilat	
تحف	Tuhaf	عجيب--بديع
تُحفية	Tuhafiye	محل بيع الملابس الداخلية
تحقيق	Tahkik	
تحقيقات	Tahkika	
تحقير	Tahkir	
تحكّم	Tahakkum	
تحكيم	Tahkim	
تحمل	Tahammül	
تحليل	Tahlil	
تحميل	Tahmil	
تحميل تخلية	Tahmiltahlyie	
تحويل	Tahvil	
تحويلات	Tahvilat	
تخت	Taht	
تخصيصات	Tahsisat	

الكلمة	رسمها	معناها
تخصيص	Tahsis	
تخليصية	Tahlisiye	[إنقاذ]
تخلية	Tahliye	
تخمر	Tahammür	
تخمين	Tahmin	
تخميني	Tahmini	
تدارك	Tedarik	
تداول	Tedavül	
تداوي	Tedavi	
تدبير	Tedbir	
تدريجا	Tedricen	
تدقيق	Tedkik	
تذكرة	Tezkere	
تراكم	Teraküm	
تربة	Turbe	
تربية	Terbiye	
ترتيب	Tertip	
ترجمان	Tercüman	
ترجيح	Tercih	
ترخيص	Terhis	
تردد	Tereddut	
ترصد	Tarassut	
ترضية	Tarziye	
ترفيع	Terfi	
ترفيه	Terfıh	

الكلمة	رسمها	معناها
ترك	Terk	
تركيب	Terkip	
تزوير	Tezvir	دسيسة
تساند	Tesanut	
تسبيح	Tespih	
تسجيل	Tescil	
تسكين	Teskin	
تسلم	Teslim	
تسلي	Teselli	
تسليم	Tesellum	
تسوية	Tesviye	
تشبث	Teşebbus	
تشبيه	Teşbih	
تشخيص	Teşhis	
تشريح	Teşrih	
تشكر	Teşekkur	
تشكيل	Teşkil	
تشريع	Teşri	
تشريعي	Teşrii	
تشريفات	Teşrifat	
تشهير	Teşhir	
تشويق	Teşvik	
تشييع	Teşyi	
تصادف	Tesadüf	
تصرف	Tasarruf	

الكلمة	رسمها	معناها
تصريح	Tasrih	
تصنيف	Tasnif	
تصويب	Tasvip	
تصوير	Tasvir	
تضمين	Tazmin	
تضييق	Tazyik	
تطبيق	Tatbik	
تظاهر	Tezahur	
تظاهرات	Tezahürat	
تعبير	Tabir	
تعجيل	Tacil	
تعديل	Tadil	
تعرض	Taarod	
تعريف	Tarif	
تعزية	Tazie	
تعطيل	Tatil	
تعظيم	Tazim	
تعليمات	Talimat	
تعمد	Taamüt	
تعميم	Tamim	
تعهد	Taahhud	
تعيين	Tayin	
تفتيش	Teftiş	
تفرقة	Tefrika	
تفريق	Tefrik	

الكلمة	رسمها	معناها
تفرعات	Teferruat	
تفسير	Tefsir	
تفصيلات	Tafsilat	
تقاصّ	Takas	
تقبل	Tekabul	
تقدم	Takaddüm	
تقدير	Takdir	
تقديس	Takdis	
تقسيط	Taksit	
تقسيم	Taksim	
تحقير	Tahkir	
تقوّت	Tekaut	المعاش
تقوية	Takviye	
تقويم	Takvim	
تقييد	Takyit	
تكامل	Tekamul	
تكثير	Teksir	
تكذيب	Tekzip	
تكرار	Tekrar	
تكاليف	Teklif	
تكميل	Tekmil	
تلافي	Telafi	
تلفظ	Telaffuz	
تلقّي	Telakki	
تمارض	Temaruz	

الكلمة	رسمها	معناها
تماس	Temas	
تمام	Tamam	
تماماً	Tamaman	
تمامية	Tamamiyet	
تمايل	Temayül	
تمتع	Temattu	
تمثال	Timsal	
تمثيل	Tamsil	
تمركز	Temerkuz	
تمساح	Timsah	
تمنى	Temenni	
تمييز	Temyiz	
تنبيه	Tenbih	
تنزه	Tenazzüh	
تنزيل	Tenzil	
تنزيلات	Tenzilat	
تنسيقات	Tensikat	
تنصيب	Tensip	مصادقة
تنقيد	Tenkid	
تناسل	Tenasül	

الكلمة	رسمها	معناها
تناسب	Tenasüp	
تنافس	Tenafus	
تنظيم	Tanzim	
تنوير	Tenvir	
تخريب	Tahrip	
تهلكة	Tehlike	
تهمة	Töhmet	
تواضع	Tevazu	
توبة	Töbet	
توجه	Teveccüh	
توجيه	Tevcih	
توديع	Tevdi	
توراة	Tevrat	
توزيع	Tevzi	
توسل	Tevessül	
توسيع	Tevsi	
توصية	Tavsiye	
توفيق	Tevfik	
توكل	Tevekkul	

حرف الثاء

الكلمة	رسمها	معناها
ثابت	Sabit	

الكلمة	رسمها	معناها
ثروة	Servet	

حرف الجيم

الكلمة	رسمها	معناها
جائز	Caiz	
جادّة	Cadde	
جاذبة	Cazibe	
جاسوس	Casus	
جاني	Cani	
جام	Cam	
جامع	Cami	
جاهل	Cahil	
جَبر	Cebir	
جبراً	Cebran	
جُثة	Ceset	
جدول	Cetvel	
جدي	Ceddi	
جُذام	Cüzam	
جرأة	Cüret	
جراحات	Cerahat	
جراح	Cerrahi	
جُرم	Cürum	
جريان	Cerean	
جزاء	Ceza	عقاب
جزئي	Cüzi	
جسارة	Cesaret	
جسم	Cisim	
جسور	Cesur	
جفاء	Cefa	

الكلمة	رسمها	معناها
جَلْب	Celp	
جلد	Cilt	
جلوة	Cilve	
جَماعة	Cemaat	
جُمعه	Cuma	
جملة	Cümla	
جمعية	Cemiet	
جمهورية	Cümhuriyet	
جنازة	Cenazet	
جناس	Cinas	
جناية	Cinayet	
جنّة	Cennet	
جنة	Cinnet	
جنس	Cins	
جنوب	Cenup	
جهاز	Cihaz	
جهة	Cihet	
جهالة	Cehalet	
جهنم	Cehennem	
جواب	Cevap	
جوار	Civar	
جوز	Ceviz	
جَوهر	Cevhar	
جَيب	Cep	

حرف الحاء

الكلمة	رسمها	معناها
حادث	Hadis	
حاشية	Haşiye	
حاصلة	Hasila	
حاصلات	Hasilat	
حاضر	Hazir	
حافظ	Hafiz	
حافظة	Hafiza	
حاكم	Hâkim	
حاكمية	Hakimiyet	
حكيم	Hakim	
حال	Hal	
حالا	Halâ	
حامض	Hamiz	
حاملة	Hamile	سيدة حامل
حامي	Hami	
حبّ	Hap	
حبس	Hapis	
حبوبات	Hububat	
حتى	Hatta	
حج	Hac	
حجرة	Hücra	
حجز	Haciz	
حجم	Hacim	
حاد		

الكلمة	رسمها	معناها
حدّة	Hiddet	
حدود	Hudut	
حُرّ	Hur	
حرام	Haram	
حرارة	Hararet	
حرب	Harp	
حرص	Hirs	
حرف	Harf	
حركات	Harekat	
حركة	Hareket	
حُرمة	Hurmet	
حريص	Haris	
حريف	Herif	شعبي ــ رجل ما
حرية	Hurriyet	
حزن	Huzun	
حزين	Hazin	
حس	His	
حساب	Hesap	
حسّاس	Hassas	
حسد	Haset	
حسرة	Hasret	
حصاد	Hasa t	
حصار	Hasar	حصن
حصّة	Hisse	

تابع حرف الحاء

الكلمة	رسمها	معناها
حضور	Huzur	
حظ	Haz	
حقارة	Hakaret	
حق	Hak	
حقانية	Hakiyet	
حقوق	Hukuk	
حقوقى	Hukuki	
حقيقة	Hukikat	
حقيقةً	Hakikaten	
حقيقى	Hakikei	
حكاية	Hikaye	
حكم	Hakam	
حُكم	Hüküm	
حُكمى	Hukmi	
حكيم	Hakim	
حكومة	Hukumet	
حل	Hal	
حلقه	Halka	
حلاج	Hallaç	
حلال	Helal	

الكلمة	رسمها	معناها
حلوة	Helva	
حمّال	Hammal	
حمالية	Hamaliye	
حماية	Himaye	
حمْل	Haml	
حمام	Hammam	
حمول	Hamul	
حوض	Havuz	
حميّة	Hamiyet	
حوادث	Havadis	
حوّل	Havale	
حياة	Hayat	حيوى
حياتى	Hayati	
حيثية	Haysiyet	
حيوان	Hayavan	
حيوانى	Hayvan	
حيران	Hayran	مندهش ـ متعجب
حيران	Hayran	
حيرة	Hayret	
حيلة	Hile	

حرف الخاء

الكلمة	رسمها	معناها
خائن	Hain	
خادم	Hadim	
خادمة	Hademe	
خارج	Haric	
خان	Han	
خاص	Has	
خاصة	Hassa	
خاطر	Hatir	
خاطرة	Hatira	
خاطرات	Hatirat	
خالة	Hala	
خالص	Halis	
خالق	Halik	
خاص	Has	
خام	Ham	
خبر	Haber	
خرابة	Harabe	
خُراب	Harap	
خُرافة	Hurafe	
خرج	Harc	
خزين	Hazine	
خرطوم	Hortum	
خسارة	Hasar	
خسيس	Hasis	بخيل
خشين	Haçin	

الكلمة	رسمها	معناها
خارجى	Harici	
خارجية	Haricie	
خارطة	Harita	
خارقة	Harika	خارق للعادة
خصم	Hasim	
خصوصية	Hususiyet	
خصوصى	Hususi	
خطأ	Hata	
خطاب	Hitap	
خطابة	Hitabet	
خُطبة	Hutbe	
خطاط	Hattat	
خطيب	Hatip	
خفيف	Hafif	
خلاء	Hela	المرحاض
خلاصة	Hulassa	
خلط	Halita	أخذ المعادن
خليف	Halef	
خلق	Halk	الأمة ـ الشعب
خنجر	Hançer	
خندق	Hendek	
خيال	Hayal	
خيالى	Hayali	
خيانة	Hiyanet	
خيار	Hiyar	
خير	Hayir	

حرف الدال

الكلمة	رسمها	معناها
دائرة	Daire	
دائمی	Daimi	
دائما	Daima	
داخل	Dahil	
داخلی	Dahili	
داخلية	Dahiliye	
داهية	Dahi	عبقری
درجة	Dereçe	
درس	Ders	
درهم	Dirhem	
دستور	Düstür	
دعاء	Dua	
دعم	Deyim	
دعوة	Davet	
دعوتية	Davatiye	بطاقة الدعوة
دعوی	Dava	
دفتر	Defter	
دفعة	Defa	
دفن	Defin	

الكلمة	رسمها	معناها
دفين	Defin	كنز
دقة	Dikkat	
دقيقة	Dakika	
دليل	Dalil	
دمار	Damar	غضب — عرق
دملة	Damla	
دنيا	Dunya	
دهاء	Deha	عبقرية
دهشة	Dehşet	رعب — فزع
دواء	Deva	
دوام	Devam	
دورة	Devre	
دورية	Devriye	
دولاب	Dolap	
دولة	Devlet	
ديانة	Dianet	
دينی	Dini	
ديوان	Divan	

حرف الذال

الكلمة	رسمها	معناها
ذات	Zat	
ذاتی	Zati	
ذروة	Zirve	
ذرية	Zurriyet	
ذكاء	Zeka	
ذكر	Zikir	

الكلمة	رسمها	معناها
ذكي	Zeki	
ذهن	Zihin	
ذهنية	Zihniyet	
ذهول	Zühul	
ذيل	Zeyil	
ذوق	Zevk	

حرف الراء

الكلمة	رسمها	معناها
رابطة	Rabita	
رأسالمال	Rasülmal	
رأى	Rey	
رائج	Raic	
راحة	Rahat	
راصد	Rasit	
راضى	Razi	
راهب	Rahip	
راهبة	Rahibe	
رئيس	Reis	
رَب	Rap	
ربّي	Rabbi	
رتبة	Rutbe	
رجاء	Rica	
رَحم	Rahim	
رحمة	Rahmet	
رخصة	Ruhsat	
رد	Ret	
رذالة	Razalet	فضيحة
رسالة	Risale	
رسام	Ressam	
رسم	Resim	
رسمى	Resmi	
رسمى البسة	Resmielbise	

الكلمة	رسمها	معناها
رشوة	Ruşvet	
رشيد	Recid	
رَصد	Rasat	
رِضى	Riza	
رطوبة	Rutubet	
رعاية	Riayet	
رغبة	Ragbet	
رُغما	Rogmen	
رف	Raf	
رِفاه	Rafah	
رفقة	Rafakat	
رقابة	Rekabet	مزاحمة
رقّاص	Rakkas	
رقاصة	Rakkase	
رمضان	Ramazan	
رَهن	Rahin	
روح	Ruh	
روحانى	Ruhani	
روحى	Ruhi	
رؤيا	Rua	
رياء	Riya	
رياضى	Riyazi	
رياضية	Riazia	

حرف الزين

الكلمة	رسمها	معناها
زجاجية	Zucacia	
زراعة	Ziraa	
زراعى	Zirai	
زفت	Zift	
زقوم	Zukkim	سم
زمان	Zaman	
زمرة	Zumre	
زمرد	Zumurt	
زناء	Zina	

الكلمة	رسمها	معناها
زنجى	Zinci	
زوال	Zeval	
زوالى ساعة	Zevali Saat	
زور	Zor	صعب — عسير
زيادة	Ziade	
زيارة	Ziaret	
زيت	Zeytin	
زيتونى	Zeytouni	
زيتون	Zeytoun	
زينة	Ziyenet	

حرف السين

الكلمة	رسمها	معناها
سابق	Sabik	
سابقة	Sabika	
ساعة	Saat	
ساحة	Saha	
ساحل	Sâhil	
سافل	Safil	
ساقط	Sakit	
ساكن	Sakin	
سالم	Salim	
سبب	Sebed	
سببية	S›bebiet	
سجادة	Seccade	

الكلمة	رسمها	معناها
سجل	Sicil	
سجية	Secia	
سحر	Sihir	
سر	Sir	
سراب	Serad	
سراج	Serac	
سطر	Satir	
سطح	Sath	
سطحى	Sathi	
سعادة	Saadet	
سفالة	Sefalet	بؤس — شقاء
سفاهة	Sefahat	دعارة — سوء السيرة

الكلمة	رسمها	معناها
سفارة	Sefaret	
سفر	Sefer	
سفرة	Sofra	
سفسطاء	Safsata	
سفير	Sefir	
سفيه	Sfeih	
سقوط	Sukut	
سكوت	Sukut	
سكون	Sükünet	
سلاح	Silah	
سلالة	Sulale	
سلسلة	Silsile	
سلطان	Sultan	
سلطنة	Saltana	
سماء	Sem	
سلام	Selam	
سمت	Semt	
سمسار	Simsar	

الكلمة	رسمها	معناها
سلامة	Selamet	
سماوى	Semavi	
سَنة	Sene	
سُنّة	Sünnet	
سُنبل	Sumbul	
سَند	Senet	
سؤال	Sual	
سوء استعمال	Suiistimal	
سَوْداء	Sevda	حب ـ غرام
سور	Sur	
سوق	Sevn	
سياحة	Seyahat	
سيّاح	Seyah	
سياسة	Siyaset	
سياسى	Siassi	
سيّار	Seyar	
سَير	Seyir	
سيرة	Sira	

حرف الشين

الكلمة	رسمها	معناها
شان	Şan	
شاعر	Şair	
شامل	Şamil	
شاهد	Şahit	
شاهقه	Şahika	
شائعة	Şayia	

الكلمة	رسمها	معناها
شبكة	Şebeke	
شبهة	Şuphe	
شجرة	Şeceir	شجرة الأصول
شدة	Şiddet	
شراب	Şarap	خمر
شرح	Şerh	

الكلمة	رسمها	معناها
شرط	Şart	
شرف	Şeref	
شرق	Şark	
شركة	Şirket	
شرير	Şerir	
شريط	Şerit	
شخص	Şahis	
شخصية	Şahsiet	
شخصي	Şahsi	
شعر	Şiir	
شعشعة	Şasaa	
شفاء	Şifa	
شفاعة	Şefaat	
شفّاف	Şeffaf	
شفقة	Şefkat	
شفق	Şafak	
شفاها	Şifahen	
شفاهي	Şifahi	
شكاية	Şikahyet	
شكر	Şeker	
شكل	Şekil	
شلاّل	Şellal	
شمال	Şimal	
شمسية	Şemsiya	
شمعدان	Şamdan	
شمول	Şümul	
شهادة	Şahadet	
شهواني	Şehvani	
شهوة	Şehvet	
شهيد	Şehit	
شوق	Şevk	
شورى	Şura	
شيء	Şey	
شيطان	Şeytan	

حرف الصاد

الكلمة	رسمها	معناها
صابون	Sabun	
صاحب	Sahip	
صافي	Safi	
صباح	Sabah	
صبر	Sabir	
صحبة	Sohbet	محادثة
صحة	Sihhat	
صحّي	Sihhi	
صحية	Sihhiye	
صحن	Sahan	
صحيح	Sâhi	
صحيفة	Sahife	

الكلمة	رسمها	معناها
صداقة	Sa dakat	
صدقة	Sadaka	
صراحة	Saraha	
صرّاف	Sarraf	
صرف	Sirf	
صرفية	Sarfiet	
صريح	Sarih	
صفاء	Safa	
صُفّة	Sofa	
صفحة	Safha	طوْر
صلاحية	Salahiet	
صلح	Sulh	
صمغ	Zamk	
صميم	Samimi	
صميمية	Samimiet	
صناعة	Sanat	
صناعى	Sinai	
صنف	Sinf	
صنعة	Sanaat	
صواب	Sevap	
صيفية	Sayfie	

حرف الضاد

الكلمة	رسمها	معناها
ضابط	Zabit	
ضابطة	Zabita	
ضائع	Zai	
ضدية	Ziddiet	
ضرب	Darb	
ضرب مثل	Darbi mesel	
ضرورة	Zaruret	
ضرورى	Zaruri	
ضعيفه	Zafiat	ضعف
ضعيف	Zaif	
ضمنا	Zimnen	
ضمير	Zamir	
ضياع	Zia	
ضيافة	Ziafet	

حرف الطاء

الكلمة	رسمها	معناها
طابع	Tabi	
طابية	Tabia	
طاقة	Takat	
طالع	Tâli	سعد ـ حظ
طالب	Talip	راغب
طالب	Talebe	
طائفة	Tayfa	
طب	Tip	
طبابة	Tababet	
طباشير	Tebeşir	

الكلمة	رسمها	معناها
طبع	Tabi	
طبق	Tabac	
طپق	Tipki	
طبقة	Tabaka	
طبقي	Tepki	
طبقى	Tipki	
طبيب	Tabib	
طبيعة	Tabiat	
طبيعي	Tabii	

الكلمة	رسمنا	معناها
طرز	Tarz	
طرح	Tarh	
طرف	Taraf	
طريقة	Tarikat	
طلسم	Tilsim	
طمع	Tamah	
طوفان	Tufan	
طيارة	Tayyare	

حرف الظاء

الكلمة	رسمها	معناها
ظالم	Zalim	
ظاهرى	Zahiri	
ظرافة	Zafe	
ظرف	Zarf	
ظريف	Zarif	

الكلمة	رسمنا	معناها
ظفر	Zafer	
ظلم	Zulum	
ظلمة	Zulma	
ظن	Zan	

حرف العين

الكلمة	رسمها	معناها
عائدات	Aidat	
عائلة	Aile	
عاجز	Aciz	
عاجل	Âcil	
عادة	Âdet	
عادى	Âdi	
عادل	Adil	
عارى	Ari	
عاصى	Asi	

الكلمة	رسمنا	معناها
عارضة	Âriza	صعوبة ـ حادث
عافية	Afiyet	
عاقبة	Akibet	
عاقل	Akil	
عاقلى	Akili	
عالم	Âlem	
عالم	Âlim	
عامة	Amme	
عامل	Amele	

الكلمة	رسمها	معناها
عامل	Âmil	موزع بريد-معاون
عبادة	Ibadet	
عبرة	Ibret	
عبث	Abes	
عجائب	Acayip	
عجلة	Acele	
عجمی	Acemi	
عجوز	Acuze	
عدالة	Adalet	
عدس	Adese	
عدلی	Adli	
عدلية	Adliye	
عذاب	Azap	
عربة	Araba	
عربی	Arabi	
عرض	Arz	
عرضحال	Arzuhal	
عرفة	Arafa	
عزر	Azar	
عزل	Azil	
عزم	Azim	
عزيز	Aziz	
عسكر	Asker	
عسكری	Askeri	
عشق	Aşk	

الكلمة	رسمها	معناها
عشقنة	Aşkina	الفناء فى الله
عصب	Asap	
عصبی	Asabi	
عصبية	Asabiy eti	
عصر	Asir	
عصری	Asri	
عطش	Ateş	حرارة التهاب
عطف بيانی	Atifbeani	
عضو	Uzi	
عضوی	Uzvi	
عضوية	Uzviet	
عفة	Iffet	
عقار	Akar	
عقد	Akit	
عقرب	Akrep	
عقلی	Akli	
عقم	Akim	
عقيدة	Akide	
عكسا	Aksin	
عكس	Akis	
عكسی	Aksi	
علاء	Âlâ	حسن جدا
علاقة	Alaka	
علامن سما	Alaimin sema	قوس قزح
علامة	Alama	

الكلمه	رسمها	معناها
علجی	Alci	الجص
علنی	Aleni	
علیه	Aleyh	ضده
عملی	Ameli	
عملیات	Amaliyat	
عمودی	Amudi	
عمومی	Umumi	
عمومیة	Umumiyeh	
عنبر	Ambar	
عنعنة	Anane	

الكلمة	رسمها	معناها
عنصر	Unsur	
عنوان	Unvan	
عوام	Avam	
عودة	Avdet	
عیار	Ayar	
عیّاش	Ayyaş	سکیر
عیب	Ayip	
عینا	Aynen	
عینه	Aina	نظارة — مرآة
عینی	Ayni	

حرف الغين

الكلمة	رسمها	معناها
غازی	Gazi	
غائب	Gayip	
غایة	Gayet	
غبطة	Gipta	
غذاء	Gida	
غذائی	Gidayi	

الكلمة	رسمها	معناها
غرض	Garaz	
غریب	Garip	
غزال	Gusel	جمیل ـ حسن
غصب	Gasp	
غنیمة	Ganimet	
غیرة	Gayret	

حرف الفاء

الكلمة	رسمها	معناها
فاتح	Fatih	
فاجع	Feci	
فاجعة	Facia	
فاحش	Fahiş	
فاحشة	Fahişe	امرأة بغي
فار	Far	

الكلمة	رسمها	معناها
فاصلة	Fasila	
فاعل	Fail	ممثل ـ مؤلف
فأل	Fal	
فانی	Fani	
فائدة	Faida	
فتح	Feth	

معناها	رسمها	الكلمة
	Fitik	فتق
	Fitne	فتنة
	Fitil	فتيل
	Fuceten	فجأة
دعارة	Fuhuş	فحوش
	Fahri	فخرى
	Fida	فداء
	Firar	فرار
	Feraset	فراسة
	Feragat	فراغ
العدول عن أمر-تنازل	Feragat	فرغات
	Ferahi	فرح
	Fert	فرد
	Ferdi	فردى
	Firsa	فرصة
واجب - افتراض	Farz	فرض
	Farazi	فرضي
	Faraziye	فرضية
	Feri	فرعى
	Fark	فرق
	Firka	فرقة
	Feriat	فرية
رشوة تآمر	Fesat	فساد
	Feza	فضاء
	Fazla	فضلة
	Fil Hakika	في الحقيقة

معناها	رسمها	الكلمة
	Fazilet	فضيلة
	Fuzuli	فضولى
	Fitri	فطرى
	Faal	فعّال
	Faaliyet	فعالية
	Fiil	فيعل
	Fiilen	فعلا
	Fiili	مغلى
	Fil	فيل
فقير	Fukara	فقراء
	Fakat	فقط
من أتباع الصوفية	Fakir	فقير
	Fikir	فكر
	Fikra	فكرة
واحد من عامة الناس	Falanfilan	فلان فيلان
	Felec	فالج
	Felek	فلك
	Felsefe	فلسفة
	Felsefi	فلسفى
قبيح - مريض	Fena	فناء
	Fener	فنار
	Fen	فن
	Fenni	فنّى
	Fevkalâde	فوق العادة
	Fiat	فئة
	Eeylesof	فيلسوف

حرف القاف

الكلمة	رسمها	معناها
قابل	Kabil	
قالب	Kalip	
قابلية	Kabiliye	
قاتل	Kaatil	
قاطع	Kati	صارم - عنيف
قاطع	Kati	نهائى
قاعدة	Kaida	
قافية	Kafiye	
قافلة	Kafilet	
قانع	Kani	
قاقون	Kanon	
قانون	Kanun	آله موسيقية
قباحه	Kabahat	
قبّة	Kubbe	
قبر	Kabir	
قبض	Kabiz	إمساك
قبلة	Kibla	
قبلما	Kaplama	الشيىء
قبول	Kabul	
قبيلة	Kabile	
قتل	Katil	
قدح	Kadeh.	
قطر	Kutur	
قطعة	Kita	

الكلمة	رسمها	معناها
قدر	Kadar	على قدرما
قدر	Kader	حادث
قدرة	Kudret	
قدم	Kıdam	
قرار	Karar	
قرآن	Kur‘an	
قربان	Kurban	
قرنفل	Karanfil	
قرعة	Kur‘a	
قرمزى	Kirimizi	
قسط	Kesit	
قسم	Kesim	
قسمه	Kismet	حظ - نصيب
قسمة	Kesme	من الاقتسام
قصّاب	Kasap	
قصبة	Kasaba	
قصد	Kait	
قصدا	Kasten	
قضاء	Kaza	
قطران	Katran	
قطار	Kitar	
قطب	Kutup	
قنطار	Kintar	
قهر	Kahir	

الكلمة	رسمها	معناها
قفا	Kafa	
قُفة	Kufe	
قفص	Kafes	
قلب	Kalp	
قلبُ	Kalp	قلب الحقائق
قلعة	Kale	
قلم	Kalam	
قمار	Kumar	
قماش	Kumaş	
قناعة	Kanaat	
قنديل	Kindil	

الكلمة	رسمها	معناها
قهوة	Kahve	
قوة	Kuvvet	
قوس	Kavis	
قياس	Kias	
قيافة	Kiyafet	
قيامة	Kiamet	
قيطان	Kaytan	
قيى	Kay	
قيد	Kayit	
قيمة	Kiyimet	

حرف الكاف

الكلمة	رسمها	معناها
كابوس	Kabus	
كاس	Kâs	
كاشف	Kaşif	
كاغط	Kagit	
كافى	Kafi	
كاهن	Kahin	
كبار	Kibar	أعيان القوم
كبيرٌ	Kipir	
كبريت	Kibrit	
كتاب	Kitap	

الكلمة	رسمها	معناها
كتابة	Kitabe	
كتان	Keten	
كثافة	Kesafet	
كثيف	Kesif	
كذا	Keza	
كراء	Kira	
كرسى	Kürsü	
كسر	Keir	من الكسور العشرية
كشف	Keşif	
كفّارة	Keffaret	

الكلمة	رسمها	معناها
كفالة	Kefalet	
كفاية	Kifayet	
كفر	Kufur	
كفن	Kefen	
كفيل	Kefil	
كفتة	Kofte	
كلفة	Kulfet	
كلمة	Kelime	

الكلمة	رسمها	معناها
كمان	Keman	
كمية	Kemiet	النشوة الخفيفة
كنية	Kunne	
كهانة	Kehainet	
كيف	Keyif	
كيفية	Keyfiet	
كيمياء	Kimya	

حرف اللام

الكلمة	رسمها	معناها
لائحة	Layiha	
لازم	Lazim	
لاحقة	Lahika	
لائق	Layik	
لحام	Lehim	
لذة	Lezzet	
لزوم	Luzum	
لطفا	Lutfen	
لطيف	Latif	
لطيفة	Latife	فكاهة ــ نكتة

الكلمة	رسمها	معناها
لعنة	Lânet	
لغة	Lugat	قاموس
لقب	Lakap	
لقمة	Lokma	
لكن	Lakin	
لهجة	Lahce	
لوحة	Levha	
لياقة	Liakat	
ليف	Lif	
ليمون	Limon	

حرف الميم

الكلمة	رسمها	معناها
ما بعد	Mabait	
مأتم	Matem	
ماجرى	Macera	حادث
مأذون	Mezun	

الكلمة	رسمها	معناها
ماشاءالله	Maşallah	
ماعدا	Maada	
مال	Mal	
مال صاحبي	Mal sahibi	صاحب المال

الكلمة	رسمها	معناها
مالك	Malik	
مالية	Maliye	
مالى	Mali	
مأمور	Memur	
مانع	Mani	
ماهية	Mahiet	
ماهر	Mahir	
مائى	Mayi	
مبادلة	Mübadele	
مبارك	Mübarek	
مباشر	Mübşaer	
مبالغة	Mübalaga	
مبايعة	Mübayaa	صفقة بيع
مبتذل	Müptezel	
مبتلى	Muptela	
مبذول	Mebzul	كثير
مبعوث	Mabus	نائب فى المجلس
مبلغ	Mablağ	
مبهم	Muphem	
متاركة	Mutereke	هدنة
متانة	Metanet	
متأثر	Müteessir	
متاع	Meta	
متجانس	Mütecanis	
متجاوز	Mütecaviz	
متحرك	Mute Harrik	
متخصص	M tehassis	
متردد	Mütereddit	
مترجم	Mütercim	
متروك	Metrük	
متشبث	Müteşebbis	
متعقب	Müteakip	
متعصب	Mütaassip	
متعلق	Müteallik	
متعهد	Müteahhit	
متفكر	Mütefekkir	
متفق	Müttefik	
متقابل	Mütekabil	
متقاعد	Mutekait	
متمادى	Mutemadi	
متمدين	Mutema diyen	
متناسب	Mutenasip	
متين	Metin	
مثال	Misal	
مثبت	Müsepet	
مثلا	Mesalâ	
مجادلة	Mucadele	حرب — معركة
مجاز	Mecaz	
مجال	Mecal	
مجانا	Meccanen	

الكلمة	رسمها	معناها
مجبر	Mucbir	
مجبور	Mecbur	
مجبورية	Mecburitt	
مجرى	Mecra	
مُجلّد	Mücellit	
مجلس	Meclis	
مجموعة	Mecmua	
مجهز	Mucehhez	
مجهول	Meşhul	
مجيد	Mucit	مخترع
محارب	Muharip	
محاربة	Muharebe	
محاسب	Muhasebe	
محاسبة	Muhasebat	
محاصرة	Muhassara	
محاورة	Muhavere	
محافظة	Muhafaza	
محافظ	Muhafiz	
محاكمه	Muhakeme	
محبة	Muhabbet	
محبوس	Mahpus	
محتاج	Muhtaç	
محترم	Muhtarem	
محتشم	Muhtaşem	
محتكر	Muhtekir	

الكلمة	رسمها	معناها
محتمل	Muhtamel	
مُحتَوَى	Muhteva	
محتوى	Muhtevi	
محدود	Mahdut	
محجوب	Mahcup	متواضع
محجوبية	Mahcubiet	التواضع
محجوز	Mahcuz	
محرر	Muharrir	
محرك	Muharrik	
محروقات	Mahrukat	
محرم	Mahrem	
محروم	Mahrüm	
محزون	Mahzun	
محسوس	Mahsus	
محصول	Mahsul	
محظور	Mahzur	
محفظة	Mahfaza	
محفوظ	Mahfuz	
محقق	Muhakkak	
محكم	Muhkam	
محكمة	Mahkeme	
محكوم	Mahküm	
محلول	Mahlul	
محل	Mahal	
محلة	Mahalle	

الكلمة	رسمها	معناها
محلّي	Mahalli	
محو	Mahv	
محور	Mihver	
محيط	Muhit	
مخابر	Muhabir	
مخابرة	Muhabere	
مخاطب	Muhatap	
مخاطرة	Muhatara	
مخالف	Muhalif	
مخالفة	Muhalefet	
مخبر	Muhbir	
مختار	Muhtar	حر — مستقل
مختار	Muhtar	عمدة قرية
مختص	Muhtasar	
مختلف	Muhtalif	
مخترع	Muhteri	
مخزن	Mağaza	
مخلوق	Mahluk	
مخيلة	Muhayyle	
مداخلة	Mudahale	
مدافع	Müdafi	
مدافعة	Müdafaa	
مدير	Müdür	
مدة	Müddet	
مدّعي	Müddei	
مدعي عمومي	Muddeium umu	
مدّ	Met	
مدخل	Methal	
مدني	Medeni	
مدنية	Medeniyet	
مدهش	Muthiş	مرعب — مفزع
مدّ وجزر	Medducezir	
مديح	Medih	
مذاكرة	Müzakere	
مذبحة	Mezbaha	
مذكور	Mezkür	
مذهب	Mezhep	
مرائي	Müraî	
مراجعة	Muracaat	
مراسم	Merasim	
مرام	Meram	
مراقب	Murakip	
مراقبة	Murakabe	
مربّية	Murabbia	
مرتب	Murattip	
مرتبة	Mertebe	
مرتجع	Murteci	رجعي
مرجان	Mercan	
مرجع	Merci	
مرحبا	Merhaba	

الكلمة	رسمها	معناها
مرحلة	Merhale	
مرحمة	Merhamer	
مرحوم	Merhum	
مرخص	Murahhas	مندوب — مفوض
مرعى	Mer'i	
مرعى	Mer'a	
مرفه	Mureffeh	
مركب	Murekkeb	
مركز	Merkez	
مركزى	Merkezi	
مرمر	Mermer	
مرمى	Mermi	قنبلة — قذيفة
مروءة	Muruvvet	
مزاج	Mizac	
مزاح	Mizah	
مزاد	Merat	
مزار	Mezar	
مزايدة	Muzayede	
مزراق	Mezrak	
مزمن	Muzmin	
مزور	Müzevir	
مزية	Meziet	
مسابقة	Müsabaka	
مساحة	Mesaha	
مساعد	Müsait	

الكلمة	رسمها	معناها
مساعدة	Musaade	
مسافة	Mesafe	
مسافر	Misafir	ضيف — زائر
مسألة	Mes'ele	
مسامحة	Müsamaha	
مساوات	Müsavat	
مساوى	Musavi	
مستبد	Mustabit	
مستثنى	Müstesna	
مستحصل	Müstahsil	
مستحكم	Müstahkem	حصن
مستخدم	Müstahdem	
مستريح	Müstarih	
مستشار	Müştasar	
مستشرق	Müsteşrik	
مستعجل	Müstacel	
مستعجلية	Müstaceliyet	
مستعمل	Müstamel	
مستقبل	Müstakbel	
مستقل	Mustakil	
مستقيم	Müstakim	
مستملك	Müstemlik	مستعمرة
مستند	Müstanit	
مستهجن	Müstahcen	
مستهلك	Müstahlik	

الكلمة	رسمها	معناها
مسجد	Mescit	
مسرف	Müsrif	
مسعود	Mesut	سعيد — محظوظ
مسك	Misk	
مسكرات	Muskirat	
مسكن	Mesken	
مُسكّن	Musekkin	
مسكون	Meskun	
مسجل	Müseccel	
مسلم	Müslüman	
مسلك	Meslek	
مسهل	Müshil	
مسؤول	Mesul	
مسؤولية	Mesuliyet	
مسودة	Musvedde	
مشاهد	Müşahit	
مشاهدة	Muşahede	
مشاور	Müşavir	
مشاورة	Müşavara	
مشربة	Maşrapa	
مشترك	Muşterek	
مشتري	Müşteri	
مشخّص	Muşahas	
مُشرّف	Muşerref	
مشروع	Meşru	

الكلمة	رسمها	معناها
مشعلة	Meşale	
مشغول	Meşâul	
مشكل	Müşkül	
مشهود	Meşhut	
مشهور	Meşhur	
مشؤوم	Meş'um	
مصادرة	Musadere	
مصادمة	Musademe	
مصالحة	Musalaha	
مصدر	Mastar	
مصراع	Mesra	
مصرف	Masraf	
مصون	Masun	
مصيبة	Musibet	
مضاف	Muzaf	
مضبطة	Mazbata	
مضر	Muzir	
مطابق	Mutabik	
مطابقة	Mutabakat	
مطالعة	Mutalaa	
مطبعة	Matbaa	
مطبوع	Matbu	
مطبوعات	Matbuat	
مطرح	Matrah	قاعدة الضرائب
مطرود	Matrut	

الكلمة	رسمها	معناها
مطلق	Mutlak	
مطلقا	Mutlaka	
مطلوب	Matlup	
مظنون	Maznon	
مظفر	Muzaffer	
مع التاسف	Maatteessuf	
معادل	Muadil	
معاذ الله	Maazalla	
معارف	Maarif	
معاش	Maaş	
معاشرة	Muaşeret	
مُعاصر	Muassir.	
معافية	Muafiete	
معاملة	Muamele	
معاهدة	Muahede	
معاون	Muavin	
معاين	Muayen	
معبد	Mabet	
معبود	Mabut	
معتاد	Mutat	
معتبر	Muteber	
معتمد	Mutemet	
معتدل	Mutedil	
معجزة	Mucize	
معدن	Maden	

الكلمة	رسمها	معناها
معدنى	Madeni	
معذرة	Mazeret	
معذور	Mazur	
معراج	Miraç	
معرفة	Marifet	
معصوم	Mazum	
معطوف	Matuf	
معظم	Muazzam	
معفى	Muaf	
معقول	Makul	
مع الاسف	Maalesef	
معلول	Malül	
معلّم	Muallim	
معلوم	Malum	
معلومات	Malumat	
مع مافيه	Maamafih	
معمار	Mimar	
معمول	Mamul	مصنوع
مُعَمّى	Muamma	
معنى	Mâna	
معنوى	Mâneui	
معنويات	Maneuiat	
معية	Mayet	
معيشة	Maişet	
مغارة	Magara	

الكلمة	رسمها	معناها
مغاير	Mugair	
مغدور	Magdur	
مغرور	Magrur	
مغفرة	Magfiret	
مغلاق	Muglak	امر صعب الفهم
مغلوب	Maglup	
مغلوبية	Maglubiyet	
مُغْبَرّ	Mugber	
مفتش	Mufettiş	
مفرد	Müfred	
مفرط	Müfrit	
* مفروش	Mefruş	
مفروشات	Mefruşat	
مفرزة	Müfreze	
مفصل	Mufassal	
مفلس	Müflis	
مفلوج	Mefluç	
مقابل	Mukabil	
مقالة	Makale	
مقام	Makam	
مقاولة	Mukavele	
مقاومة	Mukavemet	
مقايسة	Makayes	
مقبوض	Makbuz	وصل مقابل دفع
مقتدر	Muktadir	

الكلمة	رسمها	معناها
مقتول	Maktul	
مقدار	Mikdar	
مقدرات	Mukadderat	
مقدس	Mukaddes	
مقدسات	Mukaddesat	
مقص	Makas	
مقصد	Maksat	
مقطع	Makta	
مقوّى	Mukavva	
مقياس	Mikyas	
مكافأة	Mükafat	
مكان	Mekân	
مكتب	Mektep	مدرسة ابتدائية
مكتوب	Mektup	رسالة
مكرر	Mükarrer	
مكروه	Mekruh	
مكلف	Mükallaf	
مكلفية	Mükallafiye	
مكمّل	Mukemmel	
مكيفات	Mükeyyifat	
ملاحظة	Mülahaza	
ملاقات	Mülakat	
ملة	Millet	
ملتجى	Mülteci	
ملحق	Mülhak	

الكلمة	رسمها	معناها
ملزمة	Malzeme	أدوات العمل
ملغى	Mulga	
ملفوف	Mülfuf	مع هذا
مُلك	Mülk	
ملك	Melek	
ملكة	Meleke	
ملكى	Mülki	
ملكية	Mülkiet	
ملهم	Melhem	مرهم
ملى	Milli	
ملية	Milliet	
ممتاز	Mumtaz	
ممثل	Mumassil	
ممكن	Mumkin	
ممنوع	Memnu	
ممنون	Memnun	
ممنونية	Memnuniet	
مميز	Mumeyiz	
منارة	Minare	
مناسب	Münasip	
مناسبة	Münasebet	
مناظرة	Münazara	
مناقشة	Münakaşa	
مناقلات	Münakalat	
مناقلة	Münakale	
مناوبة	Münavebe	
منبع	Memba	
منبت	Mümbit	
منبه	Münebbih	
منتظم	Müntazam	
منتظما	Müntazaman	
منحصر	Münhasir	
منحصراً	Münhasiran	
منحل	Münhal	
مندرجات	Mundericat	
منسوب	Mensup	
منسوجات	Mensucat	
منشأ	Menşe	
منطق	Mantik	
منطقة	Mentika	
منطقى	Mantiki	
منظرة	Manzara	
منظوم	Manzum	
منظومة	Manzume	
منفرد	Münferit	
منفعة	Menfaat	
مَنفَى	Menfa	
مَنفِى	Menfi	
منقبة	Menkibe	
منكّت	Münakkit	

الكلمة	رسمها	معناها
منة	Minnet	
منور	Munevver	
مهارة	Maharet	
مهتدى	Muhtedi	معتنق الإسلام
مهر	Muhur	ختم - طابع
مهماز	Mahmuz	
مهم	Mühim	
مهمات	Mühimmat	
مهندس	Mühendis	
مؤاخذة	Muaheze	
موازنة	Muvazene	
موازى	Muazi	
مواصلات	Muvasalat	
موافق	Muvafik	
موافقة	Muvafakat	
مؤبد	Muebbet	
مؤثر	Muessir	
موثوق	Mesuk	
موجود	Mevcut	
موجودية	Mevcudiet	
مؤخر	Muahhar	
مودوعات	Mevduat	
موز	Muz	
موزع	Muvezzi	
مؤسسة	Müessese	
مؤسف	Muessif	
مَوْسم	Mevsim	
مؤمن	Mumin	
موضع	Mevzi	
موضوع	Mevzu	
موظف	Muazzaf	
موفق	Muaffak	
موفقية	Muaffakiyet	
موقت	Muvakkat	
موقتاً	Muvakk-atan	
موقع	Mevki	
موقوف	Mevkuf	
مؤلف	Muellif	
مولد	Mevlit	
موهوم	Mevhum	
موميا	Mumya	
مؤيد	Mueyyit	
ميدان	Meydan	
ميراث	Miras	
ميل	Meyil	
ميئوس	Meyus	

حرف النون

الكلمة	رسمها	معناها
ناحية	Nahie	
ناد	Nadir	
نادراً	Nadiran	
نار	Nar	قنبلة يدوية
ناشر	Naşir	
ناشز	Naşiz	
ناقص	Nakis	
ناقص	Nakes	بخيل
نافلة	Nafile	غير نافع ــ عقيم
ناقل	Nakil	
ناموس	Namus	
نايى	Ney	
نبات	Nebat	
نباتات	Nebatat	
نباتى	Nebati	
نبض	Nabiz	
نتيجة	Netice	
نثر	Nesir	
نزاهة	Nezahet	
نزلة	Nezle	
نزيف	Nezif	
نسبتاً	Nisbeten	
نسبة	Nispet	
نسبى	Nisbi	

الكلمة	رسمها	معناها
نسخة	Nusha	
نسل	Nesil	
نشأة	Neşet	
نشر	Neşir	
نشريات	Neşriat	
نشزة	Neşe	
نصيحة	Nasihat	
نظارة	Nezaret	
نظامى	Nizami	
نظام	Nizam	
نظر	Nazar	
نظراً	Nazaran	
نظرى	Nazari	
نظريات	Nazrariat	
نظافة	Nezafet	
نعمة	Nimet	
نعنع	Nane	
نغمة	Nağme	
نفاق	Nifak	
نفاسة	Nefaset	
نفر	Nefer	
نفرة	Nefret	
نفس	Nefes	
نفقة	Nafaka	

الكلمة	رسمها	معناها
نفوذ	Nüfuz	
نفوس	Nufus	السكان
نفيس	Nefis	
نقاهة	Nekahet	
نقد	Nakit	
نقداً	Nakden	
نقدى	Nakdi	
نقرات	Nakarat	
نقصان	Noksan	
نقطة	Nokta	
نقطة نظر	Noktatn - azar	
نقل	Nakil	
نقليات	Nakliyat	
نقلية	Nakliye	
نكاح	Nikah	
نكتة	Nukte	
نمو	Nema	
نهائى	Nihai	
نهاية	Nihayet	
نهر	Nehir	
نوبة	Nöbet	من الموسيقى
نوعى	Nevi	
نيّة	Niet	

حرف الهاء

الكلمة	رسمها	معناها
هاون	Havan	
هواء	Hava	
هوائى	Havai	
هجاء	Hece	
هبة	Hibe	
هجرة	Hicret	
هجرى	Hicri	
هجوم	Hücum	
هدف	Hedef	
هدية	Hediye	
هزيمة	Hezimet	
هضم	Hazim	
هلال	Hilal	
هوس	Heves	ميل .. اتجاه
هيجان	Heyecan	
هوية	Huviet	
هيبة	Heybe	
هيكل	Heykel	تمثال

حرف الواو

الكلمة	رسمها	معناها
واجب	Vecip	
وادی	Vadi	
وارث	Varis	
واردات	Varidat	
واسطة	Vasita	
واسع	Vasi	
واصل	Vasil	
واضح	Vasih	
واقف	Vakif	منتبه ـ عارف
واقعة	Vaka	
والی	Vali	
وباء	Vaba	
وثيقة	Vesika	
وجدان	Vicdan	
وجدانی	Vicdani	
وجود	Vucut	
وجيز	Veciz	
وحشة	Vahşet	وحشية ـ قسوة
وحشی	Vahşi	
وحشيا	Vahşiain	
وحی	Vahiy	
وخامة	Vehamet	
وخيم	Vahim	
وداع	Veda	

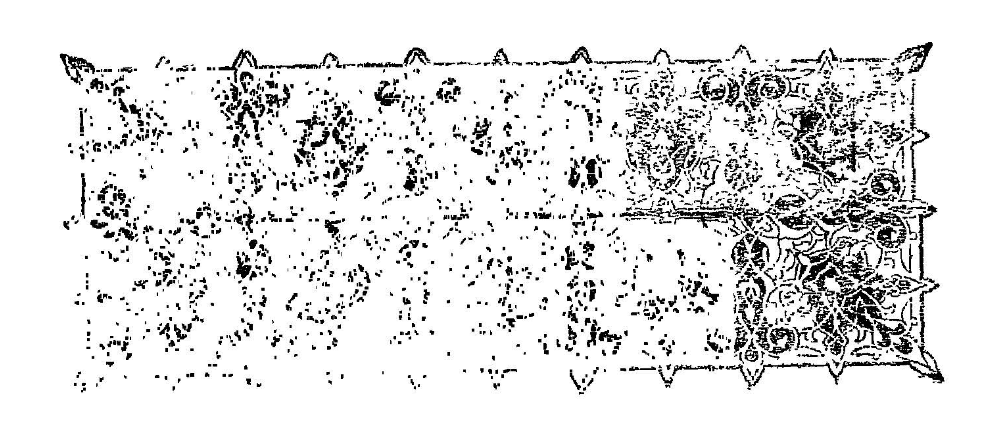
الكلمة	رسمها	معناها
وراثة	Veraset	
ورطة	Varta	
ورم	Verem	دمل ـ سل
وزن	Vezin	
وزنة	Vezne	ميزان
وزير	Vezir	
وسائط	Vesait	
وسواس	Vesves	
وسيلة	Vesile	
وصف	Vasif	
وصية	Vasiyet	
وطن	Vatan	
وظيفة	Vazife	
وعد	Vait	
وعظ	Vaiz	
وفاء	Vefa	
وفاة	Vefat	
وقار	Vakar	
وقت	Vakit	
وقف	Vakif	
وقفية	Vakfiye	
وقوع	Vuku	
وقوعات	Vukuat	
وكالة	Vekalet	

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
وكيل	Vekil		ولي	Veli	
وكيل خرج	Vekil Harc		والحاصل	Velhasil	
ولاية	Vilayet		وهم	Vehim	

حرف الياء

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
يأس	Yeis		يمين	Yemin	
ياقوت	Yakut		يهود	Yahut	
يتيم	Yetim		يهودى	Yahudi	
يعنى	Yani				

أحمد توفيق المدنى
عضو المجمع من الجزائر



مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب

للدكتور جلال شوقى

تزخر الكتابات الفلسفية العربية بدراسات متوسعة ومتعمقة في مجال حركة الأجسام ، حيث يعرض علماء العرب وفلاسفتهم لدراسة عناصر الحركة وأنواعها وأقساطها وقوتها ، كما أنهم كتبوا بتفصيل عظيم عن مدافعات الحركة ، أى عن السمات الكامنة في الأجسام التى تدفعها للحفاظ على حالتها من سكون أو حركة منتظمة وعلى استقامة ؛ ولقد وقف العرب على هذا المبدإ الهام قبل أن يصيغه اسحق نيوتن فيما عُرف بالقانون الأول للحركة ، وذلك بعدة مئات من السنين .

إن للعرب ولا شك منجزات قيمة في مجال حركة الأجسام ، ولقد وردت في كتاباتهم مجموعة من الألفاظ الخاصة ، نذكر منها على سبيل المثال ألفاظ المبدأ والميل والاعتماد والمُدافعة والمُعاوقة والممانعة والمقاومة ، وان من هذه الالفاظ ما جاء استعماله في أكثر من معنى واحد ، الأمر الذى يجعل من غير المتيسر الإلمام بفضل العرب في الفلسفة الطبيعية دون الوقوف على ما قصد العرب بهذه الالفاظ من معان دقيقة .

هذا ويعرض بحثنا الحالى لأهم الألفاظ التى وردت في الكتابات العربية خاصة بحركة الأجسام ، وقد حرصنا كل الحرص على أن نسوق النصوص العربية المتضمنة لكل لفظ منها لنبين المعنى المقصود عند كل موضع ، ولنؤكد صحة مدلول اللفظ فيها ، بما لا يدع مجالا لشك أو لبس أو غموض .

ولقد وجدنا ن الملائم أن ننظم الألفاظ التي تناولناها بالدراسة في هذا البحث في مجموعات ثلاث هي :

١ - الألفاظ الخاصة بعناصر الحركة وأنواعها وأقساطها وقوتها .

٢ - الألفاظ التي تعبر عن مدافعات الجسم من « ميل » أو « اعتماد » .

٣ - الألفاظ الخاصة بمعاوقات الحركة ن مقاومة وممانعة للوسط المنفوذ فيه .

إن حقيقة سبق العرب إلى معانى ومبادئ وقوانين أساسية كثيرة فى علم الحركة لتحدونا إلى بيان المصطلحات الأجنبية المرادفة . تلك المصطلحات التي تعبر في عصرنا الحالي عن تلك التي قصدها العرب في كتاباتهم في الفلسفة الطبيعية . وقد اقتصرنا في هذا الشأن على تقديم المصطلحات الإنجليزية المعاصرة .

عناصر الحركة وأنواعها وأقساطها وقوتها

الحركة والسكون :

يعرف الشيخ الرئيس ابن سينا[١] في رسالته الرابعة «في الحدود»[٢] كلا من الحركة والسكون حيث يقول :

«الحركة[٣] كمال أول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ؛ وإن شئت قلت : خروج من القوة[٤] إلى الفعل[٥] لا في آن واحد» .

ويقول في السكون :

«السكون[٦] هو عدم الحركة فيما من شأنه أن يتحرك بأن يكون هو في حالة واحدة من الكم[٧] والكيف[٨] والأين والوضع زمانا ما ، فيوجد عليه في آنين» . ويقول ابن سينا أيضا في رسالته الأولى «الطبيعيات من عيون الحكمة»[٩] : الحركة كمال أول لما بالقوة من حيث هو بالقوة

(١) عاش في الفترة : ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) .

(٢) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥، ٩١ .

(٣) Motion — (٤) Force — (٥) Action

(٦) Rest — (٧) Quantity — (٨) Quality

(٩) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

وهو كون الشيء على حال لم تكن قبله ولا بعده ، وتسمى تلك الحال أينا أو كيفا أو كمًّا أو وضعا كالشيء يكون على وضع في مكانه لم يكن قبله ولا بعده فيه ، ولا يفارق كليته مكانه . . . . »

ويمضي ابن سينا في موضع آخر من رسالته[1] يقول :

« كل حركة فلها مُحرِّك ، لأن الجسم إما أن يتحرك لأنه جسم أولا لأنّه جسم ، فإن تحرك لأنه جسم وجب أن يكون كل جسم متحركا ، فإذًا حركته تجب عن سبب آخر ، إما قوة فيه ، وإما خارج عنه » .

الأمور المتعلقة بالحركة :

لعلّ أوجز ما قيل في أمور الحركة قول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الشفاء »[2] :

« المتحرِّكُ[3] ، والمحرِّكُ[4] ، وما فيه ، وما منه وما إليه ، والزمان » فهذه في رأى ابن سينا — هي الأمور الستة المتعلقة بالحركة ، فبالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذى به الحركة ؛ وبالمحرك القوة المسببة للحركة ؛ وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانتهاء . أي طرفى مسافة الانتقال[5] وتتضمن اتجاه الحركة . أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التى تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة

ويقول ابن سينا أيضا في رسالته الأولى : « الطبيعيات من عيون الحكمة »[6] : « كلُّ تغيُّر دفعةً فإنّه لايسمّى حركةً .

كلُّ حركة تصدر عن محرِّك في متحرِّك فهى بالقياس إلى ما فيه تحرُّكٌ ، وبالقياس إلى ما عنه تحريك ،

---

(١) نفس المصدر السابق : صفحة ١٧ .

(٢) « طبيعيات الشفاء » : المقالة الثانية — الفصل الأول .

(٣) Moving Body

(٤) Driver — (Motor)

(٥) Displacement

(٦) « تسع رسايل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

كلٌّ مُحرِّك فإمَّا ان يكون قوةً فى جسم ، «وإمَّا أن يكون شيئا خارجاً ويحرك بحركته فى نفسه . . . . »

يقرر ابن سينا فى هذا النص ارتباط الحركة بالزمان واستحالة حدوث حركة فى غير فترة زمنية محددة مهما كانت هذه الفترة قصيرة ، وفى هذا المعنى يقول الحسن بن الهيثم [1] فى المقالة الثانية من كتابه « المناظر » [2] فى معرض حديثه عن انتقال الضوء :

«إذا كان الثقب مستتراً ثم رفع الساتر ، فوصول الضوء من الثقب إلى الجسم المقابل ليس يكون إلاَّ فى زمان ، وإن كان خفيّاً عن الحِسّ» .

ويزيد ابن الهيثم الأمر وضوحا فى فى فقرة تالية فيقول :

« .... فالضوء إنَّما يصل إلى الجسم المُقابل للثقب بحركة ، والحركة ليست تكون إلاَّ فى زمان ، وإن كان الهواءُ يقبل الضوء دفعة واحدة . فإنَّ حصول الضوء فى الهواء بعد أن لم يكن فيه ضوء ، ليس يكون أيضاً إلَّا فى زمان ، وإنْ خفِىَ عن الحِسّ . »

فالحسن بن الهيثم يؤكد هنا أن الحركة لابد وأن تحدث فى زمان ، أى أن كل حركة فلا بد وأن يكون لها سرعة ، هى ما نعرفها اليوم بمعدَّل تغيُّر المسافة المقطوعة بالنسبة للزمن ، وأن الضوء يسرى بحركة ، وبالتالى فإن للضوء سرعة ، وإن كانت هذه السرعة من العِظَم بحيث يحسبها المرء غير متناهية .

ويُعرِّف ابن سينا فى رسالته الرابعة : « فى الحدود » [3] كلًّا من الزمان والآن بقوله :

« الزَّمانُ هو مقدار الحركة من جهة المتقدِّم والمتأخر . »

« الآن [4] هو طرف موهوم يشترك فيه الماضى والمستقبل من الزمان، وقد يقال آن لزمان صغير المقدار عند الوهم متصل بالآن الحقيقى من جنسه . »

---

(١) عاش فى الفترة : ٣٥٤ — ٤٣٠هـ (٩٦٥/٩٦٦—١٠٣٩م) .

(٢) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول — رقم ٣٢١٣ .

(٣) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٩٢ .

(٤) Instant

ويؤكد بَهْمَنْيَار بن المَرْزُبَان[1] فى كتابه « التحصيل »[2] ضرورة وقوع الحركة فى زمان، فيقول :

« .... وكلُّ سرعة[3] فى زمان ، لأن كلَّ سرعة هى فى قَطْعِ مسافة ، أو ما يجرى مجرى المسافة ، وكل ذلك فى زمان .

فلو كانت حركةٌ لا نهاية لها فى السرعة[4] لكان زمان لا نهاية له فى القصر[5] ، فكانت الحركة لا فى زمان .

وبالجملةِ فاعتبار السرعة إنَّما هى فى الأُمور التى لها وجود فى زمان » .

أنواع الحركة :

وقف العرب على الصور المختلفة لحركة الأجسام ، فقسَّموها إلى حركات مكانية ووضعية ، وإلى حركات طبيعية وقسرية ،وإلى حركات مستقيمة ومستديرة أى حسب مسار الجسم المتحرك ، كذلك أشار العرب إلى الحركة العرضية والحركة التموجية . ونسوق فيما يلى مقتطفات من أقوال الفلاسفة والعلماء العرب فى أنواع الحركة .

(أ) الحركة المكانية والحركة الوضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الأُولى : « الطبيعيات من عيون الحكمة »[6] :

« الحركة التى من أين إلى أين تُسمَّى نَقْلة[7] .

الحركة التى من وضع[8] إلى وضع تُسمَّى وضعيَّة[9] ».

ويقول ابن سينا أيضا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات »[10] :

---

(١) توفى سنة ٤٥٨هـ (١٠٦٦م) .

(٢) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الاول ، الفصل الرابع ، الورقة ٢٥٣ .

(٣) Speed

(٤) Motion of Infinite Speed

(٥) Infinitesimal Time Interval ، أى فترة زمنية متناهية القصر.

(٦) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

(٧) Displacement (٨) Position (٩) Positional

(١٠) النمط السادس – الفصل السادس عشر .

« فكلُّ حركة فى مسافة تنتهى إلى حدّما . تنتهى إلى سكون فيه ، فتكون غير الحركة التى بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعيّة هى التى بها يُستحفظ الزمان المتصل ، وهى الدوريّة [1] » .

ويعرض أبو البركات هبة الله بن مَلْكا البغدادى [2] فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » [3] للحركتين المكانيّة والوضعيّة فيقول :

« .... وأعمُّ أعراض الجسم الطبيعى وأخصُّها به من حيث هو جسم هى الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها .

والحركة تقال على وجوه . فمنها الحركة المكانية ، وهى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى مكان .

ومنها الحركة الوضعيّة ، وهى التى تتبدّل بها أوضاع المتحرِّك ، وتنتقل أجزاء فى أجزا مكانه . ولا يُخرجه عن جملة مكانه . كالدولاب والرحا . . . . » .

(ب) الحركة الطبيعية والحركة القسرية :

بالحركة الطبيعية عبَّر العرب عن حركة الجسم إلى موضعه الطبيعى بعد أن يكون قد أُجْبر على الخروج منه ، وذلك عند زوال القاسر عن الجسم . وبالحركة القسرية أو الحركة غير الطبيعية قصد العرب الحركة التى تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من خارجه . وفيها يمكن للمحرك أن يكون مُلازما للجسم المتحرك أثناء تحركه القسرى ، أو يكون المحرك مُفارقا للجسم المتحرك بعد أن يكون قد بعث الحركة فيه .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الأولى . « الطبيعيّات من عيون الحكمة [4] » :

« وكلُّ جسم متحرِّك فحركته إما من سبب من خارج [5] ، وتُسمى حركة قسرية [6] ، وإما من سبب فى نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك

---

(١) Periodic, Cyclic (٢) توفى عام ٥٤٧هـ (١١٥١م) .

(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول – رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثانى ، الفصل التاسع ، الورقة ٢٦ .

(٤) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعه القاهرة : صفحة ٤ .

(٥) External Influence (٦) Forced Motion

لذاته . وذلك السبب إن كان محرّكا على جهة واحدة على سبيل التسخير فيُسمىّ طبيعةً ، وإن كان مُحرّكا حركات يسمى بإرادة أو غير إرادة . أو مُحرّكا حركة واحدة بإرادة فيُسمىّ نفساً » .

ويقول هبة الله بن مَلْكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة [1] » :

« فإنّ الحركةَ إمّا طبيعيّةً [2] وإما قَسْريّة . والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور إنما هو مقسور من طبعه إلى طبْع قاسره ، فإذا لم يكن حَركةٌ بالطبع لم يكن حَركةٌ بالقسر .

والطبيعية إنّما تكون عن مُباين بالطبع إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب أنسب من مناسب » .

ويقول أيضا فى موضع آخر [3] :

« والقَسْرُ فمن شيء خارج عن المتحرِّك حركةٍ على مُقتضى طِباع المحرِّك أو رَويته ، لاعلى مُقتضى طِباع المتحرك ورويّته . »

ويضرب بهمنيار بن المرزبان — فى كتابه الثانى من كتب « التحصيل » [4] — مثلا ملموسا للحركة القسرية فيقول :

« والحركة الطبيعيّة هى مايصدر عن الجسم إذا خُلى وطبعه ، والقسريّة هى أن يُحرَّك الجسمُ إلى خِلاف مايقتضية طبْعُه ، كمن يُحرِّك حجرا إلى فوق. »

(ج) الحركةُ المستقيمةُ والمستديرة :

فرّق العرب بين حركة الجسم على استقامة وحركته على استدارة ، وفى هذا المعنى يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الأولى : « الطبيعيّات من عيون الحكمة » [5] :

« وكلُّ جسم فيه مبدأٌ [6] حركة : إما مستقيمةً [7] وإمّا مستديرة [8] .

---

(١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثانى ، الفصل الرابع عشر ، الورقتان ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) natural or free

(٣) نفس المصدر السابق ، الجزء الثانى ، الفصل السابع ، الورقة ١٣٥ .

(٤) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب — رقم ١١٢٢ : الكتاب الثانى ، المقالة الثانية ، الفصل السادس ، الورقة ١٧١ .

(٥) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ١٩ ، ٢٠ .

(٦) Cause (٧) Rectilinear Motion (٨) Circular Motion

ويستحيل أن يكون فى جسم واحد بسيط مبدأ الحركتين مستقيمة ومستديرة ، أو يكون ماهو للذات مبدأ حركة مستقيمة هو بعينه فى حالة أخرى مبدأ حركة مستديرة ، لا كما يكون فى حالة أخرى مبدأ سكون لأنَّ السكونَ غايةُ الحركة المستقيمة .

إذ قد علمت أن الحركة المستقيمة هربٌ وطلبٌ : هرب عن مكان (غير) طبيعى . وطلب لمكان طبيعى . وعلمت أن الجهات محدودة ، وعلمت أن الأمكنة الطبيعية للأجسام البسيطة محدودة ، فإذا انتهت حركته بحصوله فى مكانه الطبيعىّ ، استحال أن يتحرك عنه فيكون مكانا غير طبيعىّ مهروبا عنه وغير ملايم ، فيسكن ، فيكون سكونه غاية حركته .

وأما الحركة المستديرة فليست من حيث هى حركة مستديرة غاية للحركة المستقيمة ، ولا نفس عدم لها . بل أمر زائد يحتاج إلى مبدإ آخر .

وكلّ حركة مستقيمة فإما إلى المركز [1] والوسط ، وإما عن المركز . والمستديرة حول المركز . »

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى كتابه « التحصيل » [2] :

فالحركة إذَنْ تختلف نوعيَّاتها اختلاف مايُقوِّمها ، وهو مافيه ومامنه وما إليه . مثل أن تكون إحدى الحركتين من مبدأ إلى منتهى على الاستقامة . والأُخرى منه إليه على الاستدارة . . . . .

قد علِمْت أنَّ الخط المستقيم والمستدير هما مخالفان بالنوع ، فيجب أن تكون الحركة المستديرةُ مخالفة للحركة المستقيمة بالنوع . . . . »

ويقرر ابن المرزبان أن الحركة المستديرة لاتكون – فى رأيه – حركة طبيعيَّة حيث انها ليست حركة تقتضيها الطبيعة . فيقول فى كتابه « التحصيل » [3] :

ولو كانت الحركة المستديرة طبيعيَّة . لكان يصحّ على ذلك الجسم أن يسْكن ، ومتى فُرِضَ سكونُ ذلك

---

(١) Center

(٢) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثانى ، المقالة الثانية ، الفصل الرابع عشر ، الورقة ١٩٠ .

(٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الثانى ، الفصل الثالث ، الورقة ٢٧٠ .

الجسم ، وجَبَ رفعُ الزمانِ والحركة والحدوثِ ، لكنَّ رفَعَ الزمان يتم بإثبات قبل وبعد وهما من الزمان ، فيكون رفعُه بإثباته ، فبيِّن أن تلك الحركة لايصح عليها أن تؤدى إلى السكون ، وكل حركة لاتؤدى إلى السكون فليست بطبيعية ؛ فتلك الحركة ليست بطبيعية .

وأيضا فإن الجسم المستدير يتحرك من وضع إلى ذلك الوضع بعينه . ومن نقطة إليها بعينها ، ولايصح أن يكون مقتضى الطبيعة طلب شيء والهرب منه بعينه ، بل هذا للاختيار فقط . لأن الطبيعة أمر واحد ومقتضاها أيضا واحد ، فتلك الحركة إذن ليست بطبيعيَّة . . . . »

(د) الحركة التموجية :

يقول صاحب « التحصيل » فى معرض حديث عن السمع [1] :

« والصوت أمر يحدث من تموج [2] الجسم السيال [3] الرطب كالهواء والماء منضغطاً [4] بين جسمين متصاكين [5] متقاومين [6] .

وأما الصدى [7] فإنه يحدث من تموج يوجبه هذا التموُّج . فإن هذا التموج إذا قاومه شيءٌ من الأشياء كجبل أو جدار حتى دفعه ، لزم أن ينضغط . أيضا بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحايط أو الجبل وبين مايقرعه هؤلاء آخر يرده ذلك ويصرفه إلى خلف بانضغاطه ويكون شكله شكل الأَول وعلى هيئته ، ويشبه أن يكون الصدى هو تموج الهواء الأَول المنعطف [8] الثانى ، لا الهواء المتموج الثانى ، ولذلك يكون على صفته وهيئته . . . »

فى هذا النص يصف بهمنيار بن المرزبان الحركة التموجية الصوتية وانعكاس هذه التموجات عند اصطدامها بعائق كجدار مثلا ، لترتد عنه مكونة التموجات الصوتية المنعكسة ، وهى التى

---

(١) نفس المصدر السابق : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الرابع ، الفصل الخامس ، الورقة ٣٠٧ .

(٢) Waviness (٣) Flowing

(٤) Pressed, Compressed (٥) Colliding

(٦) Opposed (٧) Echo (٨) reflected

نعرفها بالصدى ، وبذلك يكون العرب قد وقفوا على الحركة التموجية ، ويدل على ذلك وصف صاحب «التحصيل» لهذا النوع من الحركات حيث يقول فى نفس الورقة :

« . . والتموّج يحدث لتداول السبب الفاعل له من الماء والهواء بصدم[1] بعد صدم مع سكون قبل سكون . . . . »

وفى هذا القول تقرير للصفة الدورية للحركة التموجية .

أقساط الحركة :

استخدم الحسن بن الهيثم تعبير « القِسْط »[2] فى الفصل الثالث من المقالة الرابعة فى كتابه « المناظر »[3] وذلك فى معرض تحليله لسرعة حركة الجسم المُصَادم إلى « قِسْطَين » متعامدين فى المستوى الذى يضمّ خط الحركة والخط العمودى على سطح المصادمة (الملاقاة) .

ففى تحليله لسرعة الجسم المصادم ، عادل ابن الهيثم بين سرعة الجسم وبين قسطين لها : قِسْط (أى مركّبة) موازى لسطح الملاقاة ، وقسط عمودى على سطح الملاقاة ، وبتعبيرنا المُعاصر فإن سرعة الجسم المصادم هى مُحصِّلة مُركّبتين متعامدتين على بعضهما البعض ، إحداهما فى مستوى الملاقاة ، والأُخرى عمودية عليها ، ومن الواضح أن المُحصِّلة ومُركّبتيها تقع جميعها فى مستو متعامد على سطح المصادمة .

ويرى ابن الهيثم أن القسط الموازى لسطح الملاقاة يبقى على حاله دون أن يطرأ عليه أى تغيير إثر المصادمة ، أمّا القسط العمودى على سطح الملاقاة فإنّه يتأثر بحسب درجة ممانعة سطح الملاقاة عن الانفعال بالتصادم . وكلما كانت هذه الممانعة أعظم كلما كان التغيّر فى القسط العمودى أقل ، وكانت مسافة ارتداد الجسم المُصادِم أطول .

قوة الحركة = اعتماد المتحرك :

وقف الحسن بن الهيثم على معنى كمىّ فى الجسم المتحرك يتوقف على سرعته

---

(١) Collision

(٢) اى المركبة : Component

(٣) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول – رقم ٣٢١٥ ، الورقتان ٧٤ ، ٧٦ .

(مُعبّرا عنها بمسافة السقوط) . وعلى ثقله (ويتناسب مع كتلته) . وهو المعنى الذى نطلق عليه اليوم تسمية (كمية الحركة) وتساوى حاصل ضرب كتلة الجسم فى سرعته ، وبالتالى فهى كمية موجّهة . وقد عبّر عنهاابن الهيثم بتعبيرين هما « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرِّك » .

يقول الحسن بن الهيثم فى الفصل الثالث من المقالة الرابعة فى كتابه « المناظر »[1] :

« والمتحرِّك إذا لقى فى حركته مانعًا يُمانعه ، وكانت القوة المحرِّكة له باقيةً فيه عند لقائه الممانع ، فإنَّه يرجع من (حيث) كان فى الجهة التى منها تحرّك ، وتكون قوة حركته[2] فى الرجوع بحسب قوة الحركة التى كان تحرَّك بها فى الأوّل ، وبحسب قوة الممانعة »[3] .

ويمضى ابن الهيثم فى الورقة التالية يقول :

« . . . لأَن الحركة المُكتسبة إنَّما تكون بحسب مقدار المسافة (و) بحسب مقدار الثقل . »

فى هذا النصِّ الأَخير تحديد لقصْد ابن الهيثم لمعنى « قوة الحركة » واعتمادها على مقدار مسافة سقوط الجسم ، وهى متناسبة مع سرعة السقوط ، كذا على ثقل الجسم ، ويتناسب مع كتلته ، وهو سَبْق واضح لابن الهيثم .

٢ — ألفاظ مدافعات الجسم

أَفْرد العرب جانبا كبيرا من اهتمامهم لخاصية مُدافَعة الجسم عن حالة السكون التى يكون عليها فلا يخرج عنها إلا بقسْر قاسر ، أَو حالة الحركة المستقيمة المنتظمة التى يُحافظ عليها مالم تجبره قوى خارجية على الحَيْدة عنها . وتُشكِّل هذه الخاصية ما تعارفنا على تسميته بالقانون الأَول للحركة . وقد استعمل العرب فى

(١) نفس المصدر السابق ، الورقة ٧٠ .

(٢) يعبر عنها علماء الغرب بكلمة : Momentum ، وهى كمية موجهة وتساوى حاصل ضرب كتلة الجسم فى المسافة المقطوعة .

(٣) Opposition

هذا الجانب من دراساتهم فى العلم الطبيعى عدّة ألفاظ خاصة ، منها « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الميل » .

هذا ونخص بالذكر لفظ « الميل » الذى ورد فى معان متباينة ، تعرّضنا لها هنا بما هى أهل له من الإيضاح والتفصيل . ولقد كان لزامًا علينا أن نسوق نصوصا عديدة كى ندلل على القصد من هذا اللفظ فى كل موضع . ونبين التعبير المعاصر الذى يرادفه ، ولقد يكون من غير المتيسر تقويم الكتابات العربية فى العلم الطبيعىّ دون الإلمام الواسع بالألفاظ التى استعملها العرب فى كتاباتهم ، والوقوف على المعانى الدقيقة التى أُنيط بها تأديتها ، ومن هنا كان إهتمامنا وسعينا المتواصل إلى أكبر قدر من النصوص العربية . ودراستها دراسة علمية متعمقة .

لفظ المبدأ :

بكلمة «مبدأ» قصد العرب عموما السبب والعلة ، كذلك فقد أشاروا بها إلى موضع بدء الحركة . كما أنه قد ورد فى كتاباتهم تعبير «مبدأ ميل» ، وفيما يلى توضيح معانى لفظ «مبدأ» .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الرابعة «فى الحدود»[1] :

« الطبيعة مبدأ أول بالذات بحركة ما هو فيه بالذات وسكونه بالذات » .

ويُعرِّف الإمام محمد أبو حامد الغزالى[2] لفظ « المبدأ » ، فيقول فى كتابه « معيار العلم »[3] :

« والمبدأ اسم لما يكون قد استتم وجوده فى نفسه ، إما عن ذاته ، وإما عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شىء آخر يتقوم به ، ويسمى هذا علّةً بالإضافة إلى ما هو مبدأ له . »

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه «الإشارات و التنبيهات»[4] :

« إنّك لتعلم أنّ الجسمَ إذا خُلّىَ وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير

(١) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٨٦ .
(٢) عاش فى الفترة : ٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ (١٠٥٩-١١١١م) .
(٣) كتاب اقسام الوجود واحكامه ، الفن الثانى ، طبعة دار المعارف بالقاهرة : صفحة ٣٣٠ .
(٤) النمط الثانى - الفصل السادس .

غريب لم يكن له بدٌّ من موضع مُعيَّن وشكل معين . فإذن في طباعه مبدأ استيجاب ذلك » .

بهذا النص يقصد ابن سينا أن الجسم يبقى – بطبْعه – ساكنا فى موضع معين . مُتخذًا شكلا مُحدَّدًا ، ومُحافظا على هذه الحال بسبب طبعه ، مالم يطرأ عليه مُؤثِّر من خارج الجسم يتسبب فى خروجه عن هذا الموضع أوعن هذا الشكل أوعن كليهما . أى أن الجسم يُدافع بطبْعه عن استمرار حالة سكونه الطبيعى وهذا مبدأ وخاصية فى الجسم .

لفظ الميل :

يرد لفظ «الميل» كثيرا فى نصوص الفلسفة الطبيعيَّة ، وقد استعمله العرب فى معان أربع هى :

١ – الميل بمعناه الحرفى أى بمعنى الرغبة والاتجاه .

٢ – الميل بمعنى القوة ، سواءٌ كانت هذه القوة قوة طبيعية تعمل على إعادة الجسم إلى موضعه الطبيعى ، وهى القوة التى نعرفها اليوم بقوة التثاقل تحت تأثير الجاذبية الأرضية . فيقال « ميل طبيعى » ، أو كانت هذه القوة قوة قسرية تَعْرِض للجسم من خارجٍ فتُطلقُ عليها تسمية «ميل قسرى » .

٣ – الميل بمعنى مُدافعة الجسم عن حاله التى هو عليها : سواءٌ كانت حالة سكون أوحالة حركة منتظمة وعلى استقامة ؛ وخاصيَّة المُدافعة هذه هى مانُعبِّر عنها فى كتاباتنا المعاصرة «بالقصور الذاتى » أو «العطالة » : ومُدافعة الجسم هذه – والتى كتب عنها بوضوح الشيخ الرئيس ابن سينا – هى مانعرفه اليوم بالقانون الأول للحركة .

٤ – الميل فى معنى كمية الحركة ، وكمية الحركة فى مفهومنا الحالى هى حاصل ضرب الكتلة فى السرعة . وبالتالى فهى كمية مُوجَّهة قابلة للتحليل والتركيب .

ونقدم فيما يلى أمثلة من كتابات العرب التى يرد فيها لفظ «الميل» .

١ — « الميل » بمعناه الحرفى :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات » [١] :

« فإذا كان الجسم الطبيعىُّ فى حَيزه الطبيعى لم يكن له — وهو فيه — ميْلٌ ؛ لأنه — لامحالة إنّما يميل [٢] بطبعه إليه لاعنه » .

ويشرح الإمام فخر الدين الرازى [٣] هذه العبارة بقوله [٤] :

« وأمّا قولُه وإذا كان الجسم فى حيِّزه الطبيعىِّ ، لم يكن له — وهو فيه — مَيْلٌ ، لأنه إنَّما يميلُ بطبعه إليه لاعنه ، فاعلم أنَّ هذه الدلالةَ تدلُّ على أنَّ الجسم حال كونه فى حيِّزه الطبيعىِّ ، لايكون له ميْلٌ [٥] عنه . فإذا قلنا ولا يكون له أيضا ميْلٌ إليه لاستحالة طلب الحاصل فحينئذ تتم الدلالة على أنه لاميل فيه فى تلك الحالة » .

٢ — « الميل » بمعنى القوة :

(أ) الميل الطبيعى :

بالميل الطبيعى عبر العرب عن القوة التى تعيد الجسم الى مكانه الطبيعى اذا ماكان متواجدا خارجه ، وتعرف بالقوة الطبيعية لانها تعمل فى الاتجاه الطبيعى نحو مركز الارض حتى يستعيد الجسم موضعه الطبيعى ، فالميل الطبيعى هو السعى إلى الموضع الطبيعى تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات » [٦] :

« الجسم إذا وجد على حالٍ غيرواجبة من طباعه ، فحصوله عليها من الأمور الإمكانية وله لل جاعلة ، ويقبل التبديل فيها من طباعه إلالمانع ، وإذا كانت هذه الحال فى الموضع والوضع أمكن الانتقال عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل » .

ويقول أيضا فى كتابه « الشفاء » [٧] :

« إنَّ الأجسام الموجودة ذوات الميل كالثقيلة و الخفيفة :

أما الثقيلة فمما يميل إلى أسفل ، وأما الخفيفة فمما يميل إلى فوق ، فإنها كلما

---

(١) النمط الثانى — الفصل السابع .

(٢) incline, tend

(٣) عاش فى الفترة : ٥٤٤ — ٦٠٦هـ (١١٥٠ — ١٢٠٩م) .

(٤) الكتاب الموسوم بشرحى الاشارات لنصير الدين الطوسى و للامام فخر الدين الرازى : النمط الثانى — الفصل السابع .

(٥) Inclination, Tendency.

(٦) النمط الثانى — الفصل الحادى عشر . (٧) المقالة الرابعة — الفصل الرابع عشر .

ازدادت ميلا [1] كان قبولها للتحريك القسرى ابطأ ، فان نقل الحجر العظيم الشديد الثقل أو جرّه ليس كنقل الحجر الصغير القليل الثّقل أو جرّه . »

فلفظ « الميل » هنا يعبر عن قوة الجاذبية الأرضية الداعية الساعية إلى استعادة الموضع والوضع الطبيعيين للجسم .ومن الأمور المعروفة ان الجسم كلما زاد وزنه – أى زادت قوة تثاقله ، أو بعبارة أخرى زاد ميله الطبيعى – كلما زادت قوة احتكاكه بالسطح الذى عليه يرتكز ، وبالتالى تزداد مقاومته للتحريك القسرى ، أى أن القوة اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد بزيادة وزن الجسم .وهو المعنى الوارد فى النص الثانى من كلام ابن سينا ، وقد ضرب له مثلا تحريك الحجر شديد الثقل وقليله .

ويؤكد ابن سينا هذا المعنى فى كتابه « الاشارات والتنبيهات » [2] بقوله :

«وكُلَّما كان الميل الطبيعى أقوى ، كان أَمْنَع لجسمه عن قبول الميل القسرى ، وكانت الحركة بالميل القسرى أفْتَر وأبطأ . »

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى كتابه « التحصيل » [3] :

« ويجب أن يكون فى الجسم فى حال ما يتحرَّكُ معنى زايد على الطبيعة ، وذلك لأنَّ الجسمَ فى مكانه الطبيعىّ ذو طبيعة ، ولكن لايكون ذا حركة ، وهذا المعنى الزايدُ يسمىَّ ميْلاً ، وهو الذى يشاهد فى حال مايتحرَّكُ الجسم إلى مكانه الطبيعى ن الدَّفْع القوىِّ لمُقَاوِمِه . »

فمن الواضح من كلام ابن المرزبان أن المقصود بالميل هنا هو القوة الطبيعية التى تسعى لإعادة الجسم إلى مكانه الطبيعى .

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى وضع آخر من كتابه [4] :

« .... كلُّ حركة فهى تصدُرُ عن ميْل كما عرفته ، وهذا المَيْل فى نفسه معنى

(١) يقصد بالميل هنا قوة الجاذبية الأرضية : Gravitational Force

(٢) النمط الثانى – الفصل السابع .

(٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ، الفصل الثانى ، الورقة ٢٤٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ، الفصل السابع ، الورقتان ٢٦٠، ٢٦١ ،

من المعانى ، به تُوُصِّل إلى حُدُودِ الحركات ، ومحالٌ أن يكون الواصلُ إلى حدٍ ماواصلاً بلا علةٍ موجودةٍ مُوصلة ، محالٌ أيضاً أن تكون هذه العلةُ غيرَ التى أزالت عن المُستَقَرْ الأول ، وهذه العلةُ يكونُ لها قياسٌ إلى ما يُزيله يُسمى ميْلا ، ومن حيث هو موصل لا يُسمى ميْلا .

الميْلُ مالم يُقْسَر ولم يُقْمَع أو لم يَفْسُدْ ، فإن الحركة التى تجب عنه تكون موجودة » .

ويشير الإمام فخر الدين الرازى فى شرحه لكتاب ابن سينا « الإشارات والتنبيهات »[1] ، إلى ازدياد الميْل الطبيعى – أى القوة الطبيعية – مع عِظَم الجسم فيقول :

« الأَجسامُ كلما كانت أعظم ، كان مَيْلُها إلى أحيازها الطبيعية أقوى ، وكلما كان كذلك ، كان قبولها للميل القسريّ أضعف ، لِما بيّنا أنّ الميْل الطبيعىّ عائق عن القسرىْ .

والشىءُ كلّما كان العائق عنه أقوى كان وجودُه أضعَف. »

(ب) الميل القسرى :

استخدم العرب تعبير «الميل القسرى » للدلالة على القوة التى تُسلطُ على الجسم من خارجه . والتى قد تُساعد أو تُعاكس « مَيْلَه الطبيعىّ » . والميلُ القسرى عندما يتغلب على القوى الأخرى يدفع الجسم إلى التحرُّك حركة قسرية .

يقول ابن مَلْكَا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة »[2] :

« . . . كلُّ حركة بالحقيقة فهى تصدر عن مَيلٍ يحققه اندفاعُ الشىء القائم أمام المتحركِ أو احتياجه إلى قوة تمانعه بها .

وهذا الميل فى نفسه معنى من الأمور به تُوُصِّل إلى حدود الحركات ، وذلك بإبعادٍ من شىء يلزمهُ مدافعة لما فى وجه الحركة ، وتقريب من شىء . . . . »

---

(١) النمط الثانى – الفصل العشرون .

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول – رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقة ٨٩ .

ويعرض ابن مَلْكَا لاجتماع المَيْلين الطبيعىّ والقسرى مُمَثِّلاً بالحجر المقذوف إلى فوق ، حيث يكون الحجر تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية المتجهة إلى أسفل ويُشار إليها هنا بالميل الطبيعى ، كما يكون الحجر أيضا تحت تأثير قوة القذف القاسرة إلى فوق وهى القوة التى أُشير إليها بالميل القسرى . وفى هذا المعنى يقول صاحب «المعتبر فى الحكمة» :[1]

«فكذلك الحجرُ المقذوف ، فيه مَيْلٌ مُقَاوِمٌ[2] للمْيلِ القاذفِ ، ألا لأنَّه مقهورٌ بقوة القاذف ، ولأن القوة القاسرة عرضيَّةٌ فيه ، فَهى تضعف لمقاومة هذه القوة والمْيل الطبيعىّ ولمقاومة المخروق[3] .

ولذلك كلَّما كان المخروقُ أكثفَ[4] وأعْسَر خَرْقاً ، كان بُطْلانَ ذلك المْيل القسرى أسرع ، كما يكون ذلك فى الماء بالقياس إلى الهواء . . .

فيكون المْيلُ القاسِرُ فى أوله على غاية القهر للمْيل الطبيعىّ . ولا يزال يُضعِف ويُبطئ الحركة ضعفاً بعد ضعفٍ . وبطء بعد بطءٍ . حتى يعجزَ عن مقاومة الميل الطبيعى ، فيغلب الميل الطبيعى ، فيحرك إلى جهته ، ويقوى عليه مستمرا حتى يُبطِلَه ، فيسرع بذلك حركته لبطلان المُقاوِم . »

لاشك أن هذا النص واضح كل الوضوح فى الدلالة على استعمال كلمة «الميل» فى معنى القوة سواءٌ كانت هذه القوة ناشئة عن جذب الأرض للجسم فتسمى «ميلا طبيعيا» . أو كانت هذه القوة قوة قاهرة مُسلطة على الجسم من الخارج فتسمى «ميْلاً قسريّاً» ، وقد أوضح صاحب المعتبر كيفية تغلُّب القوة القاهرة — فى حالة الحجر المقذوف إلى فوق — على القوة الطبيعية (قوة الجاذبية الأرضية) فى بادئ الأمر . ثم تناقص تأثير القوة القسرية لمقاومة القوة الطبيعية ولمقاومة

---

(١) نفس المصدر السابق : الورقتان ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) Resisting Force

(٣) يقصد الوسط المنفوذ فيه : penetrated medium

(٤) more dense

الوسط المخروق لها . وبيّن كيفية تغلّب المَيلِ الطبيعىٌ فى نهاية الأَمر ليستعيد الحجر موضعه الطبيعى على سطح الأَرض.

٣ — « الميل » و « الاعتماد » فى معنى المدافعة :

استعمل العرب لفظى « الميل » و « الاعتماد » كذا « مبدأ ميل » للتعبير عن خاصيّةٍ طبيعية فى كل الأَجسام ، هى خاصية رغبة الجسم وتمسّكه ببقائه على حاله التى هو عليها من سكون أو حالة حركة منتظمة وعلى استقامة ، وهذا هو ما اصطُلح على تسميته اليوم بالقانون الأَول للحركة ، ولا جدال فى أَنَّ الشيخ الرئيس ابن سينا له فضل السبق اليه .

فللجسم مقاومة ذاتية يُدافع بها عن استمراره فى حال السكون فى موضعه الطبيعى ، أَو عن استمراره فى حال الحركة المستقيمة المنتظمة السرعة ، وفيما يلى بعض من كتابات العرب فى خاصية المُدافعة هذه .

(أ) المدافعة عن حال السكون :

يقول ابن سينا فى طبيعيّات كتابه « الشفاء » [١] :

« إنَّ كلَّ جسم ليس فيه مبدأُ ميلٍ ما . فإنَّ نقلَه عما هو عليه من أَين أَو وضع يقع لا فى زمان ، وذلك محال ، بل يجب أَن يكون كلُّ جسم يقبل تحريكا وإمالةً طارئةً ، ففيه مبدأُ ميْلٍ طبيعىٍّ فى نفس ما يقبله كان أَيناً أَو وضعاً . »

ويمضى ابن سينا فى نفس المقالة شارحا خاصيّةَ المُدافعة هذه فيقول :

« وليست المُعاوقة [٢] للجسم بما هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء على حاله من المكانِ أَو الوضع ، وهذا هو المبدأُ الذى نحن فى بيانه . »

(ب) المدافعة عن حال الحركة :

يُعرِّف الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الرابعة : « فى الحدود » [٣]

---

(١) المقالة الرابعة .

(٢) Hindrance

(٣) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ .

الميل والاعتماد فى معنى المُدافعة عن حال الحركة فيقول :

« الاعتمادُ والمْيلُ هو كيفية يكون بها الجسم مُدافعاً لما يُمانِعه عن الحركة إلى جهة ما . »

ويكاد الامام الغزالى أن يكون قد أورد هذا التعريف بلفظه فى كتابه « معيار العلم » [1] .

ويقول ابن سينا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات » [2] :

« الجسمُ له فى حال تحرُّكه ميلٌ يتحرَّك به ، ويحِسّ به المُمانِعُ ،ولن يتمكَّنَ من المنع إلاَّ فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طِبَاعه ، وقد يحدث فيه من تأْثير غيره ، فيبطل المنبعث من طباعِه إلىٰ أن يزولَ فيعود انبعاثُه . »

ويُلقى الشيخ الرئيس مزيداً من الضوء على طبيعة مُدافعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول فى معرض حديثه عن الاراء المطروحة فى سبب حركة الجسم المقذوف (المتحرِّك) بعد أن يفارقه القاذف (أى المسبِّبُ للحركة) بعد استعراضه لجملة الآراء [3] :

« ولكنَّا إذا حقَّقنا القول ، وجدنا أصحُّ المذاهب مذهبَ من يرى أنَّ المتحرِّك يستفيدُ مَيْلاً من المُحرِّك .

والمْيلُ [4] هو مايُحَسّ بالحِسِّ إذا ما حُوِول أن يُسكَّنَ الطبيعىُّ بالقسر ، أو القسرىُّ بالقسر . »

ولقد استعمل العرب لفظ « الاعتماد » مُرادِفاً للفظ « المْيل » ، من ذلك قول نصير الدين الطوسى فى معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول فى طبيعيّات كتاب « الإشارات والتنبيهات » لابن سينا :

« والاعتماد عندهم هو مايسميه الحكيم ميلا . »

وهذا يتضح أيضا من تعريف ابن سينا والإمام الغزالى الذى أشرنا إليه قبل بضع سطور .

---

(١) « كتاب الحدود » : الفن الثانى ، القسم الثالث ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحات ٢٩٦ حتى ٣٠٤ (بيان الألفاظ المستعملة فى الطبيعيات) .

(٢) النمط الثانى — الفصل السابع .

(٣) طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة — الفصل الرابع عشر .

(٤) يعبر عنها علماء الغرب بكلمة (Inertia)

من هذه النصوص يبين لنا وقوف العرب على خاصية، أو صفة ذاتية في الجسم بها يُدافع عن استمراره في حال السكون، أو حال الحركة، وقد أطلقوا عليها تسمية «الميل» أو «الاعتماد»، وهذه الخاصية نُطلق عليها اليوم تسمية «القصور الذاتي»[1] أو «العطالة»، وهي السّمة الواردة في القانون الأول للحركة الذي يقول بأن الجسم يبقى في حالة سكون أو في حالة حركة منتظمة في خط مستقيم مالم تُجبره قوى خارجة عنه على تغيير هذه الحالة. وهذا القانون هو حصيلة الخبرة والمشاهدة لسلوك الأجسام الساكنة والمتحركة.

٤ — «الميل» و«قوة الميل» بمعنى كمية الحركة

استعمل الفيلسوف العربي ابن مَلْكا البغدادى لفظ «الميل» و«قوة الميل» في معنى كمية الحركة، من ذلك قوله في كتابه «المعتبر في الحكمة»[2]:

« فالميلُ الطبيعيُّ مبدأٌ له غير مفارق ولايزال يُوجبه حتى يبلغ به الحيزَ الطبيعيَّ. وكلما حرّكت القوةُ في المسافة الغريبة عن الطبع، أحدثت ميلا بعد ميل، فتتزايد بذلك قوة الميل[3] مهما استمرت الحركة. »

. . .

يبين من هذا النص أن ابن مَلْكا يقول إن الأجسام التى تتحرك حركة طبيعية، كتلك التى تسقط سقوطا حرّا تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية (أى تحت تأثير الميل الطبيعى)، فإنّ سرعتها تزيد بزيادة مسافة السقوط، وبالتالى فإن كمية حركتها (حاصل ضرب الكتلة في السرعة) تزيد كلّما أمعن الجسم في السقوط؛ وقد عبّر صاحب «المعتبر» عن كمية الحركة في هذا النصّ بالميل بعد الميل، كذا بقوة الحركة

ويزيد ابنُ مَلْكا الأمر وضوحا فيمضى قائلا:

« . . . . فإن قيل إنّ اشتداد الميل الطبيعى في آخره ليس لانسلاخ

---

(١) Inertia

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢: المجلد الثانى، الفصل الرابع والعشرون، الورقتان ٩٥، ٩٦.

(٣) يقصد بها هنا «كمية الحركة»: Momentum

القاسر . بل لأمر يخصه فى نفسه . ويُستدل على ذلك بالحجر المرمىّ من من عال من غير أن يكون عايداً عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه مَيلٌ قسرىٌّ ، فإنّك ترى أنّ مبدأ الغاية كُلَّما كان أبْعَد كان آخرُ حركته أسْرَع ، وقوة ميْلِهِ[1] أشدّ ، وبذلك يشجُّ ويسحقُ ، ولا يكون ذلك له إذا أُلقىَ عن مسافة أقصر ، بلَ يتبيَّن التفاوتُ فى ذلك بقدرِ طولِ المسافة التى يسلكها . . . . »

يسوُق ابن مَلْكاَ هنا مثلا الحجر المقذوفَ من علو ، فيقول إنَّ « قوة الميْل » (أى كمية الحركة) للحجر تزيد كُلَّما كان موضع رمى الحجر أبعد عن سطح الأرض وكلما كانت قوة قذف الحجر أكبر ، وبازدياد « قوة الميل » للحجر المرمىّ يشتد تأثيره حيث يشجُّ ويسحق ، ومفهوم ابن مَلْكا فى هذا الخصوص سليم تماما ، حيث ان سرعة الجسم الساقِط سقوطا حرا تزيد بزيادة مسافة السقُوط ، وتزيد معها كمية حركته (أى قوة ميْله حسب تعبير ابن مَلْكاَ) ، فيشتدّ معها مبلغ تأْثيره إن هو اصطدم بجسم .

وفى استعمال كلمة « الميل » بمعنى كمية الحركة يقول نضير الدين الطوسى فى شرحه لكتاب ابن سينا « الإشارات والتنبيهات »[2] :

« أقول : المْيلُ الطبيعىُّ يزداد بازدياد الجسم إلى مكانهِ الطبيعى قُرباً » .

أى أن « كمية الحركة » الناشئة عن حركة الجسم الطبيعية تحت تأْثير قوة الجاذبية الأرضية (وقد عبَّر عنها الطوسى بالمْيلِ الطبيعىّ فى هذا النص) تزداد كُلَّما قُرب الجسم من مكانه الطبيعىّ على سطح الأرض إذ أنه كلما قرب الجسم منه كلما زادت مسافة سقوطه ، وهذه مصحوبة كما بيّنا – بزيادة فى سرعته ، وبالتالى فى كمية حركته أو « ميله الطبيعى » حسب تعبير الطوسى ، وهذا صحيح كُلَّ الصِّحة .

---

(١) يقصد بها هنا « كمية الحركة » .

(٢) النمط الثانى – الفصل التاسع عشر .

٣ — ألفاظ معاوقات الحركة

وقف العرب على مقاومة الوسط المنفوذ فيه لحركة الجسم . وقد فطنوا إلى أن هذه المقاومة تتأثر بنوع الوسط وشكل الجسم المتحرك . وأن مقاومة الوسط المخروق يمكن لها أن تُعاوق الحركة إلى حدّ إبطالها .
من ذلك قول الشيخ الرئيس ابن سينا في طبيعيات كتابه «الشفاء»[1] :

« .... فإنك ستعلم أنّ مُقاومَة[2] المنفوذ فيه هو المُبطِلُ للقوة المحِّركة ».

ويقول هبة الله بن مَلْكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة »[3] :

«...والقوة بنفسها لا تبطل ولا تفنى ، وإنّما يُبطِلها فى الملاء مصُادمة ما يلاقيها فى مسافتها من مُعَاوق بعد معاوق فيُضعفها حتى تفنى . وليس ذلك فى الخلاء .. »

ويصف الإمام الرازى فى كتابه « المباحث المشرقية » اختلاف مقاومة الوسط من حيث الرقة والغلظة وتأثير ذلك على حركة الجسم . فيقول[4] :

« إنَّ الجسمَ إذا تحرَّك فى مسافة فكلَّما كان الجسم الذى فى المسافة أرقّ كانت الحركة فيه أسرع ، وكُلَّما كان أغلظ كانت الحركة فيه أبطأ ، لأنَّ الرقيقَ شديد الانفعال[5] عن الدافع الخارقِ[6] ، والغليظَ شديدُ المقاومة . »

وقد عرف العرب أيضا أن المقاومة التى يتعرض لها الجسم المتحرك — فضلا عن تأثرها بنوعيَّة الوسط المنفوذ فيه — تختلف كذلك باختلاف الشكل الهندسى للجسم النافذ فى الوسط ، من ذلك قول ابن مَلْكا فى كتابه « المعتبر فى الحكمة »[7] :

« وأيضا لو تحّركت الأجسام فى الخلاءِ لتساوت حركةُ الثقيل والخفيف والكبير والصغير ، والمخروط المتحِّرك على رأسه الحاد ، والمخروط المتحرك

---

(١) المقالة الرابعة : الفصل الرابع عشر .
(٢) Resistance
(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى ، الفصل الخامس عشر ، الورقة ٦٠ .
(٤) الكتاب الثانى — الفن الأول — الفصل التاسع عشر ، طبعة الهند : الصفحتان ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٥) Deformation
(٦) Penetrating
(٧) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى، الفصل الرابع عشر ، الورقة ٤٩ .

على قاعدته الواسعة ، فى السرعة والبطء ، لأنها إنما تختلف فى الملأ بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق كالماء والهواء وغيره .

فإن المخروط المتحرك على رأسه يخرق أسهل من المتحرك على قاعدته ... »

من هذه النصوص يتضح لنا أن العرب قد استعملوا ألفاظ «المقاومة والمعاوقة» فى معنى (ممانعة الوسط) — الذى تتحرك خلاله الاجسام — لنفوذ أواختراق هذه الاجسام له . وأن هذه الممانعة تختلف باختلاف طبيعة الوسط كثافة وغلظة أورقة وتخلخلا ، وأنها تقل كذلك كلما اتخذ الجسم المتحرك شكلا انسيابيا كالمخروط المتحرك على رأسه على حد تعبير صاحب «المعتبر» .

خلاصة

فى هذا البحث تعرضنا بالدراسة لمفهوم العرب لحركة الأجسام وللألفاظ التى استعملها فلاسفة العرب وعلماؤهم فيه ، حيث أوردنا نصوصا عديدة لبيان الأوجه التى استعملت فيها هذه الالفاظ ومفاهيم العرب لها .

ويخلص البحث إلى أن العرب قد عنوا باختيار ألفاظهم العلمية ، فمن هذه الالفاظ مايزال صالحا تماما للكتابة العلمية المعاصرة كلفظ « المدافعة » فى معنى «العطالة » أو « القصور الذاتى » ، كذا ألفاظ المعاوقة والممانعة والمقاومة فى مجال معوقات الحركة ، ومن هذه الالفاظ أيضا ما استعمله العرب للدلالة على معان عدة مثل لفظ « الميل » الذى استخدمه العرب فى معان أربعة متباينة ، ومن ثم فإنه لاغنى للباحث فى تراثنا فى العلم الطبيعى من أن يقف تماما على معانى الألفاظ التى وردت فى كتابات العرب ، كما أنه يجدر بنا كذلك أن نتمسك ببعض الألفاظ التى استعملها العرب الأوائل والتى تقدم تعبيرات أكثر دقة وأشد طلاوة من كلمات مرادفة لها فى كتاباتنا العلمية المعاصرة .

جلال شوقى

مصادر البحث

(أ) المخطوطات :

١ـ كتاب «المناظر» للحسن بن الهيثم : المقالتان الرابعة والخامسة .

مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٣٢١٥ . ٣٢٢ ورقة .

٢ ـ كتاب « تحصيل بهمنيار » لبهمنيار بن المرزبان .

مخطوط المكتبة الاحمدية بحلب رقم ١١٢٢ ، ٣٤٠ورقة .

٣ ـ كتاب « المعتبر فى الحكمة » لأبى البركات هبة الله بن مَلْكا البغدادى .

مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٢٢٢ ، ٢٢٥ ورقة .

(ب) الأبحاث والكتب المطبوعة :

١ ـ « آراء الفلاسفة الإسلاميين فى الحركة ومساهمتهم فى التمهيد إلى بعض معانى علم الديناميكا الحديث »

للأستاذ مصطفى نظيف .

المحاضرة الرابعة من محاضرات ابن الهيثم التذكارية : كلية الهندسة جامعة فؤاد الأول : سنة ١٩٤٣م ، ٣٣ صفحة .

٢ ـ كتاب « الإشارات والتنبيهات » للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح نصير الدين الطوسى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر ـ القسم الثانى الطبعة الثانية ، ٤٦٨ صفحة .

٣ ـ « الكتاب الموسوم بشرحى الإشارات » .

للخواجة نصير الدين الطوسى ، وللإمام فخر الدين الرازى .

المطبعة الخيرية بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ، عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧م)

الجزء الأول : ٢٤٣ صفحة ، الجزء الثانى : ١٤٦ صفحة .

٤ ـ كتاب « الشفاء ـ الطبيعيّات » للشيخ الرئيس ابن سينا .

تحقيق الدكتور محمود قاسم .

مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم مدكور .

دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ، عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩م).

٥ - « تسع رسايل فى الحكمة والطبيعّيات » .

للشيخ الرئيس ابن سينا .

مطبعة هندية بالموسكى بمصر ، عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨م) ، ١٨٠صفحة .

٦ - «معيار العلم » للإمام محمد أبى حامد الغزالى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ، عام ١٩٦٩ ، ٤٠٠ صفحة.

٧ - «علم الحركة فى الفلسفة العربية : مفاهيمه وألفاظه » .

للدكتور جلال شوقى .

مجلة اللسان العربى ، جامعة الدول العربية ، الرباط - المجلد العاشر ، يناير ١٩٧٣م ، الجزء الأول ، الصفحات ١٨٣- ١٩٤ .

٨ - « أصول الميكانيكا فى الفكر العربى » للدكتور جلال شوقى .

أسبوع العلم الثالث عشر بجامعة حلب سنة ١٩٧٢ م ، منشورات المجلس الأعلى للعلوم بدمشق ، سنة ١٩٧٤ م ، الكتاب الرابع : دراسات وبحوث العلوم الهندسية ، الصفحات ١٩٣- ٢٦٢.

٩ - «تراث العرب فى الميكانيكا» للدكتور جلال شوقى .

عالم الكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٧٣م ، ١١١ صفحة .

١٠ - « دراسات العرب فى سلوك الأجسام المتحركة » للدكتور جلال شوقى .

مجلة « عاديات حلب » - جامعة حلب : معهد التراث العلمى العربى ، الكتاب الأول عام ١٩٧٥م ، الصفحات ٣٠ - ٥١ .

التطور اللغوى وقانون السهولة والتيسير

للدكتور رمضان عبد التواب

تميل اللغة فى تطورها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الاصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتا أخرى، لاتتطلب مجهودا عضليا كبيرا. كما أنها تحاول أن تتفادى تلك التفريعات المعقدة، والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة.

«وليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير، ينطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية فى اللغة. فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتى كان عكسيا، أى من السهل إلى الصعب – كما وجد فعلا فى بعض الحالات – فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور، وهو لاشك سيجدها فى ظروف خاصة باللغة التى قد يحدث فيها هذا النوع من التطور. فليس ينقض هذا القانون، أن نجد أحيانا أصواتا سهلة، تطورت إلى أصعب منها فى بعض الحالات [1]».

ومما ينطبق عليه هذا القانون: «ظاهرة الهمز» فى اللغة العربية، ومحاولة بعض القبائل العربية القديمة التخلص منها، وعلى الأخص قبائل الحجاز، كما تخلصت منها معظم اللهجات العربية الحديثة. وصوت الهمز صوت عسير النطق؛ لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة؛ وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلى كبير.

---

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ١٦٩ وانظر الشبه التى أثارها الدكتور تمام حسان، على نظرية السهولة والتيسير، فى كتابه: اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٥ – ٤٧

وسقوط الهمز فى غير أول الكلمة ، هو الشائع فى اللهجات العربية الحديثة ، وكان هو المميز للهجة قريش فى الجاهلية ، غير أن هذا التسهيل امتد إلى الهمزة فى أول الكلمة كذلك فى كثير من الكلمات فى العاميات الحديثة ؛ مثل : «باط» فى «آباط» و «دان» فى «آذان» و «سنان» فى «أسنان» و «سبوع» فى «أسبوع» ، كما يقال مثلا : «إيه اللى صابلك» و «فلان راح فى غيبوبة وفاق منها» ، بدلا من : «أصابلك» و «أفاق» . وقد روى الجواليقى (المتوفى سنة ٥٣٩ هـ) أن الناس فى عصره كانوا يسقطون همزة «أبو» ؛ فقال : «وهو أبو رياح ، لهذا الذى يلعب به الصبيان ، وتديره الريح ، ولا تقل : بُرْياح ، وكذلك يقولون للقرد : بُوزنّة ، وإنما هو : أبو زنّة ، وهى كنيته»[1] . ولا تزال هذه الظاهرة شائعة فى تونس والجزائر مثلا ، فى قولهم : «بومدين» و «بوتفليقة» و «جميلة بوحريد» ، وكان لنا زميل تونسى بجامعة ميونخ اسمه : «عثمان بوغانمى» ، كما تشيع هذه الظاهرة فى بعض الأسماء فى الجزيرة العربية ؛ مثل : «باحسين» و «باكلاّ» و «بابطين» وغير ذلك .

وقد يؤدى سقوط الهمز من آخر الأفعال ، إلى التباسها بالأفعال المعتلة الآخر ، فتعامل معاملتها عند إسنادها إلى الضمائر ؛ فبعد أن ضاع الهمز من الأفعال : ملأ الإناء ، وسلأ السمن ، وأخطأ فى قراءته ، وخبّأ نقوده مثلا ، أصبح يقال عند إسنادها إلى الضمائر : مليت ، وأخطيت ، وأبطيت ، وخبّيت تماما كما يقال : «رميت» و «سعيت» و «بنيت» وغير ذلك .

وقد روى ابن الأنبارى شيئا من هذا فى العربية القديمة ؛ فقال[2] : «ويقال : أردأت الرجل وأرادته وأرديته ، فمن قال : أرادته ، ليّن الهمزة . ومن قال : أرديته ، انتقل عن الهمزة ، وشبه أرديت بأرضيت . ومثل هذا قول العرب : قرأت بتحقيق الهمز ، وقرات بتليين الهمزة ، وقريت بترك الهمز ، والانتقال عنه إلى التشبيه بقضيت ورميت . وكذلك يقال : اقرأ رقعتى بالتحقيق واقرا

(١) التكملة فيما يلحن فيه العامة للجواليقى ١٣١

(٢) الأضداد لابن الأنبارى ٢٠٨

رقعتى بالتليين ، واقر رقعتى بالترك وهو أقل الثلاثة » .

كما يؤدى سقوط الهمز أحيانا إلى نوع من الاشتقاق الجديد ؛ فإن سقوط الهمز من الفعل : «يوأسى» مضارع : «آ سى» و « يؤدّى » مضارع « أدّى » ، وتحولهما إلى : «يواسى» و «يودّى» مثلا ، هو المسئول عن اشتقاق الماضى الجديد : «واسى» و «ودّى» ، وغير ذلك مما هو شائع فى اللهجات الحديثة .

* * *

وانكماش « الأصوات المركبة » المسماة باللاتينية : Diphthong ، ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير فى اللغة ؛ فتحول الصوت المركب aw إلى ضمة طويلة ممالة ، فى مثل نطقنا لكلمة : «يُوم» و «نُوم» و «صُوم» بدلا من : «يَوْم» و «نَوْم» و «صَوْم» . وكذلك تحول الصوت المركب ay إلى كسرة طويلة ممالة ، فى مثل نطقنا لكلمة : «بيت» و «لِيل» و«عِين» بدلا من : «بَيت» و «لَيل» و «عَين» — كل ذلك سببه إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات .

وقد حدث هذا التطور فى الأصوات المركبة ، فى عصور العربية الأولى ، على على ألسنة العامة ، وهذا هو ما يفهم من كلام ابن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ) فى كتابه : إصلاح المنطق : «وتقول : الكَوْسج ، ولا تقل : الكُوسج ، وهو الجَوْرب ، ولا تقل : الجُورب »[1]. وقد تابع المؤلفون فى لحن العامة من بعده ، التنبيه على هذا التطور ، مثل ما فى كلمتى : « الغَيْرة » و « قَيْح »[2] عند الزبيدى (المتوفى سنة ٣٧٩هـ) وكلمة : «سَوْسَن »[3] عند الحريرى (المتوفى سنة ٥١٦هـ) . و «لَوْح » و «جَيْب »[4] عند ابن هشام اللخمى (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) و «فوق» «جوف»[5] عند ابن الإمام (المتوفى بعد سنة ٨٢٧هـ) و «العَيْش»[6] عند ابن كمال باشا (المتوفى سنة ٩٤٠ هـ) .

---

(١) إصلاح المنطق ١٦٢

(٢) لحن العوام للزبيدى ١٤٤ ؛ ١٨٥

(٣) درة الغواص للحريرى ٧٨

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان ٦٢ ؛ ٦٦

(٥) الجمانة فى إزالة الرطانة ٥

(٦) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ٢٥

وقد تتطور هذه الحركة المالة الناتجة من الصوت المركب، فتصير فتحة طويلة؛ فمثلا كلمة: «فأين» تطورت بعد سقوط الهمز منها إلى «فين» بدلا من: «فَيْن»، وفي بعض اللهجات: «وين» المتطورة عن: «وَيْن» بعد سقوط الهمز من: «وأين». غير أننا نسمع بعض أهالي صعيد مصر، ينطقون الكلمة الأولى بالفتح الخالص، فيقولون: «فان» بدلا من: «فين» الشائعة فيما عدا ذلك في مصر، أي أن التطور في هذا الصوت المركب كان على النحو التالي: $\bar{a} < \bar{e} < ay$

ونلحظ مثل هذا التطور في العربية القديمة، في قول بعض العرب: «إن الرجز لعاب، أي: لعيب. والرجز: ارتعاد مؤخر البعير[1]»، وقولهم: «ماكنت أزعم في خصمي من العاب، يريد: العيب ... ويقال: بَوْع وباع، وصَوع وصاع[2]»؛ كما جاء في قولهم: «تبت إليك فتقبل تابتي، وصمْت إليك فتقبل صامتي، أي: توبتي وصومتي». ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى: إن هذان لساحران. قال ابن عباس رضى الله عنهما: هي لغة بلحرث، وهي قبيلة من اليمن[3]».

وهي تلك القبيلة، التي روى لنا عنها، أنها كانت تلزم المثنى الألف في جميع أحواله؛ فقد قال أبو زيد الأنصاري، في تفسير قول الراجز:

طارت علاهن فشل علاها:

«وعلاها، أراد: عليها. ولغة بلحرث بن كعب، قلب الياء الساكنة، إذا انفتح ماقبلها ألفا؛ يقولون: أخذت الدرهمان، واشتريت ثوبان، والسلام علاكم. وهذه الأبيات على لغتهم[4]».

كما يروى عن أهل الحجاز، أنهم يقولون في: «يَوْجل[5]» «ياجَل»، كما روى لنا في اللغة: «ياءس» و «يابَس» في: «ييأس» و «ييبس[6]»، ومثل ذلك: «القال» بدلا من: «القول» في عبارة: «القيل والقال[7]»

(١) النوادر لأبي زيد ٣
(٢) النوادر لأبي زيد ٥
(٣) شرح مراح الأرواح ١٢٠
(٤) النوادر لأبي زيد ٨ وانظر الصاحبي لابن فارس ٤٩
(٥) المقتضب ١/٩٠ والمنصف ١/٢٠٢
(٦) المقتضب ١/٩٢ والمنصف ١/٢٠٣
(٧) لسان العرب (قول) ١٤/٩١

وكل هذه الأمثلة نتيجة لانكماش الصوت المركب، وتحول الحركة الممالة الناتجة عن هذا الانكماش إلى فتحة خالصة، فيما نعتقد.

* * *

وكذلك اندثار الأصوات الأسنانية في اللهجات العربية الحديثة يعد مظهراً آخر من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة. والأصوات الأسنانية في العربية هي الذال والثاء والظاء، وهي التي تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها. ولا شك أن ذلك جهد عضلي، تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان؛ أما الذال فقد حل محلها الدال في مثل: «دهب» بدلا من «ذهبٌ»، أو الزاى في مثل «زكْر» بدلا من: «ذِكْر» و «زُل» بدلا من: «ذُل». وأما الثاء فقد حل محلها التاء في مثل كلمة: «تَوب» بدلا من: «ثَوْب»، أو السين في مثل: «سابت» بدلا من: «ثابت». وأما الظاء فقد حل محلها الضاد مثل: «ضِل» بدلا من: «ظلّ» أو الزاى المفخمة مثل: «زَهَر» بدلا من: «ظهر»، وغير ذلك.

وقد روى لنا عن العرب القدماء بدايات لهذا النوع من التطور؛ فقد ذكر أبو الطيب اللغوى أنهم قالوا: «الحسالة» في: «الحثالة» و «القنفد» في: «القنفذ» و «البزور» في: «البذور»[1] وغير ذلك.

وقد استمر هذا التطور في اللهجات العامية العربية، في أصقاعها المختلفة؛ فقد روى لنا ابن مكى الصقلى (المتوفى سنة ٥٠١ هـ) قولهم: «التار» في «الثأر» و «جدر الشجرة» في: «جذر الشجرة» كما روى ابن هشام اللخمى (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) قولهم: «جدام» في: «جذام» و «دخيرة» في: «ذخيرة»[3] وكذلك روى لنا الشيخ يوسف المغربى (المتوفى سنة ١٠١٩هـ) قولهم: «فلان

(١) الإبدال لأبي الطيب اللغوى ١ / ١٧٤ ؛ ١ / ٣٥٧ ؛ ٢ / ٦

(٢) تثقيف اللسان ٥ ؛ ١٠٤

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٦

ندل » بدلا من : « نذل » و « ثُوم » بدلا من « ثُوم » و « حنضل » بدلا من : « حنظل »[1] ومثل ذلك ما رواه ابن أبي السرور البكرى (المتوفى سنة ١٠٨٧هـ) من قولهم : « بَدَر الحَبّ » بدلا من : « بذر » « وبردعة » بدلا من : « برذعة »[2] ، وغير ذلك .

* * *

ومن مظاهر قانون السهولة والتيسير كذلك : القضاء على التفريعات الكثيرة ، والأنواع المختلفة للظاهرة الواحدة فى داخل اللغة . وقد حدث ذلك فى اللهجات العربية الحديثة بالنسبة لعلامات التأنيث فى العربية ، فنحن نعرف أن العربية الفصحى تملك ثلاث علامات للتأنيث هى : التاء ، والألف المقصورة ، والألف الممدودة ، كما نلاحظ أن العلامتين الثانية والثالثة ، قد ضاعتا فى اللهجات العربية الحديثة وحلت محلها العلامة الأولى ، وهى التاء فنحن نقول فى : حمراء ، و بيضاء ، وصحراء ، وعمياء ، وميناء ، وعرجاء : حمرة ، وبيضة ، وصحرة ، وعمية ، ومينة ، وعرجة ، كما نقول فى : حبلى وسلمى ، وخبّازى ، وعدوى ، وفتوى حبلة ، وسلمة ، وخبّيزة ،[3] وعدوة ، وفتوة .

والسر فى زوال هاتين العلامتين ، وحلول العلامة الأولى محلهما ، وهى التاء هو ميل اللغة إلى أن تسير فى طريق السهولة والتيسير ، فبدلا من أن يكون فى اللغة الواحدة ثلاث علامات للتأنيث تصبح فيها علامة واحدة لكل أنواع المؤنث .

ونحن نلحظ هذا الميل إلى السهولة والتيسير فى هذه الظاهرة ، فى لغة الطفل الذى نجده يميل إلى تأنيث المؤنث بالتاء وحدها ؛ لأنها هى العلامة الكثيرة الشيوع فى لغة الكبار من حوله فنراه يقول مثلا : «قلم أحمر وكراسة أحمرة » ، وهو بهذا يعمل عن غير قصد

---

(١) دفع الإصر عن كلام أهل مصر ٧١ ؛ ٩٢ ؛ ٩٦

(٢) القول المقتضب ٤٩ ؛ ٩٢

(٣) انظر كتابنا : التذكير والتأنيث فى اللغة ٥

على اطراد القاعدة ، وكل لغة من اللغات تحاول فى تطورها أن تسلك هذا الطريق وأن تجعل قواعدها بسيطة مطردة ،وذلك بالقضاء على التفريعات الكثيرة ، والظواهر الشاذة فيها ؛ وبذلك يصبح صحيحا فى الاستعمال ، ما كان يعدّ خطأ ، من قبل أن يشيع استعماله .

وهذا السلوك قديم فى العامية العربية فقد روى الحريرى (المتوفى سنة ٥١٦هـ) أن الناس فى عصره يلحنون ، فيقولون «الأوّلة » بدلا من : «الأولى ». [1] وقد عثرت على نصين ، يظهر فيهما هذا اللون من التطور فى كلمة : «الأولى » ؛ ففى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : « وقد رجعنا عن الراوية الأوّلة » [2] ، وفى كتاب الواضح المبين فى ذكر من اسشهد من المحبين للحافظ مغلطاى : « ثم جعلت الصورة الأوّلة فى صدر المجلس » [3] .

والقلب المكانى [4] ، وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلى على الذوق اللغوى — هو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك . ويرى فندريس أن «الانتقال المكانى يصدر عن نفس الأصل الذى صدر عنه التشابه ؛ إذ إن مرد الأمر فى كليهما إلى الخطأ ونقص الالتفات ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف فبدلا من تكرار الحركة النطقية مرتين يقتصر على تغيير مكان حركتين ، وأخيرا يبدو الانتقال المكانى ، كما لو أن جزأين فى كلمة واحدة قد تبادلا أحد العناصر ؛ فبدلا من : فنشترا festra (نافذة) يقال فى البرتغالية فرستا festra » [5] .

ولهذه الظاهرة أمثلة لاتحصى كثرة فى العربية الفصحى ؛ فقد خصص السيوطى فى كتابه المزهر فى اللغة (١/٤٧٦-٤٨١) النوع الثالث والثلاثين ،لمعرفة القلب وذكر فيه حوالى مائة كلمة من هذا النوع ؛ مثل :جَذَب وجَبَذ ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، واضمحلّ وامضحلّ

---

(١) درة الغواص للحريرى ٧٧ (٢) تاريخ بغداد ١٨/٥ (٣) الواضح المبين ١٩٧

(٤) تتجه الدراسات الحديثة فى تفسير هذه الظاهرة الآن إلى إحصاء نسبه شيوع الأصوات فى اللغة وذلك باستخدام جهاز الكومبيوتر !

(٥) اللغة لفندريس ٩٤

ولزج ولجز ، والأوياش والأوشاب وغير ذلك . كما ذكر شيئا مما يخص بعض القبائل العربية من هذه المقلوبات كقول بنى تميم مثلا «رعملى» بدلا من : «لعمرى» .

بل إننا لو قارنا العربية ، باللغات السامية الأخرى ، لعثرنا على أمثلة ، حصل فيها هذا القلب المكانى فى العربية على حين احتفظت اللغات السامية بالأصل ، فمثلا كلمة : «ركبة» هى

فى العبرية : (בֶּרֶךְ) béreḵ

وفى الآرامية (ܒܘܪܟܐ) burkā

وفى الحبشية (በርክ) berk

وفى الأكادية : burku فأصل الكلمة على هذا : «بُركة» ثم قلبت إلى : «رُكبة»[1] ، بدليل بقاء الأصل فى الفعل : «بَرَكَ» كذلك . ويقول فى ذلك الأب أنستاس الكرملى : «وقالوا : الركبة ، وكان الحق أن يقال : البُركة ؛ لأنهم اشتقوا منها : برَك ، ولم يقولوا : رَكَب»[2] .

وكذلك كلمة : «مع» فى العربية ، فهى مقلوبة ، وأصلها تقديم العين على الميم ؛ لأنها فى العبرية[3] : ʿim (עִם)

وفى الآرامية : ʿam (ܥܡ)

أما كلمة : «ثغر» فى العربية بمعنى : «فتحة أو ثقب» فإنها تقابل فى اللغة العبرية šāʿar (שַׁעַר) وكان المفروض أن يكون مقابلها فى الآرامية : taʿrā لأن الملاحظ فى أصوات اللغات السامية ، أن الثاء العربية ، تقابل شينا فى العبرية ، وتاء فى الآرامية ؛ كما أن الغين فى العبرية تقابل العين فى اللغتين العبرية والآرامية . ولكن الآرامية حدث فيها قلب مكانى فى هذه الكلمة ، فصارت tarʿā (ܬܪܥܐ) واستعيرت تلك الكلمة المقلوبة من الآرامية فى العربية ، وهى كلمة : «تُرعة» ، وهى شق أو فتحة فى الأرض كما نعرف .

---

(١) انظر : التطور النحوى لبرجشتراسر ٢٢

(٢) نشوء اللغة ونموها واكتهالها ١٠٦

(٣) انظر : التطور النحوى لبرجشتراسر ٢٢

وقد روى لنا المؤلفون فى لحن العامة بعض كلمات القلب المكانى ؛ مثل : «حطب زَجْل» فى : «جزل» و «لطس الكتاب» أى محاه فى : «طلس»[1] و «أرعنى سمعك» فى : «أعرنى»[2] و «رنجس» فى : «نرجس» و «نورق» «رونق» و «دأب» فى : «أدب» و «دناية» فى : «ديانة» و «توفيض» فى «تفويض»[4] و «إحجاف» فى : «إجحاف» و «مأيوس» فى : «ميئوس»[5]

ومن أمثلة القلب المكانى فى اللهجات العامية المعاصرة قولنا : «معْلأة» فى : «ملْعقة» مع تطورات أخرى فيها ، و «اتلوى» فى : «التوى» و «أنارب» فى : «أرانب» و «جنزبيل» فى : «زنجبيل» و «فحر» فى : «حفر» و «جواز» فى : «زواج» و «جوز» فى : «زوج» و «مرسح» فى : «مسرح» و «أهبل» فى : «أبله» و «فعص» فى : «فصع الرطبة» و «فلان يعل» فى : «عَبْل» بمعنى ضخم الجثة ، و «سأَّف» فى : «صفق» مع تطورات أخرى ، و «لخبط» فى : «خلبط» الناتجة بحسب قانون المخالفة من : «خلَّط» ، و «بحلق» المتطورة عن : «محلق» فى : «حملق» ، و «خفس به الأرض» فى : «خسف» و «وَرَّى» فى : «روَّى» الموجودة فى نطق العراقيين ، والمتطورة عن : «رأَّى» ، و «عماويد» فى : «عواميد» ، وقد سمعت شخصية كبيرة تتحدث عن «القماويس» وهو يقصد : «القواميس» ، وكل الأطفال الصغار يخطئون فى كلمة : «جزمة» فينطقونها : «جمزة» ، وقد سمعت طفلا يقول : «فشارة» فى : «فراشة» وطفلة تطلق على «المسمار» كلمة : «ممسار» وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن بعض الكلمات المقلوبة ، بعد أن تشيع على الألسنة ،

---

(١) التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليقى ١٣٣ ، ١٤١
(٢) تقويم اللسان لابن الجوزى ٩
(٣) الجمانة فى إزالة الرطانة لابن الإمام ٢٧
(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا ٣٣ ، ١٣ ، ٢١
(٥) نفائس عرائس الكلام لخسروزاده ١٧

تأخذ مجراها الطبيعى فى اللغة باستعمال باقى المشتقات منها . ولما لم يدرك اللغويون العرب ذلك حكموا بأصالة بعض المقلوبات ، فيقول أبو جعفر النحاس فى شرح المعلقات[1] : «القلب الصحيح عند البصريين ، مثل : شاكى السلاح وشائك ، وجرف هار وهائر . وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو : جبذ وجذب ، فليس هذا بقلب عند البصريين ، وإنما هما لغتان» .

ويقول السخاوى فى شرح المفصل[2] : «إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدرا ؛ لئلا يلتبس بالأصل ، بل يقتصر على مصدر الأصل ؛ ليكون شاهدا للأصالة ، نحو : يئس يأسا ، وأيس مقلوب منه ولا مصدر ، فإذا وجد المصدران حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل وليس بمقلوب عن الآخر ، نحو : جبذ وجذب . وأهل اللغة يقولون : إن ذلك كله مقلوب » .

ويقول الحريرى[3] : «قال شيخنا أبو القاسم الفضل بن محمد النحوى رحمه الله : فأما قولهم : جذب وجبذ ، فليست هاتان اللفظتان عند المحققين من النحويين من قبيل المقلوب ، كما ذكر أهل اللغة ، بل هما لغتان ، وكل واحدة منهما أصل فى نفسها ، ولهذا اشتق لكل منهما مصدر من لفظه ؛ فقيل فى مصدر جَبَذَ :جَبْذٌ ، كما قيل فى مصدر جَذَبَ : جَذْبٌ » والله أعلم .

---

(١) شرح القصائد التسع ٤٣٠ وانظر : المزهر للسيوطى ١ / ٤٨١

(٢) عن المزهر للسيوطى ٤٨١/١

(٣) درة الغواص فى أوهام الخواص ١١٦

في القرآن والعربية : (٤)

الصراع بين القراء والنحاة

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

(ح) في الكمية (الحذف والزيادة) :

أولا : المعروف أن الوقف من مواطن* التغيير ، ففيه يكون الحذف أو الإبدال أو التضعيف ، أما الوصل فمما تجرى فيه الأشياء على أصولها ، ولكننا رأينا نمطا آخر من الحذف ـ وهو حذف الحركة أو اختلاسها في حالة الوصل ـ فإذا قلت « لقيتهو أمس » أثبت الواو في الوصل ، وأما إذا وقفت عليها قلت « لقيته » بالسكون ـ فالوقف كما ترى قد ترتب عليه الحذف ، وأما الوصل فيعطي الكلمة حقها كاملا ؛ ولذا كان الوصل عندهم أشرف من الوقف بل أقوم وأعدل كما يقول ابن جني[1] وذلك لأن الفائدة لا تكون إلا حيث الجمل ومدارج القول هذا هو المعروف في الفصحى ـ ولكن عثرت على عدد من النصوص فيها يظهر الحذف في أثناء الوصل أيضا كحاله في الوقف على غير المعتاد وأدلة هذا :ـ

١ ـ ماجاء في الجمهرة ليعلى الأحول :

فبتُّ لدى البيت الحرام أخيلهُ
ومطوايَ مشتاقان (لَهْ) أرقان[2]

٢ ـ وروى صاحب اللسان عن قطرب قول الشاعر :

وأشرب الماءَ مابي نحوهو عطشٌ
إلا لأن (عُيُونَهْ) سال واديها[3]

---

* انظر مجلة المجمع ج ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(١) الخصائص ؛ ٢/٣٣١

(٢) الجمهرة ٣/١١٨ مطواى : صاحباى ، وضمير ـ أخيله و ـ له عائد إلى البرق .

(٣) اللسان : ٢٠/٣٦٧

٣ـ كما أنشد أبو حزام العكلي :

لي والدٌ شيخ (تَهُضُّهْ) غيبتي
وأظنّ أنّ نفاد (عمرهْ) عاجل[1]

٤ ـ وأنشد أبو عبيدة في كتاب المجاز

وقال ربيئهم لما أتانا
(بكفِّهْ) فومة أو فومتان[2]

وروى ابن جني في خصائصه :

إن لنا لَكَنَّة
مِبَنَّةً مِفَنَّة

إلى أن قال :

كالذئب وسط القُنَّة
إلا (تَرَهْ) تظنّه[3]

والمتبع أن هذا الضمير في الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه أو ياؤه كما في (نحوهو) في البيت الثاني، وكان المتبع في البيت الثالث والرابع أن يكون (تهضّهو) (بكفهى) لأجل الوصل، كما أن البيت الأول يجب أن يكون الضمير فيه (مشتاقان لهو أرقان) بدل (لَهْ) ولكن كثرة من النحاة ذهبوا إلى أن هذا الحذف[4] ضرورة، بل ذهب أبو إسحاق الزجاج أنه غلط بيِّن[5].

وينقل صاحب الخزانة عن ابن السراج أن هذا من قبيل الضرورة عندهم، ويعلل لهذا بأنه جاء في الشعر حذف الواو والياء الزائدة في الوصل مع الحركة، كما هي في الوقف[6] سواء، وقول ابن السراج «بأنه جاء في الشعر» دليل على أنه ضرورة، وثانيا على أنه لم يأت في النثر. ويبدو أن سيبويه هو الآخر كان يقول في مثله بالضرورة بدليل قول أبي حيان «ولم يحكها سيبويه[7]»

(١) المرجع السابق

(٢) الجمهرة : ٣ / ١٦٠، مجاز أبي عبيدة : ١/ ٤١ والفوم : الزرع أو الحنطة والسنبل .

(٣) الخصائص : ١/١٢٨ دار الكتب : الكفة امرأة الابن والأخ . مبنة ـ كثيرة الكلام، مفنة قادرة على فنون الكلام .

(٤) ضرائر الألوسي : ٨٣

(٥) البحر : ٢ / ٤٩٩

(٦) الخزانة : ٢ / ٤٠١ ـ ٤٠٢

(٧) البحر المحيط : ٨ / ٥٠٢

وكأن سيبويه ينكرها أن تكون لهجة .

ثانيا : ومن قبيل الاستغناء بالكسرة القصيرة عن الكسرة الطويلة ، والاستغناء بالضمة القصيرة عن الضمة الطويلة ما يكون فى ضمير الغائب والغائبة المتصل . قال مالك الهمدانى :

فإن يك غثًّا أو سمينا فإننى
سأجعل عَيْنَيْه لنفْسِهِ مقنعا[1]

وقول الشماخ :

له زجل كأنّهُ صوتُ حادٍ
إذا طلب الوسيقةَ أوزميرُ[2]

وقول حنظلة بن فاتك :

وَأَيْقَنَ أَنَّ الخَيْلَ إنْ تلْتَبِسْ بِهِ
يكن لِفَسيل النَّخلِ بَعْدهُ آبرُ[3]

وقول ذى الخِرق الطُّهَوى فى وصف الذئب

ألم تعجب لذئب بات يعْوى
لِيُؤْذِنَ صاحِبًا لَهُ بالّلحاق[4]

ويرى النحاة أن هذا كله بابه الضرورة ، وفى ارتشاف الضرب لأبى حيان أن هذا لغة عقيل وكلاب وأسد السراة[5] . إلا أننى أرى أن هؤلاء جميعا قد جانبوا الصواب – أو جانبهم ، وذلك لأننى اتجهت إلى القرآن الكريم كعادتى فى كل مشكلة ، فوجدت أن عدة آيات كريمة قرئت على نمط الأبيات السابقة أى بتسكين الهاء المضمرة – فى حالة الوصل ، وهى :

١– قوله تعالى « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها[6] » فقد قرأ قالون والحلوانى عن هشام

(١) الكتاب : ١/١٠ يصف الشاعر ضيفا قدم إليه ما عنده من القرى ليختار منه أفضله لعله يقنع بذلك .

(٢) الخصائص : ١ – ١٢٧ ، ٢–١٧ والبيت فى وصف حمار وحشى

(٣) الكتاب ١ – ١١ ، ١٢ يصف شجاعا . علم انه إن ثبت وقتل ، بقى من يخلفه . آبر النخل : مصلحه .

(٤) مجالس ثعلب : ١٨٤

(٥) ١٢٣١

(٦) سورة آل عمران : آية : ١٤٥

باختلاس الحركة فى (نؤته) – كما قرأ آخرون بالسكون (نؤتهْ)[1] .

٢ – وجاء فى اللسان أن اللحيانى أسند إلى الكسائى قوله : سمعت أعراب عقيل وكلاب أنهم – يجزمون الهاء فى الرفع ويرفعون بغير تمام ، ويجزمون فى الخفض ويخفضون بغير تمام فيقولون « إن الإنسان لربِّهْ لكنود » بالجزم « ولربهِ لكنود » بغير تمام[2] .

٣ – وفى قوله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى[3] » فقد نقل ابن خالويه عن إبان بن تغلب (نحشرهْ) بسكون الهاء[4] . وجاءت رواية مماثلة فى البديع[5]

٤ – وفى قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »[6] وقرأ هشام وأبو بكر بسكون الهاء فيها (يره) ثم قال أبو حيان والإسكان فى الوصل لغة حكاها الأخفش ، كما حكاها الكسائى أيضا عن بنى كلاب وبنى عقيل[7] .

٥ – قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة والأعمش قوله تعالى : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدِّه إليك[8] » بسكون الهاء وصلا فى يؤدِّه. كما روى الكسائى أن لغة عقيل وكلاب – أنهم يختلسون الحركة فى هذه الهاء وأنهم يسكنون أيضا[9] .

٦ – كما قرأ بالحذف والإسكان فى قوله تعالى « يرضه[10] لكم » وقوله تعالى « أرجه[11] وأخاه » فقد قرأ عاصم بإسكان الهاء فى (أرجهْ) وقوله تعالى « طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله[12] » وقوله

---

(١) البحر المحيط : ٣ – ٧١
(٢) اللسان : ٢٠ – ٣٦٧
(٣) سورة طه : آية : ١٢٤
(٤) البحر : ٦ / ٢٨٧
(٥) مختصر شواذ القرآن ـ ٩٠ ابن خالويه
(٦) سورة الزلزلة آية : ٨،٧
(٧) البحر ٨/٦٠٢
(٨) آل عمران آية : ٧٥
(٩) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦
(١٠) سورة الزمر ٧
(١١) سورة الأعراف : ١١١ ، وسورة الشعراء : ٣٦ وانظر الإتحاف ٣٦
(١٢) سورة يوسف اية : ٣٧

تعالى « إن لم يره أحد[1] » فقد قرأ بالإسكان هشام كما ورد عن ابن عباس أنه قرأ ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا[2] بسكون الهاء ؛ من (ابنه)، وعقب على تلك القراءة ابن عطية وأبو الفضل الرازى بأنها : على لغة لأزد السراة[3] ، وقال ابن جنى فى المحتسب « وأما ابنهْ -يجزم الهاء- فعلى اللغة التى ذكرناها لأزد الشراة[4] ».

وقد أتيت بتلك الإحصائية لهذه الظاهرة ، حتى تكون حاجزا منيعا فى وجه عبث النحاة وحملهم هذه الظاهرة على الضرورة ، بل بعض هؤلاء النحاة قد تجرأ فخطأ هذه القراءات القرآنية السابقة كأبى إسحاق الزجاج حيث يقول « والإسكان الذى روى عن هؤلاء (يقصد القراء) غلط بين ؛ لأن الهاء لاينبغى أن تجزم ، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن فى الوصل[5] ، ومثله السيرافى فى شرح سيبويه[6] كما حكى عن أبى العباس المبرد أنه قال : ماعرفت وما علمت - أن أبا عمرو لحن فى صميم العربية إلا فى حرفين... والآخر « يؤدهْ إليك » ثم قال ولا يجوز إسكان الهاء إلا فى ضرورة عند بعض النحويين ومنهم من لايجيزه البتة[7] ».

وواضح وهن مايقوله الزجاج وأعوانه من النحويين ؛ لأن مايعلل به للطعن فى هذه القراءات عليه مسحة المنطق واللهجات والقراءات لايصح أن نخضعها للمنطق ؛ لأنها مأثورة منقولة ولاتخضع لهوى النحاة وقوانينهم العقلية ، كما أننا لسنا مكلفين بأن نعتبر بأقوال النحاة وقوانينهم المنطقية ، ثم إن هذه القراءات منقوله عن إمام البصريين أبى عمرو بن العلاء - العربى الصريح ، والقارئ الذى لا يتهم ، ومنقولة أيضا عن الكسائى - شيخ المدرسة الكوفية - وحسب هذان الرجلان تثبتا وعلما ، فى علوم القرآن واللغة ، ثم إن حقل العربية ليس مقصورا على النحاة وحدهم - يعبثون

---

(١) سورة البلد : ٧ (٢) سورة هود : ٤٢ (٣) البحر : ٥ / ٢٢٦

(٤) المحتسب فى شواذ القراءات : ١ / ٤٠٢ مخطوطة بالتيمورية .

(٥) البحر : ٢/٤٩٩

(٦) شرح السيرافى على سيبويه ١ ٢٦٤ مخطوط بمكتبة أحمد تيمور .

(٧) نزهة الألباء : ٢٩٢ تحقيق محمد أبو الفضل .

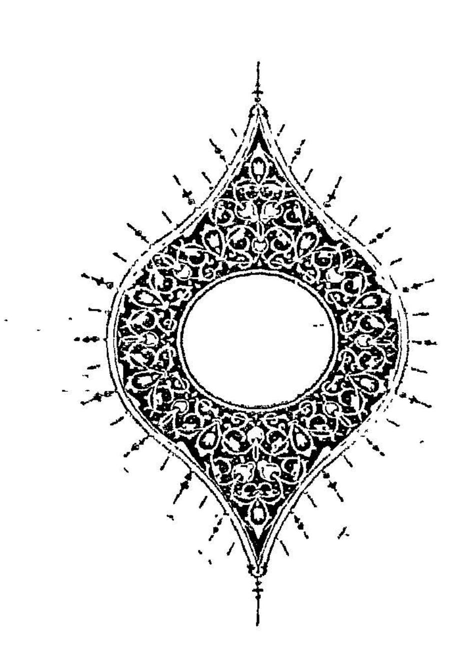
ويقننون فيه حسب هواهم وميولهم :
فإذا ثبت – وقد ثبت – أن من القراء جماعة من النحويين – فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم . ثم إن ما ينقله النحويون آحاد ؟ ونقل القراء فى تلك القراءة متواتر ، فالقراء أعدل ، فإذا أضيف إلى ذلك : أن تلك القراءة – التى وافقت لهجة عقيل وكلاب سبعية – كان موقف النحاة أوهى من بيت العنكبوت لأن القراء نقلوها عن صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم فهم لا يقرءون إلا بمأثر . وهم متبعون لا مبتدعون ويبدو من تاريخ الزجاج أنه كان دائب الطعن والخصومة ، يقول عنه أبو حيان « وأبو إسحاق الزجاج يقال عنه ، إنه لم يكن إماما فى اللغة ، ولذلك أنكر على ثعلب فى كتابه الفصيح مواضع زعم أن العرب لا تقولها – ورد الناس على أبى إسحاق فى إنكاره ونقلوها من لغة العرب [1] »
وهنا أمر لابد من ملاحظته ، يقوى مذهب القراء القائلين بأنها لهجة ويدحض جانب النحويين بأن هذه الظاهرة – ضرورة – وهو أن البيت الأول من الشواهد التى سقتها آنفا هو ليعلى الأحول – وإذا توجهنا إلى كتب الأنساب نسألها عن قبيلة هذا الرجل أخبرتنا أنه من شكر : وهى بطن من الأزد ، من القحطانية [2] ، ومعروف مما سبق أن القراء عزوا هذه الظاهرة إلى أزد السراة ، فكأن هذا البيت الذى نطق به يعلى الأحول يجب أن يكون إسكان الضمير فى (له) لغة لقبيلته – لا صنعة ولا ضرورة ، كما يقول السيرافى [3] فى شرحه على كتاب سيبويه ، وبذلك نجد شاهدا من أحد رجال القبيلة الأزدية – على ظاهرة لهجية أزدية ، أكدها القراء ، بل قرأ بها منهم أئمة ثقات فى قراءة سبعية لا مجال لإنكارها أو النيل منها . ثم إن هذه الظاهرة قد وردت فى النثر ، وذلك أن الكسائى سمع أعراب كلاب وعقيل يقولون : لهْ [4] مال : بسكون الهاء .

(١) البحر المحيط : ٢/٥٠٠
(٣) شرح السيرافى : ١/٢٦٤ مخطوط
(٢) معجم قبائل العرب : ٢/٦٠٣
(٤) البحر : ٣/٧١ واللسان : ٢٠/٣٦٧

وأرى أنه لا ضرورة فى النشر كما لا ضرورة فى القرآن الكريم ، وقد احتج ابن خالويه للقراءة القرآنية التى جاءت على لهجة القبائل بقوله « فمن قرأ « أرجه وأخاه » بالسكون فحجته — أنه توهم أن الهاء آخر الكلمة فأسكنها دلالة على الأمر — أو تخفيفا لما طالت الكلمة بالهاء [1] »

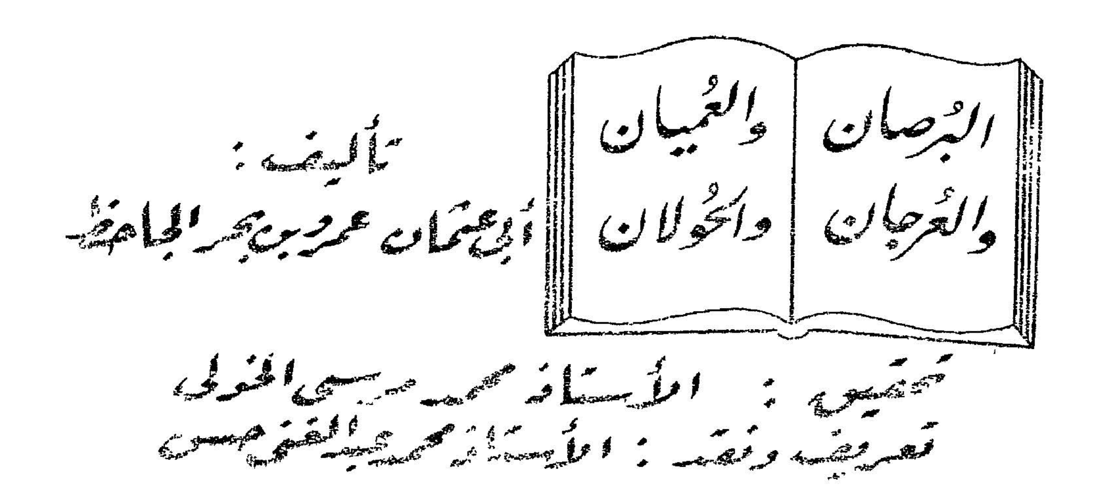
(للبحث بقية)

أحمد علم الدين الجندى



---

(١) الحجة لابن خالويه . ورقة : ٥٠ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .



يقول محقق هذا الكتاب فى التقديم له : (هذا الكتاب كتاب نادر . مما جادت به قريحة شيخ العربيـة وأديبهـا الأكبر أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .... نادر فى وجوده ونادر فى مادته . أما فى وجوده فقد كان مفقودا تماما . ولم يعثر على نسخة منه إلا منذ زمن قريب . ويبدو أنه كان نادرا كذلك فى العهود القريبة من عهد المؤلف . ذلك لأننا لا نرى له ذكرا فيما عدا كتب الجاحظ نفسه . إلا فى عدد قليل جدا من المراجع ...)

وعجيب جدا أن تختلف حظوظ المؤلفات التى ألفها الجاحظ ما بين إقبال وإدبار . وسعد ونحس . ورواج وكساد . فإن من كتب الأديب الجاحظ ما انعقدت له شهرة ودار دوران النجوم ، وسار مسيرة الشمس فى كل زمان ومكان ، مثل البخلاء والحيوان والبيان والتبيين . ومنها مالم تره عين، ولم تسمع به أذن إلا الآذان الواعية ، والعيون المتفتحة ، مثل كتاب (البرصان والعرجان والعميان والحولان ...) فما السر فى هذا الكساد الذى لم ينكب به كتاب من كتب الجاحظ ؟

أهو نفاسة الكتاب وقيمته الكبيرة التى جعلت الناس يضنون به فى خزائن كتبهم الخطية ، فلا يسمحون له بأن يعار أو يخرج من بطون الديار ؟ أهو عنوانه الذى يوهم أنه من كتب الطب المنفرة من مثل هذه الآفات والعلل المزعجة التى قل أن يلتفت إليها إلا أهل الاختصاص ، والقلة من الخواص ؟

أهو ندرة ما انتسخ منه ، فلم تتوزع

نسخ خطية منه على محبي الكتب إلا على أضيق نطاق ، وأصغر مجال ؟

وأيا ما كان الأمر فقد استطاع قدرسعيد أن يحفظ هذا الكتاب من الضياع . وأن يبقى عليه لكي يجيء محقق مصرى بعد أكثر من أحد عشر قرنا فينشره على الناس . ويلقى عليه من الأضواء مايمزق به عن ظلمات الحجب التى كان غارقا فيها خلال تلك القرون .

والنسخة المنفردة الوحيدة فى العالم كله شرقيه وغربيه التى بقيت من هذا الكتاب هى نسخة عثر عليها فى المغرب منذ أربعين عاما لانزيد . وإذا كان لابد من عزو الفضل إلى أصحابه ، والجهد المخلص إلى أربابه ، فإن الدكتور صلاح الدين المنجد المحقق الباحث المعروف هو صاحب الفضل فى تصوير هذه المخطوطة وجلبها إلى خزانة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

ولن نتحدث هنا عن هذا الكتاب والظروف التى مرت به فإنما ندع ذلك للمقدمة المفيدة الطريفة التى كتبها المحقق الأستاذ محمد مرسى الخولى وصدر بها الكتاب فى طبعته الأولى التى نشرتها دار الاعتصام للطبع والنشر ببيروت والقاهرة من عهد غير بعيد .

والكتاب طريف فى موضوعه : فهو لايتحدث عن أصحاب العاهات حديث شماتة أو مجرد أخبار ، ولكنه يجعل من هؤلاء المؤوفين مثلا عالية فى الذهاب فى آفاق الحياة إلى أبعد نطاق . فلم تتعد بهم عاهاتهم عن إدراك غاية مما يسعى إليه القادرون الأشداء الأصحاء . ولم تقف الآفات والعلل — على عظم خطرها ، أو بشاعة منظرها — حجر عثرة فى طريقهم ، ولم تقعد بهم عن أن يصلوا إلى مراتب الزعامة والقيادة وسيادة الرجال . فهو كتاب يحيى الهمم لايميتها ، ويشحذ العزائم لايثبطها .

ويمتعك الجاحظ فى خلال الحديث عن الآفات والعاهات البشرية - كالبرص والعرج والعمى ، والحول - بالأمثلة الحية المستمدة من واقع التاريخ العربى الإسلامى للرجال ؛ فهو يضع يديك على رجال بأعيانهم أصيبوا ببعض العاهات ولكنهم لم يذلوا لها ، ولم يخضعوا لسلطانها ، بل حاولوا التعويض عن النقص الجسدى ، بفضائل جسدية أونفسية أخرى . يكون فيها عزاء عما أصيبوا به ، أو نكبوا فيه ...ثم لايلبث أن يقص عليك من أخبار هؤلاء الأفذاذ ماتجد فيه أدبا خالصا ، وفضلا ذائعا . ثم لايلبث أيضا أن يستطرد فى الحديث من علة إلى علة ، ومن آفة إلى آفة ، ولايقف

عند الآفات فى الإنسان ، بل يتجاوزها إلى العلل فى الحيوان والنبات ، على عادته فى التتبع ومواصلة البحث .

والحق أن المحقق قد بذل فى تحقيق هذا الكتاب ماوسعه من الجهد . وإن كان محتوى الكتاب أكبر من جهده ، وأوسع من طاقته ، وأضخم من إمكانياته المتاحة ... ففى الكتاب مثلا شعر كثير يكاد ينفرد الجاحظ بروايته فلا يجده الباحث فى كتاب آخر يستعين به على تحقيقه وتقويم نصه . ومن هنا جاءت العقبة ، وخاصة أن المخطوطة المحققة وحيدة فى العالم كله ، لاثانى لها ، ولا مؤنس لها . ما أشق تحقيق النسخة الخطية المفردة . لأن مقابلة النصوص تعين على توضيح النص المراد . كما أن الجاحظ كثيرا مايستشهد بشعر مجهول لايعرف أين مظنة وجوده ، ولا من هو قائله ... فيختلط الأمر على المحقق مهما كان مبلغ علمه ، وقدر إحاطته . ومن هنا كان تحقيق هذا المخطوط النادر للجاحظ عملا تعيا به الفحول ، ويعجز عنه المتمرسون بتحقيق التراث . وقد التمس محققنا الفاضل لنفسه العذر فيما قد يقع فيه من أوهام يكشف عنها قارئ واع أو باحث فطن ، فقال فى المقدمة ، وكأنه يمهد لنفسه عذرا : (أما التحقيق فقد بذلت فيه من الجهد ما الله وحده عالم به والمهتمون كذلك بالمخطوطات وتحقيقها يدركون مافى تحقيق المخطوطات ذات الأصل الواحد من الغرر والمزالق التى تزل بها قدم الحريص الواعى المتمكن . وقد يهون الأمر إذا كان الكتاب ذا موضوع عام يجد له محققه من المراجع الكثير الذى يعوضه عن النسخة الواحدة . فما بالك والنسخة ذات خط مغربى ، كثيرة التحريف والسقط ؟ ثم إن موضوع الكتاب موضوع فريد لاتجد له كثيرا من المراجع التى تأخذ بيدك فتمهد لك الطريق) :

على أن الأعذار التى قدمها المحقق ومهد لنفسه بها بين يدى رسالته الجليلة فى المقدمة ، لاتسقط عنه المسؤولية التى اضطلع بها منذ تولى العمل فى تحقيق الكتاب . فلو أنه ضاعف من جهده بعض الشئ لتفادى كثيرا من الأوهام التى وقعت فى التحقيق ، ولسد الخلل الذى يشوه هذا المؤلف الثمين للجاحظ ، ولأغنى القارئ والباحث عن كثير من المزالق التى وقع فيها . ولكنه على كل حال مشكور على مابذل من جهد ، فإنه لم يجنح إلى تواكل ، أو يفتر عن سعى ، ولكن الكتاب حقا على تفرد نسخته ، ورداءة خطه المغربى ، وندرة موضوعه ، وعدم دوران الشعر الذى فيه على المراجع المتداولة ،

والمصادر المألوفة المعروفة يجعل من تحقيقه عملا صعبا بالغ الصعوبة، ثم زادت هذه الصعوبة بأخطاء الطبع الكثيرة التى ضخم منها وجسم فيها أوهام الضبط بالشكل الكثيرة حتى بات مايستحق السكون مضموما ؛ وما يستوجب الفتح مكسورا ، بصورة تستفز السخط وتستثير الغضب ، فقد كان عن ذلك مندوحة وخاصة أن حروف المطبعة جيدة، وورق الكتاب جيد . فلم يكن هناك محل - مع همة المحقق وعزمته - لوقوع هذه الأخطاء التى شوهت من قدر هذا الكتاب الثمين الذى يرى نور المطابع لأول مرة .

ولن يتسع المجال هنا لتقصى ماورد فى التحقيق والضبط من أوهام ، ولكنا سنكتفى ببعض النماذج استدلالا بالقليل على الكثير ، راجين أن يتاح للمحقق الفاضل: الدكتور محمد مرسى الخولى من العافية والاطمئنان مايعينه على مراجعة التحقيق مرة أخرى حتى يظهر كتاب الجاحظ فى طبعة جديدة موفية على الكمال ، متناسبة مع خطر الكتاب وقيمته وجلال موضوعه . وإلى القارئ الكريم بعض هذه النماذج :

ـ صفحة ح من المقدمة : (أن هؤلاء قالوا فى محنتهم أدب كثير ، فمنهم الصابرومنهم الجازع ، كما قالوا فى تغلبهم على ضعفهم أدب ـ أكثر) . والصواب : أدبا كثيرا ، وأدبا أكثر .

ـ صفحة ك من المقدمة : (والمهتمين بالمخطوطات وتحقيقها يدركون ...) والصواب : والمهتمون .

ـ صفحة ٦ من الكتاب : (وليس سوء الظن فى الجملة بالمذموم ، ولا بحسن الظن بالمحمود ...) والصواب : ولا حسن الظن .

ـ صفحة ٨ : (وكذلك حكم عن غسل الموتى (والصواب : من غسل الموتى .

ـ صفحة ١١ : (وهما لايستقذران ولا يتقزز منها ولا يتعديان ولا يظن ذلك بهما ، ولا ينقصان من تدبير ...) والصواب : ولا يُعديان . بضم حرف المضارعة لأن الفعل رباعى . ولاينقصان : بفتح حرف المضارعة ، لأن الفعل : نقص : ثلاثى لا رباعى .

ـ صفحة ١٨ ، ورد البيت الاتى هكذا من الشعر المنسوب لأبى طالب :

وأنا ابن بجدتها فى صبابتها
وسليل كل مسود مفضال

والشطر الأول مضطرب مكسور الوزن

ـــ صفحة ٢٧ ، ورد البيت الآتى هكذا :

فحبسناهم حتى أضاء لنا

من الصبح مشهود الشواكل أبلق

والشطر الأول من البيت مضطرب مكسور الوزن

ـــ صفحة ٢٧ : (وسموا أيضا قصر السموءل* بن عادياء : الأبلق (بوضع شدة وضمة على الميم من الفعل : سموا ، والصواب أن توضع شدة وفتحة ، لأن الفعل : سمىّ معتل بالألف ، فيفتح ماقبل الواو . وقد تكرر هذا الوهم الغايظ فى صفحات تالية منها ص ٢٨ ، ٦٨ ، ٧٢ .

ـــ صفحة ٣١ : ورد البيت الآتى للشاعر النابغة الذبيانى هكذا :

بوجه الأرض لايعفو لها أثر

يمسى ويصبح فيها البلق ضلالا

والشطر الأول مضطرب مختل الوزن

ولم أهتد لصوابه على هذه الصورة ، إلا أن روايته فى ديوان النابغة هكذا :

ما إن يبل ولم يوجد به أثر إلخ ...

ـــ صفحة ٣٩ : (وليس يعترى السودانُ من كى البلاء كالذى يعترى* الشقرانُ) بضم كلمتى : السودان ، والشقران ،

والصواب فتحهما لأنهما منصوبان على المفعولية لامرفوعان على الفاعلية ...

ـــ صفحة ٤٠ : جاء البيت الآتى مضبوطا بالشكل هكذا :

فيا منكمو أبناءُ بكرين وائل

لغارتنا : إلاذلول موقع

بضم الهمزة الأخيرة من كلمة أبناء ، والصواب فتحها لأنها منادى محذوف منه حرف النداء

ـــ صفحة ٤٧ جاء البيت الآتى من شعر معاوية بن سنان الكلبى :

فقام فتى وشوشى الذرا

ع لم يلبث ولم يتهتمم

والشطر الثانى مكسور ، لأن صوابه : لم يتلبث .

ـــ صفحة ٤٨ : (وإنما صارت ألوانُ سكان إقليمَ بابلَ) بفتح الميم من كلمة :

أقليم ، والصواب كسرها ، فلا مقتضى هنا للجر بالفتح نيابة عن الكسر ، لأنه ليس من مواضعه .

ـــ صفحة ٥٩ ، ورد البيت الآتى من شعر أوس بن حجر :

ففات من فات من عامر

ركضا ، وقد أعجل أن يلجما

والشطر الأول مكسور لأنه ناقص .
وصوابه : ففات من قد فات من عامر

ـــ صفحة ٦٣ ، ورد البيت الآتي من شعر عجلان بن سحبان مضبوطا بالشكل هكذا :

ولا كأخي ذُهَل إذا قام قائلا
ولا الأسلع الحمال حين يجيب

وقد ضبطت : ذُهَل بفتح الهاء على وزن : مضر . وهو وهم ، والصواب : ذُهْل بتسكين الهاء كما هو اسم القبيلة المعروف . وقد تكرر هذا الوهم في ص ٦٥

ـــ صفحة ٧٥ ورد البيت الآتي من شعر السيد الحميرى :

فيانفس حتى متى تَلْيِطّين
على الخائن الأول المرتشى

والشطر الأول مكسور ، لأن الفعل ليس تليطين كما ضبطه المحقق ، ولكنه : تلتطين ، وماضيه : التطى ، أى التصق

ـــ صفحة ٨١ : (وزعموا أن بنى نمير برصا) ، وصوابه : بُرْص لأنه لاداعى لنصبه مع وجود الحرف : أن .

ـــ صفحة ٩١ : ورد البيت الآتي من شعر جرير هكذا :

إذا ظل يحسب كل شخص فارسا
ويرى نعامة ظله فيحول

والصواب : إذ ، كما في ديوان جرير ص ٤٧٥ . والبيت ينكسر وزنه مع إذا

ـــ صفحة ١٠٦ : (حتى صاروا إذا سلُوا السمن طيبوه بها (بضم اللام من الفعل : سلوا . والصواب فتحها . لأن الفعل : سلى معتل بالألف ، فيفتح ما قبل الواو . شأنه في هذا شأن الفعل : سمىّ الذى ذكرناه من قبل .

ـــ صفحة ١١٣ ، ورد البيت الآتي من شعر النابغة الذبيانى هكذا :

هذا غلام حَسَن وجه
مستقبل الخير ، سريع التمام

والصواب : وجهه ، بهاءين : الهاء الأولى من بنية الكلمة ، والثانية هاء الضمير

ـــ صفحة ١٢٢ ، ورد البيت الآتي من شعر ابن صعصعة هكذا :

وقد فتن الناس في دينهم
وخلاّ ابن عفان حزنا طويلا

وقد رسم الفعل : خلىّ بمعنى ترك ، بالألف ، والصواب : وخلى

ـــ صفحة ١٣٨ ، جاء البيت الآتي :

ياأعرج الرجل ، صغير الجرم
وناقص الصور ، خبيث الاسم

وقد فسر المحقق في هامش الكتاب لفظة الصور ، بأنها (جمع صورة . وهي الشكل) وليس هذا بصحيح . والصحيح أن الصور لفظ مفرد . لا جمع ، بمعنى صفحة العنق .

— صفحة ١٤٠ . ورد اسم عمرو بن العاص بغير واو في لفظة عمرو . وهو من أخطاء الطبع .

— صفحة ١٤٦ . ورد الرجز التالي هكذا .

تمشي اليها سيمات نهد
مشي العذارى بينهن ود

ولا معنى للسيمات هنا ، بالأضافة إلى أن الوزن مختل بها . والصواب :

تمشي إليها ذو سمات نهد

— صفحة ١٥١ جاء الرجز التالي لأبي نواس في رثاء خلف الأحمر :

كنا متى مانشأ منه نغترف
رواية لا تجتني عن الصحف

والشطر الأول مضطرب الوزن . وصوابه كما في ديوان أبي نواس :

فكلما نشاء منه نغترف ...

— صفحة ١٥٨ . ورد البيت الآتي هكذا :

أعيني فابكي شبابا وأعولي
إذا أجدب الماشي وقل اللواقح

والشطر الأول مكسور . وواضح أنه ينقصه بعض الحروف لتكتمل التفاعيل

— صفحة ١٨٩ . ورد الرجز الآتي هكذا :

ياسعد كيف أنت إذا أصحابي
عاتبتهم فتركوا عتابي

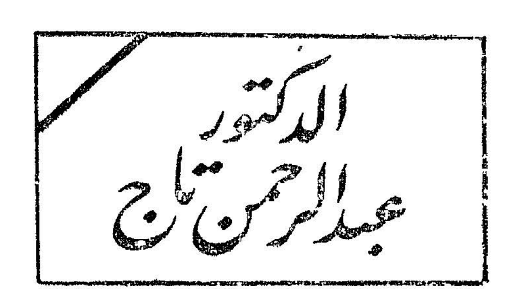
والشطر الأول مختل الوزن ، وصوابه . (إذ) بدلا من (إذا)

وبعد : فلا أود أن أطيل في ذكر نماذج مما وقع في كتاب (البرصان والعرجان) من أوهام التحقيق . فذلك باب إذا انفتح لا يسد . وأرجو أن يرزق الله محققه — وهو من علمائنا مضاء عزم . وجلد صبر — إلى إعادة تحقيقه على وجه يقارب ما تركه عليه الجاحظ . حتى ينتفع به على وجه تتم به الفائدة . وبتحقق المصلحة . والله الموفق

محمود عبد الغني حسن

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ هـ (الموافق ٢١ من مايو سنة ١٩٧٥ م) أقام المجمع حفل تأبين للمغفور له صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج عضو المجمع .

وفيما يلي ما ألقي في الحفل :



كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مدكور – رئيس المجمع في تأبين المغفور له

نجتمع اليوم لنودع شيخاً جليلا ، وإماماً كبيراً : شيخاً في علمه ودرسه ، وإماماً في صائب رأيه ، وسديد حكمه . لقد كان من بقايا السلف الصالح الذين امتلأ قلبهم بالإيمان الصادق ، واتسع صدرهم لكل جديد نافع . عرفناه بيننا منذ عدة سنين ، فأعطى مجمعنا هذا ما استطاع أن يعطي في سخاء كبير ، وعناية تامة ، لم يقعد به عن جلساته إلا مرض قاهر ، أو ضعف ظاهر ، هذا إلى أنه غذاه بأبحاث ستبقى على الدهر تراثا عربياً إسلامياً ممتازاً لا يجاريه فيه كثيرون . أخذنا عنه كثيراً ، وكنا نود أن نأخذ أكثر ، ولكن هذه سنة الله في خلقه ، تغمده الله برحمته ، وجزاه عن أمته ولغته خير الجزاء .

وسيتولى أستاذنا الفاضل الشيخ على الخفيف أن يقول كلمة المجمع فيه . وبعد ذلك ستكون الكلمة لأسرة الفقيد رحمه الله .

والكلمة الآن للأستاذ الشيخ على محمد الخفيف :

•• كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس ، زملائى ، سادتى :

إن للحياة فى هذه الدار أنماطا متعددة وصورا مختلفة . فمن الناس من يحيا فيها بسلامة جسمه وقوة عضلاته ، ومنهم من يحيا فيها بسمو منصبه ووفرة ثرائه ، ومنهم من يحيا فيها بعلمه وعمله وابتكاره ، ولكل من هؤلاء وغيرهم أجله الذى إذا جاءه انقطع حبل حياته وانتهى منها وجوده ، إلا من كان له فى الناس ذكر بما ترك فيهم من علم يتدارسونه ، وأبحاث يهتدون بها . وأنماط من المعرفة تستنير بها بصائرهم ، وتزدهر بها معارفهم ، وتزول بها شكوكهم ، وتنكشف لهم بها حقائق مشكلاتهم . وعندئذ تمتد حياتهم ببقائها فيهم ، وهى باقية مابقى فى الدنيا حياة ، وما بقى لأهلها عقول وطموح ، ومابقى للنفوس مطامع ورغبات ، وماداموا يؤدونه من عمل حسنات ، وماما أحدثوه من كشف فى العلوم وتوجيهات .

ولقد كان فقيدنا الدكتور الأستاذ الإمام الشيخ عبد الرحمن تاج — رضى الله عنه — من أولئك الذين حيوا بعلمهم ، وسموا بأخلاقهم ، وعلوا بأعمالهم ، فكتبوا لأنفسهم الخلود بما تركوا من علم يتدارس ، ومعرفة تتوارث ، وأفكار تهدى ، فكان فيه الأسوة الحسنة لمن أراد لنفسه سموا ولمنزلته علوا ، ولذكره بقاء ، ولحياته خلودا :

كان رضى الله عنه واسع الاطلاع ، كامل الثقافة وافر المعرفة ، خلف وراءه من الطلاب والأتباع من هيأهم وسائل نجاحهم ، وقرب إليهم موارد فلاحهم ، وآمالهم . وأتاح لهم من فرص وتحصيل العلوم وهضمها ماينمى مداركهم ويزيد فى معارفهم .

لقد فقدنا بفقده — رضى الله عنه — الشيخ الجليل ، والإمام العظيم ، والعالم الكبير ، والنابغة فى الفقه والتفسير ، والضليع فى العربية وعلومها ، فكان الخطب فيه جللا ، والخسارة فادحة ، لا للأزهر وحده ، ولا لمجمع اللغة فحسب ، بل للأمة الإسلامية جمعاء ، إذ كان رضى الله عنه أمة وحده ، عالماً متبحرا ، باحثاً مدققاً ، أستاذاً متمكنا ، مؤمناً برسالته ، مخلصاً لدعوته ، خلف لنا ثروة علمية قيمة ، فيما ترك من كتب ورسائل ، وفيما نشر من مسائل ، وفيما زود به مجمع اللغة العربية من

أبحاث تضمنت أفكاراً مشرقة هادية ، وآراء سديدة قيمة . تنم عن علم زاخر ، ونظر دقيق . وبحث فاحص . ووزن سليم مع سلامة فى الأسلوب ، وروعة فى التعبير وإيجاز فى القول . واستيعاب فى البحث . تمثل كل أولئكم فيما عرض له فى بحوثه التى قدمها إلى المجمع فى بيان الكتاب الحكيم وأسلوبه واختيار كلماته ، مع سلامة فى الحكم واستقامة فى النظر ، وتدقيق فى اختيار أحسن الآراء ، وأقربها إلى فهم كتاب الله وأوضحها دلالة على بيان المعنى وإيضاح الغرض . ولذا فانه قد ترك بوفاته رضى الله عنه فراغا لا يملأ ، وأسى لا ينسى .

كان رضى الله عنه سمحا فى أخلاقه متميزا فى أدبه ، متفوقا فى علمه ، لم ينل من نفسه زهو المنصب ، وما المشيخة الأزهر من جاه ، وما تظفر به من مكانه فى النفوس ، وسلطان فى القلوب ، وما عززت به من هيبة روحية ومكانة دينية ، ولم يكن ذلك ليشغله عن أن يكون باحثاً مدققاً ناقدا مفكراً ، لا يرضى إلا بالحقائق واضحة جلية مؤيدة بحججها ، لا بمن نسبت إليه من قائل ، ولا بمن تعزى إليه من باحث .

ولد رضى الله عنه بمدينة اسيوط سنة ١٨٩٦ ، وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم ، وغلب قراءتها جوده ، وتلقى بعض الروايات فى قراءاته ، كما حفظ بعض المتون ، وتلقى بعض مبادىء العلوم الدينية والعربية على من سبقه من طلابها ، وقد أهله ذلك الانتظام فى سلك طلبة المعاهد الدينية ، فالتحق بالسنة الثانية من معهد الإسكندرية . وقد كانت نظم المعاهد الدينية ومناهجها فى ذلك العهد محلا للنظر فى إصلاحها وتجديدها وتطويرها بما يقربها من نظم التعليم الحديث ، ويخلصها مما كان يعوقها عن الوصول إلى غايتها ، من إضاعة الوقت فى تفهم الأساليب التى شابتها العجمة التركية أو العجمة البربرية والتراكيب الركيكة المبهمة ، التى خفيت دلالتها بسبب عجمة اصحابها وجهالتهم بقواعد العربية ، وما أرادوه لها من الاختصار والحصر والإيجاز والحذف مع إغفال القواعد النحوية . وكانت أول خطوة خطاها الإصلاح إنشاء معهد الإسكندرية وإرصاد الأموال الكفيلة بقيامه وحاجته ، واختيار الأساتذة والمدرسين الأكفاء من مدرسى الأزهر وعلمائه ، وإعداد وسائل الشرح والبيان مما ليس للمعاهد الدينية عناية به من قبل ، ووضع النظم الكفيلة بتطوير الدراسة وتقسيم زمنها واستقامة سيرها وتحديد مراحلها وطرق إفادة الطلاب منها ، وتحديد مواعيد انتهائهم من دراستها . وقد كان لذلك أثره فى نفوس النشء فولوا وجههم قبل هذا المعهد ، وحجوا إليه ، واستبقوا العرفان والحكمة بالانضمام إليه ، والانتظام فى طلابه فكان ممن ارتحل إليه فقيدنا العظيم سنة ١٩١٠ التحق بالسنة الثانية من سنيه ؛ لما حصل عليه من دراسة سابقة فى أسيوط ، وظل يتابع الدراسة فيه حتى نال شهادة

العالمية سنة ١٩٢٣ ، وكان أول الفائزين بها فى هذا العام . وقد كان من آثار تلك الحركة الإصلاحية فى المعاهد الدينية ، وما قصد منها من استقرار النظام فيها ، إلغاء مدرسة القضاء الشرعى . بقصد الحفاظ على الأزهر ومكانته التقليدية . وعدم المساس بمآل طلابه ، وإنشاء قسم للتخصص فى القضاء الشرعى وما يقوم عليه من العلوم والنظم القضائية ، ليحل محل مدرسة القضاء الشرعى . فالتحق به فقيدنا بعد حصوله على العالمية . وحصل منه على شهادة التخصص فى القضاء سنة ١٩٢٦ وفى هذه السنة عين مدرسا بمعهد أسيوط الدينى ، وظل به إلى أن نقل منه مدرسا بمعهد القاهرة الدينى سنة ١٩٣١ ، ثم نقل بعد عامين مدرسا بقسم التخصص للقضاء من كلية الشريعة بالأزهر سنة ١٩٣٣ . وذلك بعد قيام النظام الذى قضى بجعل الدراسة العالية بالأزهر ثلاث كليات تختلف الدراسة فيها باختلاف الغاية من إنشائها : كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية . ثم عين مع ذلك سنة ١٩٣٥ عضوا بلجنة الفتوى ممثلا للمذهب الحنفى مع قيامه بعمله فى كلية الشريعة ، ثم اختير عضوا فى بعث الأزهر إلى جامعة السربون بفرنسا سنة ١٩٣٦ . فسافر إليها وطالت مدة إقامته بفرنسا إلى سنة ١٩٤٤ بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، ومن جامعة السربون حصل على الدكتوراه فى الفلسفة وتاريخ الأديان ، وبذلك جمع الفقيد رضى الله عنه بين الثقافتين : الثقافة الإسلامية الشرقية ، والثقافة الغربية . لقد قضى فقيدنا رضى الله عنه هذه المرحلة من حياته المباركة طالبا مجداً شديد الحرص على دروسه ، كثير التفكير فيما كان يلقى عليه ويحيه فيها ، دائم القراءة فيما ينمى من معارفه ، ويوسع من مداركه ، ثم أستاذا باحثا واسع الأطلاع ، مجددا فيما وعاه من معرفة . وما عرض له من رأى ، ومانشره من بحوث ، وماقام به من دروس ، وذلك بعد رجوعه من باريس ، وقيامه بالتدريس فى قسم تخصص القضاء من كلية الشريعة ، والعمل فى لجنة الفتوى عضوا بها وسكرتيرا فنيا لها ، ثم مفتشا للعلوم الدينية والعلوم العربية . فقائما بإدارة كلية الشريعة ، ثم بإدارة معهد الزقازيق حين خلوهما ممن يديرهما ، ثم عين شيخا للقسم العام بالأزهر ، قائما على بعث البعوث الدينية للأقطار الإسلامية ، فكان له الأثر الحميد بوضع الأسس القيمة المحققة للغاية منها . ثم اختير بعد ذلك أستاذا للشريعة فى كلية الحقوق بجامعة عين شمس ، فعضوا فى لجنة وضع الدستور حتى ، إذا كانت سنة ١٩٥٤ عين شيخا للأزهر ، ثم وزيرا فى مجلس اتحاد الدول العربية سنة ١٩٥٨ ، وظل به إلى أن ألغى سنة ١٩٦١ . وفى سنة ١٩٦٣ انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية ، ثم اختير بعد ذلك عضوا بمجمع البحوث الإسلامية .

لقد تخرج على يديه — رضى الله عنه — عدد كثير من العلماء ، مصريين وغرباء ، عادوا

إلى بلادهم فكان لهم فيها بما كسبوه من معرفة وثقافة ودقة نظر أعلى المناصب الرئاسية وأسمى المراتب الدينية، وذلك فيما أخذوه عن أستاذهم العظيم من علم ، وماهداهم إليه من كشف ، وسلامة فى التقدير ، وماأكسبهم إياه من خلق وسلوك ، كما كان لتلاميذه المصريين فيه الأسوة الحسنة فى الجد والنشاط والإخلاص فى العمل ، والصدق فى القول ، والسداد فى الرأى ، ولذا سيظل رضى الله عنه حياً ماحييت آثاره ، ومادامت مآثره ، ومابقى لما قام به من إصلاح ذكر .

لقد كان رضى الله عنه من العلماء الأفذاذ الذين استطاعوا أن يفيدوا من التربية الأزهرية ومنهجها التربوى الاستقلالى؛ الماثل فى الاعتماد على النفس فى تحصيل العلم ووزن الأفكار ونقد الآراء، وفى السلوك القائم على الصدق فى القول والبعد عن الرياء والمناخر ، مع التمسك بالدين، فكان من خير من نشأهم الأزهر فى الجيل الماضى خلقا وعلماً وعملا وأدبا، وواحداً من أولئك الصفوة الممتازة الذين حفظوا للأزهر ماضيه الكريم وقداسته الدينية ، ومكانته العلمية، وجددوا مآثره بما ألفوا للناس من كتب قيمة، وماتركوا فيهم من بحوث عميقة ممتازة ، كان للفقيد منها عدد وافر؛ نذكر منه فى الفقه كتابه فى السياسة الشرعية الذى اختير به عضواً فى جماعة كبار العلماء بالأزهر ، وكتابه فى الأحوال الشخصية الذى وضعه لطلبة كلية الحقوق فى جامعة عين شمس ، ورسائل عديده بعضها فى الفقه المقارن، وضعه لقسم تخصص القضاء بكلية الشريعة بالأزهر . وبعضها فى تاريخ التشريع . وبعضها فى مناسك الحج وحكمها ، وبعضها فى الإسراء والمعراج ، وبعضها فى حكم التأمين على الحياة ، والتأمين ضد الحوادث ، وبعضها فى استثمار المال فى المصارف .

هذا، وله آثاره القيمة التى زود بها مكتبة مجمع اللغة العربية، فوسع بها بحوثه ونمّى مكتبته ، فكان له من ذلك :

١ ـ تحقيق القول فيما نسب إلى القرآن الكريم من زيادة بعض الكلمات ونقص بعضها . فكان له فى ذلك بحث عام فى حروف الزيادة ووقوعها فى القرآن ، وبحوث أخرى خاصة منها بحثه فى زيادة الباء فى القرآن ، وبحثه فى زيادة لا النافية فى بعض الآيات ، وإسقاطها فى آيات أخرى، وبحثه فيما تجب مراعاته فى بيان معنى الألفاظ المشتركة الواردة فى الكتاب العزيز واختيار أنسب معانيها لمقام ذكرها. وبحثه فى رد مظاهر الجرأة التى بدت من بعض المفسرين فى تفسير بعض آياته ، وبحثه فيما يخرج منه اللؤلؤ والمرجان وماقيل فيه من أنهما لايخرجان إلا من البحار ولايخرجان من الأنهار ، وذلك فى تفسير قوله تعالى : «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» .

٢ ـ وله ، رحمه الله ، عدا ذلك رسائل فى بعض القواعد النحوية ، والمسائل اللغوية كرسالته فى حكم « غير » إذا أضيفت أو أدخلت عليها الألف واللام ، ورسالته فى حكم « إن النافية » و « إن الزائدة » والتفرقة بينهما فى الاستعمال ، ورسالته فى أفعل التفضيل

واستعماله ، ورسالته فى « إذ وإذا » ورأى أبى عبيدة فيهما ، ورسالته فيما شاع من استعمال بعض الكاتبين لأفعل التفضيل حين يقولون : أكثر من واحد وما ماثله . وغير ذلك من الرسائل المخطوط منها والمطبوع ، وكلها تنبىء عن سعة الاطلاع فى الفقه والتفسير وعلوم العربية . ويتجلى فيها نشاطه ودقة بحثه . وسلامة رأيه . وحسن تقديره وابتكاره ، مع متانة التعبير ونقاء الأسلوب . وسمو البيان وجمال العرض . فرضى الله عنه وأرضاه . وجعل الجنة مقره ومثواه ، وأفاض عليه رحمته ورضاه ، وأنزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

•• كلمة الأسرة للاستاذ حسن عبدالرحمن تاج :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

حضرات السادة :

لقد كان المرحوم الوالد مثالا للعالم التقى منذ صغره وحتى لقى ربه . رعاه جده وراعاه بحبه ووهبه للقرآن . بدأ حياته بذكر خالقه فذكره الله وفتح عليه ، ولذكر الله أكبر قرأ . القرآن الكريم فحفظه وأجاد قراءته وهو فى العاشرة ، فنال شفاعته له عند ربه . أتقن عمله بجده فى تحصيل العلم فأحبه الله وهداه صراطه المستقيم .

هبط الإسكندرية وداوم على الاشتغال بالعلم النافع ؛ فكان يقرأ الدرس قبل تلقيه ، ويحاور فيه شيوخه ، وكان فى آخر كل أسبوع يلقى الدرس نيابة عن شيخه الذى يكون حاضرا ، فأحبه أساتذته وشهدوا بنبوغه وتفوقه . فكان ينجح فى كل سنة بتفوق من السنة الأولى حتى السنة النهائية . منحه أساتذته شهادة العالمية عن استحقاق ، فصار عالما فضله عند الله تعالى على العابد كفضل نبينا عليه الصلاة والسلام على أدنى أصحابه .

لم يزل للعلم طالبا وبتحصيله ممسكا ، حتى استقصاه درجات رفيعة عالية ، ولم ينس مع ذلك واجباته الأخرى ، فنال شهادة التخصص فى القضاء الشرعى ، وحج بيت الله الحرام ، ثم سافر إلى فرنسا ومعه أكباد ثلاثة وأمهم ، حيث حصل على درجة الدكتوراه ثم عاد بفضل ربه .

أما وقد اكتسب العلم وادخره فلاغرو كان بيت قلبه مقذف نور العلم فيه لايعرف الصفات المذمومة ، أدب فأطاعه أبناؤه وانصاعوا لأمره ، علم فقدره طلابه وانتفعوا بعلمه .

راقب ربه وأخلص له نيته فحسن عمله وأصاب فى رأيه. كان من كبار العلماء وشيخا للمسلمين خارج وطنه أو فى عمادته أو فى عقر داره .

كان كثير المطالعة فى كتب تفسير القرآن كان يكشف عن تفسير آية ومعه عقله ، وقد حرره من قيود التقليد ، فإذا لم يقنعه قول المفسر تابع الآية مع مفسرين آخرين ، فإن لم يجد قولا معقولا أو وجد اجتهادا معقدا غير مستساغ ، استدعى ورقه وملأ بالمداد قلمه وراح يجمع على دائم التفكير عقله .

لم يكن ليفتعل الكتابة ، ولكن كان خواضا فى بحثه ، يعرض أقوال المفسرين وأدلتهم ، ويناقشها ثم يعرض على القارىء تساؤلات يتوقع أن يطرحها القارىء أو يدور حولها محور أدلته على رأيه المختار ، أو تكون أجوبتها مؤيدة لرأيه المختار . وبانتهاء القارىء من قراءة البحث يطمئن إلى اجتهاده .

كان يقرأ القرآن فتستوقفه الآية فيعيد القراءة مرات ، فيفطن إلى أن هناك قصوراً فى فهمه السابق فى الآية ، فيبدأ البحث ويواصله طول النهار . وكانت الآية تراوده حتى تؤرقه فيواصل التفكير فيها ليلا إلى أن يستجيب الله دعاءه ، ويوفقه إلى فهم مقبول فيها .

ومع هذا ، وبالرغم من ضعف صحته ، فقد كتب أبحاثا كثيرة فى فترة قصيرة ، وكان موفقا فيها ، فلقد قال تعالى : «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

أدعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويسكنه جنات الفردوس ، وأن ينفعنا بعلمه ويلهمنا دائم الدعاء له ، ويوفقنا إلى كل ما هو فيه الخير .

والآن يطيب لى ولكل إخوتى ولأفراد أسرة المرحوم الشيخ عبد الرحمن تاج ، ولأصدقائه ، أن نتقدم بخالص الشكر للسادة رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية ، لقد قدرتموه إذ سألتموه يعمل معكم فى صالح مجلسكم ، وقدرتموه إذ إخلاصه أحببتم ، وفى حبه أخلصتم . والآن قدرتموه إذ محاسن له ذكرتم ، بررتم فيها وصدقتم ، فلكم منا أسمى آيات الشكر والامتنان . وفقنا الله وإياكم إلى كل علم نافع وعمل شافع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

●● كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع :

أيها السادة .

لعلكم شهدتم لقاءات قبل ذلك فى استقبال تارة ، ووداع تارة أخرى ، ونحن فى حياتنا بين الاستقبال والتوديع ، وتلك سنة الحياة . ولكن أحب قبل أن أختتم هذه الجلسة أن أشير أن فقيدنا — وإن غاب عنا — فله آثار تعتبر استئنافاً لحياته ، وسوف تقرأون له غداً ، كما كنتم تقرأون له بالأمس فى مجلة المجمع ومطبوعاته .

تغمده الله برحمته ، وشكراً لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .